ميقات الحج

مجلة نصف سنوية تعنى بالشؤون الثقافية

والتاريخية والسياسية والاجتماعية للحج

٣٢



■ الرسول الرحمة والحج نموذجاً ■ إيمان أجداد الرسول (ص) ■

■ القرآن في حجة الوداع... ■ حجية الفعل النبوي ■

■ معجزة النبي في كونه قارئاً أو أمياً ■

■ سيرة المصطفى (ص) ■

■ عمرة القضاء ■

■ مشاهد البعثة النبوية الشريفة من خلال نهج البلاغة ■

بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

كاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مركز القائمیة باصفهان للتحریات الكمبیوتریة

الفهرس

میقات الحج-المجلد ۳۲

اشارة

عنوان و نام پديدآور : ميقات‌الحج : مجله نصف سنويه، تعنی بالشوون الثقافيه .....محمد محمدی‌ری‌شهری.

مشخصات نشر : [بی‌جا: بی‌نا، ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ۳۰۰ص.:نمونه، عکس.

شابک : ۵۰۰۰ ریال

وضعيت فهرست نويسی : فهرست نويسی توصيفی

يادداشت : عربی.

يادداشت : شماره پنج اين مجله بنام ميقات الحج است.

يادداشت : پشت جلد به انگليسی: Mighat al - Haj.

يادداشت : کتابنامه.

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵ -، مدير مسئول

شناسه افزوده : قاضی‌عسکر، سيدعلی، ۱۳۲۵ -

شماره کتابشناسی ملی : ۱۵۴۲۸۹۶

ص: ۱

اشارة

ص: ٢

ص: ۳

ص: ۴

قواعد النشر

ص: ۵

ترحب مجلة "ميقات الحج "بملاحظات القراء الكرام ومقترحاتهم وينبغی أن تتوافر البحوث المهتمة بالحج والعمرة والزيارة علی الصفات التالية:

۱- أن تكون المادة المرسلة غير منشورة سابقاً.

۲- أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والمنهجية.

۳- أن يقترن البحث بذكرالمصادر والهوامش بدقة وتفصيل.

۴- أن لايتجاوز البحث ۴۰ صفحة وأن يكون البحث مطبوعاً بالحاسب الآلی، ويرفق معه القرص المنسوخ عليه.

۵- أن يرفق بالبحث ملخص باللغة الإنجليزية إن أمكن.

۶- تحتفظ المجلة بحقها فی الحذف والتعديل اليسيرين، مع مراعاة المنهج العلمی المتبع.

(ع)- لايعاد البحث إلی صاحبه، سواء نشر أم لم ينشر.

۸- لاتعبر الأبحاث المنشورة بالضرورة عن رأی المجلة.

۹- يعتمد ترتيب البحوث فی المجلة علی أسس فنية ولا غير.

۱۰- ترسل البحوث والآراء علی عنوان المجلة: إيران- طهران- شارع آزادی- منظمة الحج والزيارة- الطابق ۲. صندوق البريد: ۵۸۵۶- ۱۴۱۵۵.

ص: ۶

الصلاة جماعة بالاستدارة حول الكعبة

كان لكلّ مذهب من المذاهب الأربعة مقام خاص فی المسجد الحرام، یقوم فیه إمام المذهب ویقتدی به المصلّون، کل إمام فی ضلع من أضلاع الکعبة المشرفة، وبعد أن جاء السعودیون إلی منصّة الحکم أزالوا هذه المقامات الأربعة وجعلوها مقاماً واحداً لإمامٍ من الحنابلة فقط، وبذلک أعادوا الصلاة جماعة استدارة حول الکعبة الشریفة.

وأصبحت هذه المسألة مورد بحث ونقاش بین فقهائنا من جدید بعدما کانت المسألة معنونة فی کتب المتقدمین أیضاً، وقبل الخوض فی دراسة دلیل المسألة صحة وفساداً، نقدم اموراً:

الأوّل: تاریخ ظهور الصلاة جماعة بهذه الکیفیة

یظهر من الأزرقی فی «تاریخ مکة المکرمة» أنّ أول من أدار الصفوف حول الکعبة هو خالد بن عبدالله القسری، یقول: کان الناس یقومون قیام شهر رمضان فی أعلی المسجد الحرام ترکز حربة خلف المقام بربوة فیصلی الإمام خلف الحربة، والناس وراءه فمَن أراد صلی مع الإمام ومَن أراد طاف بالبیت ورکع خلف المقام، فلمّا ولی خالد بن عبدالله القسری مکة وحضر شهر رمضان، أمر خالد القراء أن یتقدّموا فیصلوا خلف المقام، وأدار الصفوف حول الکعبة، وذلک أنّ الناس ضاق علیهم أعلی المسجد، فأدارهم حول الکعبة.

فقیل له: تقطع الطواف لغیر المکتوبة، قال: فأنا آمرهم یطوفون بین کل ترویحتین سبعاً، فأمرهم ففصلوا بین کل ترویحتین بطواف سبع. فقیل له: فإنّه یکون فی مؤخر الکعبة وجوانبها من لا یعلم بانقضاء طواف الطائف من مصل وغیره فیتهیّأ للصلاة، فأمر عبید الکعبة أن یکبروا حول الکعبة، یقولون: ألحمد لله والله أکبر، فإذا بلغوا الرکن الأسود فی الطواف السادس سکتوا بین التکبیرتین سکتة حتّی یتهیّأ الناس ممّن فی الحجر ومن فی جوانب المسجد من مصل وغیره، فیعرفون ذلک بانقطاع التکبیر، ویصلی ویخفّف المصلی صلاته ثم یعودون إلی التکبیر حتّی یفرغوا من السبع، ویقوم مسمع فینادی الصلاة رحمکم الله.

قال: وکان عطاء بن أبی رباح وعمرو بن دینار ونظائرهم من العلماء یرون ذلک ولاینکرونه.

ثم نقل عن ابن جریج قلت لعطاء: إذا قلّ الناس فی المسجد الحرام أحبّ إلیک أن یصلوا خلف المقام ویکونوا صفاً واحداً حول الکعبة؟

قال: بل یکون صفاً واحداً حول الکعبة وتلا:

وَ تَرَی الْمَلائِکَةَ حَافِّینَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ (۱). (۲) ویظهر من کلام الأزرقی أنّ الدافع إلی الصلاة حول الکعبة استدارة، هو ضیق المکان فی صلاة التراویح، ولم یکن قبله أی سابقة لها، وقد تصدی عبدالملک للخلافة عام ۶۵ ه بعد وفاة أبیه مروان بن الحکم وتوفّی عام ۸۶ ه.

۱- الزمر: ۷۵.

۲- تاریخ مکة، للأزرقی ۶۵: ۲- ۶۶.

ص: ۷

وبما أنه لم تمتد سلطة عبدالملك بن مروان إلى مكة المكرمة الّتى كان قد استولى عليها عبدالله بن الزبير إلى أن قتل هذا الأخير عام (ع) ۳ ه، فيكون هـذا الشكل من الصلاة قد بدأ فى العام الذى تولى خالد بن عبدالله القسرى مكة سنة ۸۹ هجريـة، من قبل وليد بن عبدالملك الذى تولى الخلافة سنة ۸۶- ۹۶ هجرية. (۱) الثانى: أوّل من تعرض إلى المسألة من الأصحاب

لم نجد عنواناً لهذه المسألة عند أصحابنا قبل ابن الجنيد فهو أول من تعرّض لها حسب اطّلاعنا، نقله العلّامة عنه وقال: قال ابن الجنيد: الإمام إذا صلى فى المسجد الحرام أحاط المصلون حول البيت من حيث لا يكون أحدهم أقرب إلى جدار البيت منه، ولم يذكر علماؤنا ذلك والأقرب الوقوف خلف الإمام للعموم. (۲) وعلى ضوء هذا فقد جعل الميزان فى تأخّر المأموم عن الإمام أو عدم تقدمّه عليه- على اختلاف فيما هو الشرط- هو أن يكون الفاصل المكانى بين المأموم والكعبة أكثر من الفاصل المكانى بين الإمام والكعبة، وعلى ذلك تجوز الصلاة بالاستدارة التامة لكن برعاية هذا الشرط.

مثلًا: إذا كان الإمام واقفاً حيال مقام إبراهيم فالفاصل بينه وبين الكعبة حوالى ۱۲ متراً تقريباً، فيجب أن يكون الفاصل المكانى المستدير فى تمام الدور أكثر من هذا المقدار حتّى يصدق كون المأموم خلف الإمام أو غير متقدم عليه. وسيوافيك أنّ هذا الشرط إنّما يتحقّق فى بعض الصور لا كلّها.

ولم نجد من تعرض للمسألة بعد ابن الجنيد إلى عصر العلّامة الحلى، وقد خلت كتب الشيخ الطوسى من عنوان هذه المسألة ومن أتى بعده كابن البراج، وابن زهرة وابن إدريس والمحقّق وغيرهم؛ وإليك نقل كلمات الآخرين:

الثالث: نقل كلمات الآخرين

قال العلّامة: المصلى خارج الكعبة وهو مشاهد لها يستقبل أى جدرانها شاء، وكذا لو كان فى حكم المشاهد، ولو تعدّدوا وأرادوا الاجتماع ففى صلاتهم مستديرين حولها إشكال، ولا إشكال لو كانوا منفردين. (۳) ولعل وجه الإشكال عند العلّامة غيره عند ابن الجنيد، فالإشكال عند الثانى هو تقدّم المأموم على الإمام فى بعض الأحايين، ولذلك لو كان الفاصل المكانى بين الكعبة والمأموم أكثر من الفاصل المكانى بينها وبين الإمام لجاز عنده بالاستدارة الكاملة.

وأمّا الإشكال عند العلّامة فلعله هو مسألة المواجهة وكون المأموم مواجهاً للإمام فى نصف الدائرة وهو أمر غريب.

فإنّ المأموم يقف خلف الإمام أومع الإمام على جهة واحدة، ولكنّه فى نصف الدائرة يقف مواجهاً للإمام و مقابلًا له وهو أمر غير متعارف.

۱- أنظر تاريخ الطبرى، أحداث سنة ۸۹ ه-؛ وجمهرة النسب والأعلام للزركلى؛ وباقى المصادر.

۲- مختلف الشيعة ۹۰: ۳.

۳- تذكرة الفقهاء ۱۰: ۳.

ص: ۸

وقد صرح بهذا فى المنتهى وقال: لو صلّى الإمام فى المسجد الحرام إلى ناحية من نواحى الكعبة واستدار المأمومون حولها، صحت صلاة مَن خلف الإمام خاصة، سواء أكان بعد المأمومين فى الجهة الأُخرى عنها أكثر من بعد الإمام أو لا، خلافاً للشافعى وأبى حنيفة. لنا: إنّ موقف المأموم خلف الإمام أو إلى جانبه وإنّما يحصل فى جهة واحدة، فصلاة من غايرها باطلة، ولأنهم وقفوا بين يدى الإمام فتبطل صلاتهم. (۱) وعبارته كالصريح فى أنّ المحذور ليس هو تقدّم المأموم بل مواجهته للإمام، وهذا صريح قوله: «ولأنّهم وقفوا بين يدى الإمام».

فظهر ممّا نقلناه أنّ مشكلة الصلاة مستديرة أمران:

لزوم تقدّم المأموم على الإمام فى بعض الصور.

مواجهة المأموم للإمام أحياناً.

ويظهر من الشهيد فى «البيان» أنّ المانع عنده هو الوجه الأول قال: ولو صلّوا جماعة فلهم الاستدارة حولها، وينبغى أن لا يكون المأموم إليها أقرب من الإمام.

ويظهر منه (قدس سره) فى كتاب «الدروس» أنّ المانع هو نفس ما ذكره فى البيان حيث قال: أن لا يتقدّم المأموم على الإمام بعقبه، ولا عبرة بمسجده إلّا فى المستديرين حول الكعبة بحيث لا يكون المأموم أقرب إليها. (۲) وقال فى «الذكرى»: لو استطال صف المأمومين مع المشاهدة حتّى خرج عن الكعبة، بطلت صلاة الخارج لعدم إجزاء الجهة هنا؛ ولو استداروا صحّ، للإجماع عليه عملًا فى كلّ الأعصار السالفة؛ نعم، يشترط أن لا يكون المأموم أقرب إلى الكعبة من الإمام. (۳) وظاهر هذا الكلام أنّ الإشكال عنده هو تقدّم المأموم على الإمام، ولذلك اشترط أن لا يكون المأموم أقرب إلى الكعبة من الإمام.

و أمّا الشهيد الثانى فيظهر منه أيضاً أنّ الإشكال هو تقدّم المأموم على الإمام فى الصلاة استدارة، فقال: إنّ قول المحقّق «ولا يجوز أن يقف المأموم قدّام الإمام» مفهومه الاعتبار بتساوى الأقدام حال القيام، ... إلى أن قال: و أمّا فى حال الركوع فظاهرهم أنه كذلك و أنه لا اعتبار بتقدّم رأس المأموم، وكذا حال السجود و التشهد فيجوز تقدم رأس المأموم على رأسه؛ لكن يستثنى منه مالو كانت الصلاة حول الكعبة، فإنّه لايجوز أن يكون مسجد المأموم أقرب إليها. (۴) وأمّا سبطه فقد ألمح إلى كلا الإشكالين، حيث ذكر كلام ابن الجنيد والشهيد فى الذكرى اللّذين ركّزا على الإشكال الأول، ثم نقل كلام العلّامة فى التذكره والمنتهى الّذى يشير إلى الإشكال الثانى، وقال فى

۱- المنتهى ۲۵۷: ۶.

۲- الدروس ۲۲۰: ۱.

۳- ذكرى الشيعة ۱۶۱: ۳.

۴- مسالك الأفهام ۳۰۸: ۱.

ص: ۹

آخر كلامه: ولم أقف في ذلك على رواية من طرق الأصحاب، والمسألة محل تردّد، ولا ريب أنّ الوقوف في جهة الإمام أولى وأحوط. (۱) وأمّا الشيخ الأكبر كاشف الغطاء فلم يهتم بالإشكال الثاني و إنّما اهتم بالاشكال الأول وقال: وحول الكعبة يصح الدوران في الصف ومقابلة الوجوهِ الوجهَ بشرط أن تكون الفاصلة من جانب المأمومين أوسع. (۲) وسيأتي حدّ الفاصل اللازم بين الإمام و الكعبة، وبينها وبين المأموم فانتظر.

إلى غير ذلك من الكلمات للمتأخرين والمعاصرين وربّما نمرّ على كلماتهم عند الاستدلال على حكم المسألة.

الرابع: ماهو الأصل في المسألة

إنّ الأصل في المقام هو الفساد إلّا أن يدل دليل على خلافه، وذلك لأنّ العبادات أمور توقيفية لا دور للعقلاء فيه، فإذا شُك في امتثال الأمر بالفرد الخاص فالأصل هو الفساد.

وإن شئت قلت: إنّ مشروعية العبادات أمر توقيفي فما عُلم كونه مشروعاً فهو مشروع، وما شُك في مشروعيته فهو ممنوع وإن كان في الواقع مشروعاً، وهذا كإتيان الصلاة مع قبض اليد اليسرى في اليمنى، حيث إنّ للصلاة فردين ومصداقين: أحدهما إتيان الصلاة بالسدل والآخر بالقبض، فالشك في جواز القبض كاف في كونه بدعة مبطلة للصلاة؛ وهذا هو الأصل في المقام.

وربّما يقرر بأنّ الأصل في المقام هوالصحة، وهو أنّ صلاة الجماعة ترجع في حقيقتها إلى أنها هي عدل للواجب التخييري، لا أنها من مسقطات وجوب الصلاة، فإذاً يدور الأمر بين كون الواجب هو الفرادي ومطلق الجماعة، وبين كون الواجب هو الفرادي و الجماعة المقيّدة بأنها بغير الاستدارة، ومقتضى الأصل هو البراءة عن هذا التقييد. (۳) يلاحظ عليه: أنّ المأمور به هو طبيعة الصلاة والصلاة جماعة وفرادى من مصاديق هذا الواجب، والتخيير بين المصداقين عقلي لاشرعي، وعلى هذا فيكون مرجع الشك إلى سقوط الطبيعة بالفرد الخاص والأصل خلافه، فإنّ قاعدة الاشتغال محكمة حتّى يثبت الامتثال؛ وبالجملة إذا كانت للطبيعة المأمور بها مصاديق مختلفة، ويقطع بحصول الامتثال ببعض المصاديق ويُشك في حصوله بالبعض الآخر، يكون المقام محكوماً بالاشتغال، لأنه من قبيل الشك في السقوط؛ فلو أمر المولى بتطهير النجس بالماء وشك في صحة التطهير بماء الكبريت، فالاشتغال محكم مالم يكن هنا إطلاق لفظي حاكم على الأصل.

۱- مدارك الأحكام ۳۳۲: ۴.

۲- كشف الغطاء ۲۶۵: ۱.

۳- مجلة فقه أهل البيت:، العدد ۴۴ ص ۹۴، وقد استظهره من كلام السيد الخوئي في مسألة اشتراط التأخّر وعدم كفاية المساواة الحقيقية وقال: وهو يجري في مقامنا بالنحو المذكور.

ص: ۱۰

وقد صرح بما ذكرنا السيد الحكيم (قدس سره) بتعبير آخر حيث قال:

تارة يكون الشک فی صحة الجماعة حدوثاً واخرى يكون بقاءاً، فإن كان الأول فالمرجع أصالة عدم انعقاد الجماعة؛ لأنّ انعقادها إنما يكون بجعل الإمامة للإمام من المأموم فی ظرف اجتماع الشرائط، فإذا شُکّ فی شرطية شیء مفقود أو مانعية شیء موجود- للإمام أو المأموم أو الائتمام- فقد شُک فی الانعقاد الملازم للشک فی حصول الإمامة للإمام و المأمومية للمأموم، والأصل العدم فی جميع ذلک، وبعبارة اخرى الشک فی المقام فی ترتب الأثر على الجعل المذكور ومقتضى الأصل عدمه. (۱) وربّما يتصور أنّ الأصل العملی محكوم بالإطلاقات الواردة فی صلاة الجماعة، وذلک لأنّ مقتضى الإطلاقات الواردة فی صلاة الجماعة عدم اشتراط شیء من تأخّر المأموم عن الإمام أو عدم تقدّمه عليه، غاية الأمر خرج منها ما إذا لم تكن الصلاة إلّا على جهة واحدة وعلى خط مستقيم فيشترط فيه التأخر، أو عدم التقدم، وأمّا إذا أمكنت الصلاة استدارة وعلى جميع الجهات، فالإطلاقات الواردة فی باب الجماعة محكمة لا يشترط فيها شیء لا عدم التقدّم ولا عدم التأخّر.

يلاحظ عليه: بأنه ماذا يريد من الإطلاقات فی المقام، فهل يريد ما ورد فی التأكيد على استحبابها فی الفريضة، الّذی عقد لها الحر العاملی باباً تحت عنوان «باب تأكد استحبابها فی الفرائض»، ومن المعلوم أنها ليست فی مقام البيان لشرائط الجماعة، فإنّ الروايات الواردة فی الحث على الجماعة كلها نظير قول أمير المؤمنين (ع): «من سمع النداء ولم يجبه من غير علّة فلا صلاة له». (۲) أو أنه يريد ما ورد: «أنّ أقل ما تنعقد به الجماعة اثنان» كقول زرارة فی حديث قال: قلت لأبی عبدالله (ع): الرجلان يكونان جماعة؟ فقال (ع): «نعم، ويقوم الرجل عن يمين الإمام». (۳) وبالجملة هذه الروايات ونظائرها ناظرة إلى تشريع الجماعة واستحبابها المؤكّد، ولانظر لبيان الشرائط والأجزاء حتّى يتمسک به فی مورد الشک على نفی الجزئية.

فخرجنا بالأمرين التاليين:

أنّ الأصل الأوّلی هو الفساد؛ لأنه من قبيل الشک فی الامتثال، أو الشک فی انعقاد الجماعة.

أنّ الأصل غير محكوم بالإطلاقات، إذ ليس هنا إطلاق حاكم على الأصل، ويلزم الرجوع إلى أدلّة الشروط فی المقام، و إليک البيان.

قد سبق أنّ الإشكال فی المقام يدور على أمرين:

إشكال تقدّم المأموم على الإمام فی بعض الصور.

مواجهة المأموم مع الإمام فی بعض الأحايين.

وإليک دراستهما.

۱- مستمسک العروة الوثقى ۲۱۷: ۷.

۲- الوسائل ۵: الباب ۲ من أبواب صلاة الجماعة، الحديث ۱.

۳- الوسائل ۵: الباب ۴ من أبواب صلاة الجماعة، الحديث ۱.

ص: ۱۱

الأوّل: شرطية عدم تقدّم المأموم على الإمام

فقد قال المحقّق: ولا يجوز أن يقف المأموم قدّام الإمام. (۱) واستُدل عليه بعدم الخلاف بين الأصحاب، وظاهر المعتبر الإجماع عليه من غير فرق بين الابتداء والاستدامة، كما هو صريح معقد بعضها اقتصاراً فى العبادة التوقيفية، على ما علم ثبوته من فعل النبى (ص) والأئمة (عليهم السلام)، والصحابة والتابعين وتابعى التابعين وسيرة سائر فرق المسلمين فى جميع الأعصار والأمصار، بعد قصور الإطلاقات المساقة لغيره عن تناول مثل ذلك. (۲) وظاهر كلامه كظاهر كلام الآخرين أنه ليس هناك دليل لفظى يدل على عدم جواز تقدم المأموم على الإمام، ولو كان فإنّما هو إشارات وتلميحات، غير أنّ معقد الإجماع يعمّ عامّة الحالات سواء أكان فى المسجد الحرام أم غيره.

ولا يمكن أن يقال: إنّ الإجماع دليل لبّى يقتصر فيه على القدر المتيقّن وهو ما إذا صلّوا على جهة واحدة.

بل يمكن أن يستظهر ذلك من كلمة الإمام بأنه إمام يقتدى به فى الأقوال والأفعال، ولازم ذلك عدم كون المأموم متقدماً على الإمام؛ ولذلك نرى أنه ورد فى الروايات أنّ الإمام قد سُئل عن رجل أمّ قوماً فصلى بهم ركعة ثم مات؟ قال (ع): «يقدّمون رجلًا آخر فيعتد بالركعة ويطرحون الميت خلفهم ويغتسل مَنْ مسه». (۳) وعلى كل تقدير لايمكن أن نشك فى شرطية عدم تقدّم المأموم على الإمام فى حال من الأحوال وفى مسجد دون مسجد، وإن كان عدم جواز مساواة الإمام والمأموم موضع تأمل ونقاش.

إذا علمت ذلك فالمهم هو تبيين مدار التقدّم وملاكه.

فلو كان الملاك فى التقدّم والتأخّر هو عدم أقربية المأموم إلى الكعبة من الإمام، بل يكونان متساويين أو يكون المأموم أبعد من الكعبة من الإمام، فلازم ذلك صحة الصلاة استدارة، بشرط أن تكون الدائرة الّتى وقف عليها الإمام غير الدائرة الّتى يقف عليها المأموم، وتكون الدائرة الثانية أبعد من الدائرة الأُولى حتّى تكون المسافة بين المأموم والكعبة أكثر من المسافة بين الإمام و الكعبة فى عامّة الحالات.

وذلك لأنّ الكعبة لمّا كانت مربعة مستطيلة فلو دارت عليها دائرة، فخطوط هذه الدائرة بالإضافة إلى الكعبة ليست متساوية، بل ما يحاذى منها الزوايا أقرب ممّا يحاذى الأضلاع بطبيعة الحال، لفرض كون الكعبة على شكل المربع المستطيل فالخط المقابل للضلع أبعد من الكعبة بالنسبة إلى الخط المقابل للزاوية بالضرورة.

وعلى ذلك فيجب أن تكون الدائرة الّتى يقف عليها المأمومون أكبر من الدائرة الّتى قام عليها الإمام، أى أبعد عن الكعبة فى جميع النقاط، وإلّا فمجرد كون الفاصل المكانى بين المأموم والكعبة أكبر منه بين الإمام والكعبة، لايكفى- كما هو الظاهر من الكلمات الماضية- مالم يكن الفصل على حدّ يكون الفصل أكبر فى عامة الحالات.

۱- الشرائع ۱۲۳: ۱.

۲- جواهر الكلام ۲۲۱: ۱۳.

۳- الوسائل ۵: الباب ۴۳ من أبواب الجماعة، الحديث ۱.

ص: ۱۲

فإنّ الشرط- أعنی: عدم تقدم المأموم- محفوظ فی جمیع الحالات.

وبـذلک یعلم أنّ مجرّد کون المأموم خلفاً أو جانباً بحسب الـدائرة البرکالیّة، لا یلازم عدم أقربیّته إلی الکعبة من الإمام، ضـرورة زیادة جوانب الکعبة، بل لابدّ أن تکون الدائرة الّتی وقف علیها المأموم أوسع من الدائرة الّتی وقف علیها الإمام علی نحو یکون الإمام أقرب إلی الکعبة من المأموم فی عامة الحالات.

وأمّا لوکان المیزان فی التقدم هو نفس موقف الإمام مع قطع النظر عن الأقربیة والأبعدیة بالنسبة إلی الکعبة، فحینئذ لو وقف المأمومون علی نفس الـدائرة الّتی وقف علیها الإمام لصـدق عدم التقدم، وهذا واضح، مثلًا: لو أمر الضابط الجنود أن یقفوا بشـکل دائری، فوقفوا علی خط دائری جنباً إلی جنب، فیصدق عدم تقدّم أحدهم علی الآخرین.

وإلی ما ذکرنا یشیر صاحب الجواهر بقوله: بإمکان دعوی صدق الخلْف أو الجانب، إذ هما بالنسبة إلی کل واحد بحسبه ولو بملاحظة الدائرة البرکالیة. (۱) والمتبادر من معاقـد الاجماعات والإشارات الواردة فی الروایات أنّ المیزان عدم تقدّم المأموم علی موقف الإمام من دون لحاظ الجهة الّتی یتّجهون لها.

وبعبارة اخری: الملاک فی تحقّق هـذا الشـرط موقف کل من الإمام و المأموم فی غیر المسـجد الحرام باتفاق الفقهاء، فلابد أن یکون هو أیضاً نفس الملاک فی المسجد الحرام أیضاً، وإلّا یجب أن یلتزم بأحد أمرین:

أن یکون الملاـک فی غیر المسـجدالحرام هو موقف الإمـام والمـأموم، و أمّـا فی المسـجدالحرام فالملاـک هو الکعبـة، بـأن لاـ یکون المأموم أقرب إلی الکعبة من الإمام.

مراعاة کلا الأمرین.

والأوّل أمر غریب لعدم الدلیل علی التفریق بین المسجد الحرام وسائر الأمکنة، والثانی موافق للاحتیاط ولکن لیس لاعتبار الجمع دلیل صالح.

وبذلک یظهر أنّ مشـکلة تقدّم المأموم علی الإمام فی الصـلاة الاسـتداریة إمّا غیر متحقّق مطلقاً، إذا قلنا بأنّ المیزان هو ملاحظة موقف الإمام، و إمّا غیر متحقّق فی بعض الدوائر ومتحقّق فی البعض الآخر.

الثانی: إشکال المواجهة

الإشـکال الثـانی فی المسألـة هو لزوم المواجهـة، بـأن یکون المـأموم مواجهـاً للإمام دون أن یکون فی جنبه أو خلفه، وتظهر المواجهة بوضوح فی النصف الثانی من الـدائرة، مع أنّه أمر غیر معهود، ولذلک اشترط بعض القائلین بالجواز بکون اسـتقبال الإمام و المأمومین إلی جهـة واحـدة، إذ لو قیـل بـالجواز مطلقاً یلزم جواز الجماعـة فی داخل الکعبـة علی التعاکس، بأن یکون وجه کل منهما إلی الآخر وهو ممّـا لا مجال للالتزام به. (۲) والحق أنّ هذا الاشـکال یسـتحق التأمّل، وما دلّ علی جواز إقامة الصـلاة جماعة منصـرف إلی الفرد الشائع، وأما هذا الفرد النادر فإطلاق الأدلة علی فرض وجوده منصرفة عنه.

۱- جواهر الکلام ۲۳۰: ۱۳.

۲- مستمسک العروة الوثقی ۲۴۸: ۷.

ص: ۱۳

فإن قلت: إنّ الشكل الهندسى للمسجد الحرام كان دائرياً منذ أن بنيت الكعبة من قبل نبى الله إبراهيم (ع)، لأنّ الطواف بالبيت العتيق- الّذى نادى به الله عزوجل على لسان إبراهيم الخليل فى قوله: وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. (۱)- يشهد لذلك، أوليس ذلك قرينة على جواز الصلاة بالجماعة استدارة وإن استلزم فى بعض الحالات مواجهة المأموم اللإمام؟

قلت: لاشك أنّ المطاف يكون دائرياً وأمّا كون المسجد فى عصر النبى إبراهيم (ع) بنى على شكل دائرة فلم يدل عليه دليل؛ وعلى فرض كونه كذلك لا يكون دليلًا على جواز الصلاة جماعة بالاستدارة.

إلى هنا تمت دراسة الاشكالين المذكورين فى كلام الفقهاء وهناك إشكال ثالث.

الثالث: وجود الحائل بين الإمام والمأموم

من شروط صحة الجماعة أن يكون بين الإمام و المأموم حائل يمنع عن مشاهدته، قال المحقّق: لاتصحّ مع حائل بين الإمام و المأموم يمنع المشاهدة، وقال صاحب الجواهر: الظاهر أنه إجماعى- كما فى الذخيرة- بل هو كذلك فى صريح الخلاف والمنتهى والمدارك.

ويدل عليه صحيح زرارة عن الباقر (ع): «إن صلّى قوم وبينهم وبين الإمام ما لا يتخطى فليس ذلك الإمام لهم بإمام، وأى صف كان أهله يصلون بصلاة إمام وبينهم وبين الصف الّذى يتقدمهم قدر ما لايتخطى، فليس تلك لهم بصلاة، فإن كان بينهم سترة أو جدار فليست تلك لهم بصلاة، إلّا من كان من حيال الباب، قال: وقال: هذه المقاصير لم تكن فى زمان أحد من الناس وإنّما أحدثها الجبارون، ليست لمن صلّى خلفها مقتدياً بصلاة مَنْ فيها صلاة». (۲) ووجه الإشكال: أنّ الكعبة المشرفة تحول بين الإمام وكثير من المأمومين الذين يصلّون فى النصف الثانى من الدائرة بحيث إنّهم لايرونه.

ويمكن أن يقال: إنّه لا يشترط مشاهدة جميع المأمومين الإمام، بل يكفى مشاهدة من يشاهده من المأمومين وإن تعددت الوسائط. (۳) فإذا وقف المأموم فى نصف الدائرة الثانية فهو وإن كان لا يشاهد الإمام؛ لأنّ الكعبة تحول بينهما إلّا أنّه يشاهد الإمام بوسائط ولايقاس المقام بصلاة الإمام بالمقصورة، فإنّ مقصورة المسجد كانت بشكل يحجز عن دخول الغير ولم يكن الإمام مشاهداً مطلقاً و إنّما يطلع المأمومون على أحواله من الركوع والسجود بواسطة تكبير المكبرين.

أضف إلى ذلك انصراف ما دلّ على عدم وجود الحائل عن هذا النوع من الحائل الّذى اقتضته طبيعة صلاة الجماعة فى ذلك المكان.

۱- الحج: ۲۹.

۲- الوسائل ۵: الباب ۶۲ من أبواب صلاة الجماعة، الحديث ۲.

۳- جواهر الكلام ۱۵۹: ۱۳.

ص: ۱۴

إلى هنا درسنا الإشكالات الثلاثة فی المقام، وقد عرفت أنّ الإشكال الثانی أقوى من الأول و الأخير، فالاقتصار فی إقامة الصلاة جماعة على نحو الاستدارة على ما لايوجد فيه أحد الموانع الثلاثة هو الأحوط.

الاستدلال على الصحة بالسيرة

إنّ قسماًمن الفقهاء استدلّوا على الصحة بالسيرة وفی مقدّمتهم الشهيد الأوّل فی «الذكرى» حيث قال: ولو استداروا صحّ للإجماع عليه عملًا فی كل الأعصار السالفة. (۱) وقد ايدت السيرة بأنّ أصحاب النبی (ص) فی عام الفتح بلغوا عشرة آلاف أو أكثر، فكيف يمكن لهم الصلاة فيه بنحو الخط المستقيم؟ بل بلغ عدد المرافقين فی حجة الوداع إلى مائة ألف.

وهذه السيرة الّتی لم يعترض عليها أئمة الشيعة خير دليل على كونها أمراً مقبولًا عندهم. (۲) يلاحظ عليه: أنّ كل ما ذكروه حول هذه السيرة نابع عن عدم الوقوف على وقت بدء الصلاة بهذه الكيفية، وقد عرفت أنّ أول من أدار هو خالد بن عبدالله القسرى، وأنّ السبب للاستدارة هو ضيق المكان على الناس فی صلاة التراويح، ولم يكن هذا الملاك موجوداً فی الصلوات اليومية.

وأمّا عدم سعة المسجد الحرام للآلاف المؤلفة فهو أمر صحيح لكنّه ليس دليلًا على إقامة الصلاة فی المسجد الحرام، بل ربّما أقامها النبی (ص) خارج المسجد، خصوصاً أنّ النبی (ص) أقام خارج مكة وقد سُئل عن السبب فقال، لم يترك عقيل لنا بيتاً فی مكة.

وحقيقة الكلام: أنّ المسجد الحرام لم يكن بهذه السعة ولم يكن أيضاً كافياً حتّى ولو أقاموا الصلاة مع النبی (ص) استدارة، وهذا ابن الجوزی يصف لنا بناء المسجدالحرام ويقول: إنّ المسجد الحرام كان صغيراً ولم يكن عليه جدار، إنّما كانت الدور محدقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب دوراً فهدمها، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً، ثم وسع المسجد عثمان بن عفان واشترى من قوم، ثم زاد ابن الزبير فی المسجد واشترى دوراً وأدخلها فيه، وأول مَنْ نقل إليه أساطين الرخام وسقفه بالساج المزخرف الوليد بن عبدالملك، ثم زاد المنصور فی شقه الشامی ثم زاد المهدى، وكانت الكعبة فی جانب فأحب أن تكون وسطاً، فاشترى من الناس الدور ووسطها، ثم توالت الزيادات فيه إلى يومنا هذا. (۳)***

۱- الذكرى: ۱۶۲.

۲- المحقّق الاصفهانی، صلاة الجماعة: ۱۳۶.

۳- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن لأبی الفرج بن الجوزی ۳۵۸: ۱.

ص: ۱۵

الحج رموز و حكم

الوقوف في عرفات

الوقوف في أرض عرفات في النصف الثاني من يوم عرفة- و هو يوم التاسع من ذي‌الحجة- هو أوّل مرحلة من مناسك حج التمتع بعد إحرامه، كما عرض الله تعالى مناسك الحج لإبراهيم (ع) وعلّمه، وهو الحج الإبراهيمي الذي عُلّمه رسول الله (ص).

يكفي في أهمية عرفة ما قاله الإمام الصادق (ع): «من لم يغفر له في شهر رمضان لم يغفر له إلى قابل، إلّا أن يشهد عرفة»، (۱) إنّ من الذنوب ما لا يغفر إلّا بعرفة والمشعر الحرام. (۲) أسرار الوقوف

يقول الإمام علي (ع) حول سرّ الوقوف بعرفات: «لأنّ الكعبة بيته والحرم بابه، فلما قصدوه وافدين، وقفهم بالباب يتضرّعون» (۳)، من هنا كان ليوم عرفة وليلته أدعية خاصة، هي من فضائل يوم عرفة البارزة ووظائفه الهامة.

إنّ أسرار الوقوف بعرفات كثيرة، وقد أشير إلى بعضها في حديث الشبلي المتقدم، وهي:

۱. على الحاج بوقوفه في عرفات أن يقف على المعارف والعلوم الدينية، ويطّلع على الأسرار الإلهية في نظام الخلقة، ويعلم أنّ الله سبحانه واقف على كل حاجاته، وقادر على رفعها بأجمعها.

من هنا يقول الإمام السجاد (ع) للسائل الذي استجداه في يوم عرفة:

«ويحك! أغير الله تسأل في هذا اليوم. إنّه ليرجى لما في بطون الحبالي في هذا اليوم أن يكون سعيداً». (۴) إنّ من يطلب هنا من غير الله تعالى يضر بنفسه، هؤلاء يقول الإمام السجاد (ع) فيهم: «هؤلاء شرار من خلق الله، الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس».

(۵) ۲. على الحاج أن يدرك في عرفة أنّ الله تعالى مطلع على ما يظهر ويعلن وما يسر ويخفي، حتى ما يخفى على الحاج نفسه و يكون مستكناً بطريقة لا شعورية في أعماقه، عندما يعلم الإنسان أنّ قلبه في محضر الحق تعالى ومشهده، يتجنب الذنوب الجوانحية كما يتحاشى التلوث بالذنوب الجوارحية، وينزه قلبه على الخواطر السيئة والملوثة.

يقول الإمام السجاد (ع): «... الله عزّوجل إذا كان عشية عرفة وضحوة يوم منى، باهى كرام ملائكة بالواقفين بعرفات ومنى، وقال لهم: هؤلاء عبادي وإمائي حضروني ههنا من البلاد السحيقة البعيدة شعثاً

۱- الكافي ۶۶: ۴.

۲- بحار الانوار ۲۶۱: ۹۶.

۳- الكافي ۲۲۴: ۴، و انظر: المصدر السابق: ۴۶.

۴- وسائل الشيعة ۲۸: ۱۰.

۵- بحار الانوار ۲۶۱: ۹۶.

ص: ۱۶

غبراً، قد فارقوا شهواتهم وبلادهم وأوطانهم وأخدانهم ابتغاء مرضاتی، ألا فانظروا إلی قلوبهم وما فیها، فقد قویت أبصارکم یا ملائکتی علی الاطلاع علیها، فتطلع الملائکة علی قلوبهم فیقولون ...». (۱) تملک الملائکة بعض الاطلاع علی الغیب، وعندها معلومات عن الکثیر من مسائل ما بعد الطبیعة، إلّا أنّ ستر الحقّ تعالی ولطفه ورحمته لا یسمحان للملائکة- من أولئک المعنیین بتسجیل أعمال البشر وخواطرهم- بفهم الکثیر من أسرار الناس، إلّا أنّه وفقاً للحدیث المتقدم یطلع الملائکة فی یومی عرفة والعید بإذن من الله تعالی علی خفایا قلوب الزائرین، ویرون أنّ قلوب بعض الحجاج سوداء جداً تتعالی منها خیوط الدخان الأسود، وهنا یقول الله سبحانه للملائکة: أولئک الذین لم یصدّقوا النبی (ص) ولم یعتبروه صادقاً- والعیاذ بالله- ویقولون عن بعض ما یتصل بخلافة أمیرالمومنین علی (ع): إنّ رسول الله (ص) لم یفعل ذلک ولم یصدر منه هذا! ثم یری الملائکة فریقاً آخر قلوبهم نیّرة، وهنا یقول الله سبحانه: إنّ هؤلاء کانوا یطیعون الله ورسوله، ویعتبرون النبی (ص) أمیناً علی الوحی وأنه لم یقل شیئاً من عنده، وأنّ کل ما قاله وأتی به- بما فی ذلک الإمامة والقیادة من بعده- إنّما صدر عنه طبقاً لما جاءه من الوحی.

وسرّ ذلک کما أسلفنا فیما مضی، أنّ الولایة هی سرّ الأعمال کافة، فالمؤمنون الحقیقیون یبلغون سرّ الولایة، فیصلون أسرار الحج، فیظهرون فی أرض عرفات بصورة الإنسان الواقعی، فیفتخر الله بهم فی مقام الفعل.

نعم، إنّ ما جاء فی الحدیث الشریف لیس قضیّة تاریخیة، ولیس من نوع «قضیة فی واقعة» ینحصر بمراسم الحج وأیام عرفة، وعید الأضحی، إنّ هذا المشهد مستمر متواصل، غایته أنّ ظهوره التام یکون فی الحج.

۳. یصعد (۲) بعض الحجاج یوم عرفة علی «جبل الرحمة» (۳)، والسّر فی الصعود أعلی الجبل أن یعلم الإنسان أنّ الله تعالی رؤوف رحیم بکل مسلم من ذکر أو أنثی و أنه متولیهم، فالله وإن کانت له بالنسبة للجمیع ولایة تکوینیة وهو ولیّ الجمیع (۴)، ومع أنّ رحمته عامة وشاملة للموجودات کافة، (۵) إلّا أنّ له رحمة خاصّة بالمتقین، قال سبحانه: وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْءٍ فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ وَ یُؤْتُونَ الزَّکاةَ وَ الَّذِینَ هُمْ بِآیاتِنا یُؤْمِنُونَ (۶)

۱- المصدر السابق: ۲۵۹.

۲- إنّ ما ذکرناه فی المتن أعلاه الصعود علی جبل الرحمة ناظر إلی حدیث الشبلی، والّا فبناءاً علی رأی مشهور الفقهاء، الأفضل الوقوف یوم عرفة أسفل الجبل وفی الأرض السهلة، فیما الصعود علی الجبل مکروه، فقد سئل الإمام الکاظم ۷ عن الوقوف بعرفات فوق الجبل أحبّ إلیک أم علی الأرض؟ فقال: «علی الأرض..»، وسائل الشیعة ۱۱: ۱۰. وقال الإمام الصادق ۷: «عرفات کلّها موقف وأفضل الموقف سفح الجبل»، الکافی ۴۶۳: ۴. وفی روایة أخری ورد: «عرفات کلّها موقف وما قرب من الجبل فهو أفضل»، وسائل الشیعة ۱۹: ۱۰.

۳- یقع الجبل الرحمة فی أرض عرفات، وقد وقف رسول الله ۹ علی مرتفع حجری فیه وألقی الخطبة المعروفة بعرفات، کما أنّ الإمام الحسین ۷ قرأ دعاء یوم عرفة علی سفح هذا الجبل، وتوجد هناک قبة باسم آدم ۷ تکره الصلاة عندها.

۴- الکهف: ۴۴.

۵- الأنعام: ۵۴.

۶- الأعراف: ۱۵۶.

ص: ١٧

۴. يقع على جانب من أرض عرفات يماسّ الحرم جبلٌ يسمى ب- «نمرة» وفى تلك المنطقة مسجد يأخذ هذا الإسم أيضاً، إنّ معنى الحضور فى نمرة هو: يا الله! لا آمر بشيء إلّا أن أكون مؤتمراً به قبل ذلك، ولا أدع شيئاً إلّا وأكون قد حذرته من قبل وتجنبته.

لم ترد فى شروط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يكون الآمر والناهى عادلًا طاهراً النفس، وإنّما المطلوب هناك هو العلم بالمعروف والمنكر، واحتمال التأثير فى الأمر والنهى؛ إلّا أنّه باطن ذلك يرجع وفقاً للأساس الذى يقوم عليه سرّ الوقوف فى (نمرة)؛ إنّ العدالة، أى أنّ على الآمر بالمعروف أن يأتمر بما يأمر به، والناهى عن المنكر أن ينزجر عما ينهى عنه.

۵- على الحاج عند حضوره فى وادى «نمرة» المعبّر عنه فى حديث الشبلى ب- «نمرات» أن يدرك أنّ هذه الأرض هى أرض شهادة ومعرفة وعرفان، أى كما أنّ الله تعالى وملائكته شاهدون، فإنّ هذه الأرض الواسعة هى أيضاً شاهدة على أعمال زوار بيت الله الحرام، وتعلم بأى نية أتى بها؟ وبأى دافع يرجع؟ بماذا تشهد؟

عرفات أرض الدعاء

يتضح دور الدعاء فى الوصول إلى الرحمة الإلهية الواسعة من خلال كلام الإمام الصادق (ع)، حيث قال: «الدعاء كهف الإجابة كما أنّ السحاب كهف المطر»؛ (١) فكما أنّ السحاب مقرّ المطر، كذلك الدعاء مقرّ الإجابة وموطنها، وبعبارة أخرى: الإجابة تقع فى داخل الدعاء، تماماً كمايستقرّ المطر ويخزن فى الغمام.

إنّ حالات الحياة كلّها مناسبة للدعاء والتضرّع، إلّا أنّ فترة الحج الزاخرة المعطاءة والحضور فى مواقفه يمنع الدعاء هيبةً وعظمةً، ويقدم له تأثيراً إضافياً وافراً، فكما أنّ الدعاء من ضمير صاف مورد للقبول، وللإحرام وصوب الكعبة الحرّ الطاهر أثراً خلاقاً فى تصفية هذا الضمير، لذلك كان للتضرّع فى الحج والدعاء فى مواقفه أفضل الآثار وأسماها، من هنا كان لكل برنامج فى الحج قوانينه ونظمه الخاصة فى مجال الدعاء، وعمدة ذلك كلّه هو دعاء عرفة فى صحراء عرفات.

يوم عرفة هو يوم الدعاء والتضرّع، فصحيح أن صيام هذا اليوم مستحبّ إلّا أنه لو كان الصوم موجباً لحصول الضعف للإنسان بحيث لا يتمكن من الدعاء، فإنّ الدعاء يكون مقدماً على الصيام حينئذ. (٢) لقد نقلت لنا روايات كثيرة حول أعمال يوم عرفة وعند الوقوف فى عرفات، لاسيما فيما يخص كيفية الدعاء، حيث تتحدث بعض هذه المرويات عن خصوص أدعية ذلك اليوم فيما يتحدث بعضها الآخر عن الترغيب فى الدعاء للآخرين، حتّى أنّ بعض تلامذة أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) كان كلّ همّه فى هذا اليوم فى تلك الأرض التى تستجاب فيها الدعوات أن يدعو لغيره.

ينقل على بن إبراهيم فى هذا المجال عن والده إبراهيم بن هاشم أنه قال: رأيت عبدالله بن جندب فى الموقف، فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه، مازال مادّاً يديه إلى السماء، ودموعه تسيل على خديه حتّى تبلغ الأرض، فلما صدر الناس قلت له: يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك، قال: والله ما

١- الكافى ۴٧١: ٢.

٢- بحارالأنوار ١٢٣: ٩۴- ١٢۴.

ص: ۱۸

دعوت إلّا لإخوانی، وذلک أنّ أبا الحسن موسی (ع) أخبرنی أنّ «من دعا لأخیه بظهر الغیب نودی من العرش ولک مائة ألف ضعف مثله»، فکرهت أن أدع مائة ألف مضمونة لواحدة لا أدری تستجاب أم لا. (۱) قرب الله من عباده

للحج مواقف ومناسک، کل واحدة منها تحمل خصوصیة لا تحویها التالیة، أو تحوی قدراً بسیطاً منها، من هنا وبقرینة الحدیث النبوی الشریف: «الحج عرفة» (۲)، لیس من البعید أن تظهر فی عرفات معرفة لا تتحقق فی أی مکان آخر، فالحج سبب لتعالی الإنسان، ونیله أعلی قمم عالم الإمکان، أی «الخلق العظیم» ببرکة هذه المعرفة الخاصة التی لا تتحقق إلّا فی عرفات.

فلیوم عرفة وأرض عرفات مقام خاص لیس میسّراً إلّا بأن یحقق الحاج خصائص الأزمنة والأمکنة الأخری فی الحج لیکون مهیئاً لإدراک الدعاء، وبذلک تتعلّق الروح بعزّ العرش الإلهی، فتصل إلی معدن العظیم وتصبح عظیمةً. (۳) إنّ لقرب الله تعالی من عباده مراتب ودرجات، حیث یمکن الوصول إلی المرحلة اللاحقة بطیّ ما قبلها، وخصوصیة ذلک منحه شعاعاً جدیداً من التضرّع، وانجذاباً مستحدثاً للدعاء، إنّ هذه المراتب بعضها أقرب من الآخر، وهی بناءاً علی الآیات القرانیة کالتالی:

۱. وفقاً للآیة الشریفة: وَ إِذا سَأَلَکَ عِبادِی عَنِّی فَإِنِّی قَرِیبٌ أُجِیبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ (۴) إنّ القرب الإلهی بلغ أنّ الله تعالی فی هذه الآیة لم یقل لنبیه: فقل لهم، بل بادر هو إلی الجواب بشکل مباشر، مذکّراً بقربه من عباده.

۲. إنّ الله قریب من المحتضر المشرف علی الموت أکثر من قرب أقربائه ولکن الناس لاتری ذلک، قال تعالی: وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْکُمْ وَ لکِنْ لا تُبْصِرُونَ. (۵) ۳. قال تعالی: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَیْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِیدِ (۶)، فهو أقرب من الإنسان من شریان حیاته.

۴. إنّ الله تعالی أقرب إلی الإنسان من نفسه؛ إن فهم هذه المرحلة فهماً صحیحاً وکذلک فهم الکلام النیّر لأمیرالمومنین (ع): «هو فی السماء علی غیر ممازجة، خارج منها علی غیر مباینة» (۷)، إنما یسهل ذلک فی

۱- الکافی ۵۰۸: ۲، و ۴۶۵: ۴.

۲- المحجة البیضاء ۲۰۴: ۲.

۳- مفاتیح الجنان، المناجاة الشعبانیة.

۴- البقرة: ۱۸۶.

۵- الواقعة: ۸۵.

۶- ق: ۱۶.

۷- بحار الأنوار ۲۷: ۴.

ص: ۱۹

ضوء قوله تعالى: يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعـاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. (۱)

على الحاج طيّ هذه المراحل الأربع ليبلغ نهايتها، وهذا ما لا يحصل إلّا للموحّدين الحقيقين الخالصين.

وخلاصـة القول، إنّه لاريب فى القرب الإلهى، والحجاب الوحيـد بين العبد ومولاه هو العبد نفسه وذنوبه، «ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه» (۲)، و «أنّ الراحـل إليـك قريب المسافـة، وأنّك لاتحتجب عن خلقك إلّا أن تحجبهم الأعمال دونك» (۳)، ولكى يتحرّر الإنسان من هـذا الحجاب لابـد له من السـفر عن ذاته والرحيل، وعليه أن يهاجر عن رغباته ومراداته لكى يكون مصداقاً لقوله تعالى: وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَ كـانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً. (۴)وإذا اسـتطاع الإنسان أن ينجو من رؤية الذات فإنّ مشاهدة الأسـرار الإلهية، ونيل جنة اللقاء يصبح مسيراً مفتوحاً أمامه.

إنّ أيّام الحج ومناسـكه لاسيما أرض عرفات هى أكبر فرصة للتحرّر من رؤية الذات، وللهجرة من بيت النفس، لقد بيّن القرآن الكريم هـذه الهجرة فى المكانة بقوله: وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵)، فمن يهاجر الرجز والانحطاط، ويخرج من ضـيق الطبيعة، ثم يواجه موتاً أمامه، فإنّ أجره سيكفله الله تعالى، قال سبحانه: وَ مَنْ يُهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً وَ سَعَةً وَ مَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهاجِراً إِلَى اللهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَ كانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً. (۶) مقاطع من دعاء عرفة للإمام الحسين (ع)

تختزن أدعيـة الحـج الخاصـة الكثير من البركـات الزمانيـة والمكانيـة وغيرهـا، وأفضـل مناجـاة وتضـرع تبيّن كـذلك الأبعاد السياسـية والعباديـة للحـج والزيارة هو دعاء عرفـة، لسـيد شـهداء حىّ الشـهود والشـهادة الإمام الحسـين بن على (ع)، فهو فى هـذا الدعاء أعطى الأوامر بمواجهة الكفر، ومحاربة سبيل الطاغوت، والوقوف الشـجاع أمام المجرمين، بتأسـيس منهج مواجهتهم واسـقاطهم، كما أنه من جهـة أخرى دلّل على مـدح الدولـة الإسـلامية وتقـديرها، وظهور الولايـة الإلهية، وعلى خط ثالث كشف عن التجلّى الوجودى للذات الإلهيـة الأقـدس، وظهورهـا الشامـل التام مع خفاء كل ما سواها فى ضوئها وشـعاعها، وفهمه به، وإسـقاط قيمـة غيره، ومعرفـة غيره به، لتكون ذاته الغنية عن أن يستشهد لها.

وهذه بعض ملامح ومؤشرات هذا الدعاء:

۱- الأنفال: ۲۴.

۲- بحار الأنوار ۳۲۷: ۳.

۳- مفاتيح الجنان، دعاء أبى حمزة الثمالى.

۴- النساء: ۱۰۰.

۵- المدثر: ۵.

۶- النساء: ۱۰۰.

ص: ۲۰

في مقطع من هذا الدعاء يتحدّث عن القدرة الإلهية فيقول: «وهو للدعوات سامع، وللكربات دافع، وللدرجات رافع، وللجبابرة قامع».

وفي موضع آخر يتحدث الدعاء عن عناية الله تعالى بدولته، والعيش في كنفها، والنجاة من الكفر وحكّامه، إنّه يخاطب الله تعالى فيقول: «... لم تخرجني لرأفتك بي ولطفك لي وإحسانك إليّ في دولة أئمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك، لكنك أخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي له يسّرتني وفيه أنشأتني».

لقد بيّنت في بعض مقاطع هذا الدعاء الشريف أعلى مراتب التوحيد، ففي بعضها جرى الحديث بشكل واضح وصريح، بأنّ فهم الله والوصول إليه عبر آثاره وآياته كبلوغ الشمس في جوّ صاف ونيّر عبر ضوء الشمعة الضعيف، لأنّ الذات الإلهية الأقدس هي أظهر من كل ظاهر وأنور من كل نور، فلم تغب قطّ ولا تغيب أبداً، حتّى تحتاج إلى من يدل عليها، والعارف لايرى قبله سواه ثم يرى بعده آثاره.

لقد جاء في بعض المقاطع الأخيرة لهذا الدعاء ما يلي: «إلهي تردّدي في الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتّى يكون هو المظهر لك؟ متّى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتّى بعدت حتّى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت [(۱)] عين لا تراك عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً ...». [(۲)] إنّ الإمام الحسين (ع) يخاطب هنا ربّه: إلهي! وإن كان العالم كلّه آيات توحيدك وعلاماته لكن لا ترجع إلى هذه العلامات، فإنّك إن أرجعتني إلى العلامات الآفاقية أو الأنفسية كي أصل عبرها إليك فسوف يطول الطريق، أظهر لي نفسك، فإنّ هذه الآثار عاجزة عن أن تجليك بصورة ناصعة تامّة، حتّى أرض عرفات ومكّة ومواقف الحج التي قلت فيها:

فِيهِ آياتٌ بيّناتٌ. [(۳)] لا تملك ظهوراً يُظهرك ويجليك.

إلهي! أنت اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الأَرْضِ [(۴)]، فأنت أوضح من أي علامة وأقرب إليّ منها، فلماذا تحيلني عليها؟ ربي! إنّ الاستدلال يكون لبلوغ الغائب فمتى كنت غائباً حتّى ألتجئ إليه؟! فأنت بنفسك قلت: أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [(۵)]، فأنت غير محتاج إلى دليل حتّى أستعين بالآيات فأصل إليك، فاظهر على قلبي بالشهود بلاواسطة حتّى أراك.

من المناسب أن يكون هذا الدعاء لبّاً لكل العبادات، فالعبادة ليست سوى ما يحقق مجالًا لظهور المعبود لا غير، فلا يطلب بها سواه، ولا يقصد من ورائها إلّا معرفته بنفسه.

۱- أخطأ بعض المترجمين لهذا الدعاء عن العربية ففسّروا «عميت» و «خسرت» بالدعاء على هذه العين والصفقة، مع أنهما إخبار لا إنشاء تنبئان عن أمر غير مشهود.

۲- مفاتيح الجنان، دعاء عرفة للإمام الحسين ۷.

۳- آل عمران: ۹۷.

۴- النور: ۳۵.

۵- فصلت: ۵۳.

ص: ۲۱

لقد منح هذا الدعاء الحکماء الإسلامیین المتألهین، برهان الصدیقین وعلّمهم إیاه، ودفع العرفاء لشهوده، وحذّر العباد وأتعظ السالکین، حتّی یضعوا أقدامهم فی الوادی الأیمن، ویطأوا الطریق لبلوغ عین الهدف، فإنّ الوصول إلی الله من الله، یعنی نیل المقصود من المقصد.

حضور إمام الزمان (ع) فی الحج

یحضر بقیة الله الحجة بن الحسن (ع) کل عام مراسم الحج، لاسیما فی عرفات ومنی، وفی هذا یقول الإمام الصادق (ع): «یفقد الناس إمامهم، یشهد الموسم فیراهم ولا یرونه» (۱)، ویقول النائب الخاص لإمام الزمان (ع)، محمد بن عثمان العمری؛: «والله إنّ صاحب هذا الأمر لیحضر الموسم کل سنة، یری الناس ویعرفهم ویرونه ولا یعرفونه». (۲) إنّ الکثیر ممّن تری علی یدیه وتلمّذ یکون حاضراً فی الموسم، ویطلعون بعنایته الخاصّة علی ملکوت الأفراد.

الأمر الجدیر بالذکر هنا، أنّه لیس المقصود أنّ حلّ مشکلات الحجاج، أو أیّ عمل خارق للعادة، وکرامة تقع فی أیام الحج وفی أرض منی وعرفات، فلابد أن تکون للید المبارکة لإمام الزمان (ع) دور مباشر فیها، فقد یتیه عجوز أو غریب عن منزله أو یظلّ بلا زاد ولا راحلة وسط الطریق، فیعینه ویرشده ولیّ من الأولیاء الإلهیین الذین تربوا فی مدرسة ولایته (ع).

إنّ التشرف والحضور المباشر فی المحضر النورانی لإمام الزمان- أرواحنافداه- یحتاج لخواص ولیاقات لازمة، من هنا لا یوفق إلّا الأوحدی من الموحدین کی یحضر إلیه الوجود المبارک للحجة (ع)، نعم عنایته (ع) شاملة للأولیاء والصالحین والشهداء الذین ربّاهم، وهم یقومون بحلّ مشکلات الآخرین بأمر منه (ع).

الوقوف فی المشعرالحرام

یجب علی الحاج- بأمر من الله تعالی- أن یخرج بعد غروب الشمس فی التاسع من ذیالحجة من أرض عرفات، ویتجه نحو المشعرالحرام، قال سبحانه: لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّکُمْ فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْکُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَ اذْکُرُوهُ کَما هَداکُمْ وَ إِنْ کُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّینَ (۳)، ویقضی لیلة هناک.

إنّ الوقوف فی المشعر من أرکان الحج کالوقوف بعرفات تماماً، وهنا یشتغل الحجاج فی بعض هذا اللیل بجمع الجمار لرمی الجمرات بها فیما بعد.

۱- الکافی ۳۳۷: ۱- ۳۳۸.

۲- من لا یحضره الفقیه ۵۲۰: ۲.

۳- البقرة: ۱۹۸.

ص: ۲۲

المشعر الحرام یقع فی الحرم وهو أوّل مدخل یؤتی الحرم منه (۱)، فمن یعرف فی یوم عرفة وأرض عرفات العلوم والمعارف الإلهیة ویتعبّد بالآداب الدینیة الخاصّة، یلیق به أن یرد الحرم وأن یبین عند مدخله فیجمع الجمار کی یرمی بها فی الیوم العاشر جمرات منی والشیطان.

إنّ سرّ الوقوف فی المشعرالحرام والمبیت فیه أن یذکّر الحاج قلبه بشعار التقوی ویجعل عنوان قلبه الخوف والتقوی، (۲) فیعرف بها، وشعار کل قوم هو المعرّف لهم، وعلیه فالتقوی مع وجودها فی تمام مناسک الحج، إلّا أنّ تجلّیها الخاص یکون عند الوقوف فی المشعرالحرام ویظهر مشهوداً للواقفین علی الأسرار.

عندما یقف الحاج فی المزدلفة، ویجمع الحصیات، إنما یأخذ القوة ویتسلّح لمحاربة الشیطان، ویهبّ مواجهاً لأی عصیان، ویحلق رأسه فی محضر الطاعات.

وعندما تطلع الشمس وینتهی المبیت فی المشعرالحرام، یتجه الحاج إلی منی فیدخلها، وهنا یستحبّ له عند حرکته إلیها أن یسیر برفق وحدود، و لایتمایل یمیناً ولا شمالًا، ویطوی المسافة الفاصلة بین المشعر ومنی فی المسیر المحدّد، وسرّ هذا الحکم أن یتعلّم الحاج الحرکة علی الصراط المستقیم، فلایمیل إلی الشرق ولا إلی الغرب؛ لأنّ الیمین والیسار انحراف، والسبیل الوسط هو الصراط المستقیم. «الیمین والشمال مضلّة، والطریق الوسطی هی الجادّة». (۳) الإفاضة إلی منی والمبیت فیها

یتوجّه الحجاج إلی منی بعد طلوع الشمس من العاشر من ذی الحجة، عقب مضیهم اللیلة السابقة فی سفرهم من عرفات إلی المشعر والوقوف فیه، وذلک لکی یؤدی أعمال منی الخاصّة.

وهنا یتحدث الإمام السجّاد (ع) مع الشبلی فیقول له: «وصلت منی، ورمیت الجمرة، وحلقت رأسک، وذبحت هدیک، وصلیت فی مسجد الخیف، ورجعت إلی مکة، وطفت طواف الإفاضة؟...»

یحبّ الإنسان الخلود، من هنا یأمل فی تهیئة ما یظلّ معه دائماً، فالذی یفکر فی جمع المال یرتکب خطأ، ویکون فی واقع الحال قد ترک تهیئة نفسه ولم یجمع سوی الوزر والوبال علیه، أما ذاک الساعی فی الإنتاج، والقانع فی المصرف والاستهلاک، والناجح فی توفیر الحلال مما یملکه، أی إنه عزیز الإنتاج قلیل الاستهلاک، لایقل ولایمل، ویحل مشاکل الآخرین طلباً لرضا الله تعالی.. إنّ مثل هذا الشخص یرسل رأس ماله مسبقاً إلی القیامة والدیار الأبدیة، وبالموت یبلغ ماله ویصل إلیه.

وخلاصة القول: إنّ الفریق الأول لدیهم أمل مذموم، أما الفریق الثانی فعنده التمنی الممدوح، ومنی هی أرض نیل الأمانی الصادقة، لا تلک الکاذبة، و الآمال الباطلة، والمُنی الفاسده.

لقد سأل الإمام السجاد الشبلی فقال له: «أخرجت إلی منی؟ قال: نعم. قال: نویت أنک آمنت الناس من لسانک وقلبک ویدک؟ قال: لا. قال: فماخرجت إلی منی.»

۱- الکافی ۲۲۴: ۴؛ وانظر المصدر السابق: ۴۶.

۲- أنظر: حدیث الشبلی المتقدم.

۳- نهج البلاغة، الخطبة: ۱۶، الفقرات: ۷- ۸.

ص: ۲۳

وعليه، فعلى الناس أن ترتاح بخاطرها من لسان الحاج ويديه وقلبه، بمعنى أنّ الحاج لا يذهب بماء وجه أحد، لا بنحو الجدّ ولا بنحو الهزل تحت مسميات الطرفة والنكتة السافرة، الملفوظة أو المكتوبة، ليس ارتياح الناس في لسان الحاج ويديه، بل من قلبه أيضاً حيث لاينال بالسوء أحداً، فالضرر القلبي والأذية القلبية هي أن يختزن الصدر حقداً على أحد أو يحسده ويضمر له السوء.

تصفية المناسك من العادات الجاهلية

لقد شرّع الله تعالى لعرفات، والمشعر ومنى أحكاماً، ولكل حكم من هذه الأحكام حِكَمٌ مبيّنة، كالأمر بالتعظيم، وذكر اسم الله، و تذكّره وشكره على نعمة الهداية الإلهية. (۱) ومن أرفع رسالات الحج نشر العقائد التوحيدية، فإلى اليوم مازال هناك الملايين من الناس في أرجاء العالم يعبدون الأوثان، نعم إنّ عبادة الأوثان اليوم لم تعد مذهباً ومدرسة عريقة راسخة، فتطوّر العلم سحب البساط من تحت الأصنام وعبادتها، لكن إذا لم يجر نشر العقائد التوحيدية وبسطها في أرجاء المعمورة، فإنّ الخطر سيظل قائماً في ضلالة الملايين من الناس بإضلال من الآخرين، فيقعون في الإلحاد واللادينية، فبدل أن ينتقلوا من الديانة الباطلة إلى الديانة الفضلى، ينتقلونا منها إلى اللادينية!!

لقد جرت سنّة الجاهلية على أنه بعد الفراغ من الحج يجتمع الناس في منى، ويتفاخرون بقوتهم وأعرافهم وأنسابهم، فيذكرون أصولهم المعرفية وآباءهم بالشعر والنثر، معتمدين في ذلك على القيم الجاهلية، ككثره عدة أفراد القبيلة وعدتها، وقدرتها على الحرب والغارة.

أما نظام الحج في الإسلام، فقد قضى علىهذا النظام الجاهلي المهترئ واستبدله ببيان نظام إلهي قيمي هدى الناس إليه، وأمر بعد إتمام المناسك في منى بذكر الله كثيراً، وطلب المغفرة منه، وإرادة الحسنات وقد جاء في إحدى الروايات:

قال رجل لعليبنالحسين (عليهما السلام): يا ابن رسول الله! إنّا إذا وقفنا بعرفات و منى وذكرنا الله ومجّدناه وصلّينا على محمد وآله الطيبين الطاهرين ذكرنا آباءنا أيضاً بمآثرهم ومناقبهم وشريف أعمالهم نريد بذلك قضاء حقوقهم.

فقال علي بن الحسين (ع): «أولا أنبئكم بما هو أبلغ في قضاء الحقوق من ذلك؟» فقالوا: بلى يا ابن رسول الله. قال (ع): «أفضل من ذلك وأولى أن تجدوا على أنفسكم ذكر توحيد الله والشهادة، وذكر محمد رسول الله والشهادة له بأنه سيدالنبيين، وذكر عليّ وليّ الله والشهادة بأنه سيد الوصيين، وذكر الأئمة الطاهرين من آل محمد الطيبين بأنهم عباد الله المخلصين، وبأنّ الله عزّوجلّ إذا كان عشية عرفة وضحوة يوم منى باهى كرام ملائكته بالواقفين بعرفات ومنى، وقال لهم: هؤلاء عبادي وإمائي حضروني ههنا من البلاد السحيقة البعيدة شعثاً غبراً، قد فارقوا شهواتهم وبلادهم وأوطانهم وأخدانهم ابتغاء مرضاتي ألا فانظروا إلى قلوبهم وما فيها، فقد قويت أبصاركم ياملائكتي على الاطلاع عليها». قال: «فتطلع الملائكة على قلوبهم فيقولون يا ربنا اطلعنا عليها، وبعضهم سود مدلهمة يرتفع عنها كدخان جهنم. فيقول الله: الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً (۲)

۱- البقرة: ۱۹۸- ۲۰۱.

۲- الكهف: ۱۰۴.

ص: ۲۴

تلک قلوب خاویهٔ من الخیرات، خالیهٔ من الطاعات، مصرّهٔ علی الموذیات المحرمات؛ تعتقد تعظیم من أهنّاه، وتصغیر من فخّمناه وبجّلناه؛ لئن وافونی کذلک لأشدّدن عذابهم ولأطلینّ حسابهم. تلک قلوب اعتقدت أن محمداً رسول الله (ص) کذب علی الله أو غلط عن الله فی تقلیده أخاه ووصیّه إقامهٔ أود عباد الله، والقیام بسیاساتهم، حتی یروا الأمن فی إقامهٔ الدین فی إنقاذ الهالکین، ونعیم الجاهلین، وتنبیه الغافلین، الذین بئس المطایا إلی جهنم مطایاهم. ثم یقول الله عزّوجلّ: یا ملائکتی! انظروا، فینظرون فیقولون: ربنا وقد اطلعنا علی قلوب هؤلاء الآخرین وهی بیض مضیئهٔ، یرتفع عنها الأنوار إلی السماوات و الحجب، وتخرقها إلی أن تستقرّ عند ساق عرشک یارحمان. یقول الله عزّوجلّ: أولئک السعداء الذین تقبل الله أعمالهم، وشکر سعیهم فی الحیاهٔ الدنیا، فإنهم قد أحسنوا فیها صنعاً. تلک قلوب حاویهٔ للخیرات، مشتملهٔ علی الطاعات، مدمنهٔ علی المنجیات المشرفات. تعتقد تعظیم من عظّمناه وإهانهٔ من أرذلناه. لئن وافونی کذلک لأثقلنّ من جههٔ الحسنات موازینهم ولأخفّفنّ من جههٔ السیئات موازینهم، ولأعظمنّ أنوارهم، ولأجعلنّ فی دار کرامتی ومستقر رحمتی محلّهم وقرارهم. تلک قلوب اعتقدت أنّ محمداً رسول الله (ص) هو الصادق فی کل أقواله، المحقّ فی کل أفعاله، الشریف فی کل خلاله، المبرز بالفضل فی جمیع خصاله، وأنه قد أصاب فی نصبه أمیرالمؤمنین علیاً إماماً، وعَلَماً علی دین الله واضحاً، واتخذوا أمیرالمؤمنین إمام هدی وواقیاً من الردی، الحقّ ما دعا إلیه، والصواب والحکمهٔ مادلّ علیه، والسعید من وصل حبله بحبله، والشقیّ الهالک من خرج من جملهٔ المؤمنین به والمطیعین له ...».

یقول أنس بن مالک، من ذلک عن الرسول الأکرم (ص) أنه قال: «إنّ الله تعالی یباهی بأهل عرفات الملائکهٔ، یقول: یا ملائکتی! انظروا إلی عبادی شعثاً غبراً أقبلوا، یضربون إلیّ من کلّ فجّ عمیق، فأشهدکم أنّی قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مُسیأهم لمحسنهم، وأعطیت محسنهم جمیع ما سألونی غیر التبعات التی بینهم. فإذا أفاض القوم إلی جَمْع ووقفوا وعادوا فی الرغبهٔ والطلب إلی الله، یقول: یا ملائکتی! عبادی وقفوا وعادوا من الرغبهٔ والطلب، فأشهدکم أنی قد أجبت دعاءهم، وشفعت رغبتهم، ووهبت مسیأهم لمحسنهم، وأعطیت محسنهم جمیع ما سألنی، وکفلت عنهم بالتعبات التی بینهم». (۱) وبناءاً علیه، من المناسب لزائری بیت الله الحرام عند المبیت بمنی، التباحث حول الأصول والعقائد؛ فإنّ لیالی منی لیالی درس، ولیست وقت إقامهٔ حفلات الأنس والمسامرات. وهنا یتم الحدیث عن التوحید والرسالهٔ والولایهٔ وأمثال ذلک، فینال الحاج فضیلهً علمیهٔ ومعنویهٔ، ویفی حقّ آبائه وأجداده بشکل أفضل؛ لأنّ نداءهم له بأنّ کل خیر نزل علینا فإنما هو بتوفیق وإمداد إلهی، فهو خیر حامد وخیر محمود، فبدل التفاخر بفضائلنا، علینا أن نحمده، ونثنی علی الأنبیاء والأولیاء الإلهیین (علیهم السلام) الذین کانوا واسطهٔ فی الفیض بیننا وبینه.

الحج فیّاض بإسم الله وذکره

۱- مستدرک الوسائل ۴۲: ۱۰؛ مجمع البیان ۷- ۱۲۹: ۸.

ص: ۲۵

نظراً لما يمتاز به الحج من ذكر خاص يقل مثيله فى سائر العبادات، فإنه يغدو أساساً لنيل الحاج شهود أمورٍ لا يشهدها غيره، فالحج وإن كان بنفسه مذكّراً بالله سبحانه، إلّا أنّ الذاهب إلى الحج يمنح فى بعض الأوقات حالةً ذكرية تنسيه غير الله ولا يعيره بها اهتماماً.

ذكر الله هو لبّ الحج وروحه، كما أنّ نسيان الله وآياته باعث على عدم القدرة على رؤية شهود أسرار مناسك الحج، وهو عمى سوف يظهر فى يوم القيامة، تماماً كما قال تعالى:

وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى* قالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمى وَ قَدْ كُنْتُ بَصِيراً* قالَ كَذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وَ كَذلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى (۱) فالحج الذى يذكّر بالله تعالى، يرى الحاج ما لايراه غيره ويكون عاجزين عنه ومحرومين منه، ولعلّه لهذا السبب جعل الله الحاج حرماً، ولم يجز إحلاله من إحرامه، إنّ الحاج نفسه شعيرة من شعائر الله، (۲) وما لم يرتكب ذنباً يظل بنفسه نورانياً .. «الحاج لا يزال عليه نور الحج مالم يَلُمَّ بذنب». (۳) تفاوت مراتب الحجّاج

ينقسم الحجاج الحاضرون فى منى- وفقاً للآية الشريفة فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آباءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً (۴) ومايليها من آية- إلى فريقين:

۱. من يذهب للحج للسياحة، والتجارة، والشهرة، وأمثال ذلك، فمنطق هؤلاء ومطلوبهم هو الدنيا، أ كانت حلالًا أم حراماً، وليس حسناتها، من هنا فهم لايقولون: رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وهؤلاء ليس لهم فى الآخرة حظّ ولا نصيب، لأنّ منتهى أفق رؤيتهم لم يكن سوى نشأه الطبيعة، قال تعالى: فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (۵) ۲. من يذهب للحج ويريد عن الله حسنات الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم من يعطيهم الله، قال سبحانه: وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَةً وَ فِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنا عَذابَ النَّارِ* أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللهُ سَرِيعُ الْحِسابِ. (۶) فمن حسنات الدنيا، المالُ الحلال، والأرحام، والأقارب المؤمنون، وأهل الفضل، القيام بالخدمات الاجتماعية، مجالس الأنس الإلهى، تعليم الكتاب والحكمة، التزكية، صلة الرحم وغير ذلك.

والدنيا بدون هذه الأمور ليس فيها حسنة حتى تطلب من الله.

۱- طه: ۱۲۴- ۱۲۶.

۲- المائدة: ۲.

۳- وسائل الشيعة ۶۸: ۸ ۳۲۸.

۴- البقرة: ۲۰۰.

۵- البقرة: ۲۰۰.

۶- البقرة: ۲۰۱- ۲۰۲.

ص: ۲۶

إنّ أعلی الحسنات وأعلاها مصداقاً، هو أجر رسالة النبی الأکرم (ص)، أی تولّی الأولیاء الإلهیین واتّباع العترة الطاهرین، قال تعالی: قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی وَ مَنْ یَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِیها حُسْناً (۱) رمی الجمرات

تجذب النباتات والحیوانات والإنسان- کلٌّ علی طریقته- کلَّ مایلائمه کما تدفع عنها کلّ ما لاینسجم معه، والجذب والدفع علی مستوی الطبیعة وعلی مستوی الأفراد العادیین تارةً تظهر بصورة الشهوة، والغضب؛ وأخری علی صورة المحبّة والعداوة؛ وثالثة بصورة الإرادة والکراهة ..

أمّا فی المؤمنین فتظهر الصورة بشکل أرقّ، وهی التولّی والتبری، فالحج الذی یبلغ مرحلة التولّی الحقیقی والتبری الصحیح، یتجلّی جذبه و تولّیه فی المبیت بمنی فی ذکر الله تعالی، کما یظهر دفعه و تبرّیه فی مناسک أیامها.

ولیکن القول- مع الأخذ بنظر الاعتبار- قوله تعالی حول ذبح الأضاحی: لَنْ یَنالَ اللهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لکِنْ یَنالُهُ التَّقْوی مِنْکُمْ. (۲)

إنّ بیان القرآن حول مجلی التبرّی- وهو رمی الجمرات- هو أنّ الحجارة لا ترجم الشیطان ولا تطرده، وإنما الذی یدفعه هو الانزجار الباطنی والداخلی لکم، فهذا هو الذی یجعل شیاطین الجنّ والإنس تفرّ، ویجعلک محمیاً من کل شیطنة داخلیة وخارجیة.

ولابد من الالتفات فی مسألة رمی الجمرات إلی أنّ تلک الجمرات لیست شیاطین، ولا ذلک الرمی للحجارة رمیاً للشیطان، لأنّ رمی الجمرات کان أمراً مرسوماً فی الجاهلیة، کما أنّ بعض شیاطین الإنس الیوم یمارسون رمی الجمرات هذا، فمن البدیهی أنّ الشیطان لایطرد برمیةٍ فیها سبعة أحجار، وإنما السبیل الوحید لطرده والبقاء فی مأمن من ضرره هو الاستعاذة العملیة، والتحصّن بالحصن الإلهی، قال تعالی: وَ إِمَّا یَنْزَغَنَّکَ مِنَ الشَّیْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ. (۳) إنّ رمی الجمرات بالحجارة ما هو إلّا تعبیر رمزی وإشاری إلی رمی الشیطان الداخلی والخارجی، وطرد شیاطین الجن والإنس، فإذا کان هناک شخص هو بنفسه شیطاناً إنسیاً، فإنه لن ینال شرف التبری، والرمی الحقیقی ولا لیاقتهما، تماماً کما إذا کان الشیطان قریناً لشخص، (۴) فإنه لن یتمکن من رمی قرینه، أی شیطانه.

۱- الشوری: ۲۳.

۲- الحج: ۳۷.

۳- الأعراف: ۲۰۰.

۴- الزخرف: ۳۶؛ النساء: ۳۸.

ص: ۲۷

إشارة: جرت سنّة العرب وعادتهم على أنه إذا غضبوا من شخص غضباً استثنائياً، فإنهم يرجمونه فی حياته ومماته، كما حصل مع أبی رغالة، قائد جيش أبرهة، فقد مات قبل الوصول إلی مكة، فعمد الناس إلی رجم قبره، وكذلك جرير الذی كان منافساً للفرزدق، نجده يقول:

إذا مات الفرزدق فارجموه كما ترمون قبر أبی رغال. (۱)

ذبح الأضاحی

يجب على الحجاج بعد رمی جمرة العقبة، وقبل حلق رؤوسهم، أو التقصير، ذبح بقرة أو غنم أو نحرجمل أضحية يوم العيد، قال تعالی: وَ لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ ... فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْیِ (۲).

إنّ هذه السنّة الإلهية الخاصّة فی الحج توجب تقرّباً خاصاً قلّما نجده فی أیّ عبادة أخرى.

وتوضيح ذلك أنّ الذبح أو النحر، لم يسلما فی الجاهلية من لوث الشرك، بل كانا كالتلبية، (۳) وصلاة المشركين، (۴) ممزوجين بالشرك، فطريقتهم أنهم بعد الذبح أو النحر كانوا يلطخون الكعبة بدم الأضحية، ويعلّقون قسماً من لحمها على الكعبة حتى يقبلها الله تعالی! (۵) أما الإسلام، فقد جعل للأضحية حرمة خاصة، بحيث لا يجوز إحلالها، قال تعالی: لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرامَ وَ لَا الْهَدْیَ وَ لَا الْقَلائِدَ (۶) ولإبعاد سنّة الجاهلية، وبياناً للتقرّب الناتج عن تقديم الأضحية، ربما سميت الأضحية أضحيةً، قال تعالی: لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ. (۷) لأنّ هذه الآية الشريفة طهرت الكعبة من سنن الجاهلية التی أشرنا إليها، كما طردت التوهم القائل: «بما أنّ الله لايحتاج للعالم وللناس، فلا يجب النحر والذبح على الحاج!» وذلك أنها شرّعت أصل التضحية رغم أنّ الله لايحتاج إلی لحومها، فالذی يصل إلی الله تعالی روح الفعل ولبّ العمل، أی التقوى، لا اللحم ولا الدم.

ومن حيث إنّ التقوى نعت وصفة خاصة تتحد مع المنعوت، فلافرق وجودیّ بين التقوى، ونفس المتقی المتحد معها، وعليه فإذا بلغت التقوى أوجها وكمالها، ووصلت- بالمعنى المعقول- إلی الله تعالی، فهذا

۱- دائرة معارف القرن العشرين ۴۶۵: ۹.

۲- البقرة: ۱۹۶.

۳- الكافی ۵۴۲: ۴.

۴- الأنفال: ۳۵.

۵- بحارالأنوار ۲۷۵: ۶۷.

۶- المائدة: ۲.

۷- الحج: ۳۷.

ص: ۲۸

معناه أنّ الحاج الـذى تكون أضـحيته خالصـة لله تعالى، يصل بنفسه إلى الله كما تصل تقواه إليه تعالى، لأنّ تقواه ليست شـيئاً غيره فى عالم الوجود، ولعلّه لهذه التقوى الثمينة التى وعد بها فى النحر، أطلق على يوم النحر يوم «الحج الأكبر». (۱) إنّ هذه التقوى ونيل نفس المتقى لله تعالى، هما الهـدف الرفيع الـذى يكون الحج وآدابه وسـننه المتعالية مظهراً له، وقد سـبق الإشارة لذلك عند حديثنا عن سـرّ الحج وثمراته، فليراجع.

وقفات حول التضحية و أسرارها

يمكن انطلاقاً مما تقدّمت الإشارة إليه، الحديث عن بعض النقاط ذات الصلة، وهى:

۱. إنّ الحكمـة من التضـحية هى تقرّب المضـحّى وتعـاليه مع تقواه نحو الله تعـالى، فمـا يصـل إلى الله إنما هو روح العمل وباطنه، قال تعـالى: لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها وَ لا دِماؤُها وَ لكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ. (۲) ۲. وعليه، إنما تقبل الأضحية إذا كانت التقوى معها، وكان روح ذبحها أو نحرها هى التقوى، وفقاً للآيـة الشـريفة: إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ. (۳) لايقبـل أى عمل بلا تقوى، كما أنه لو كان العمل مع التقوى لكن عـامله لم يراع تقوى الله فى غير هـذا العمـل، فإنّ هـذا العمل وإن قبل منه، لكن لايرتفع إلى الله كما ينبغى، لأنّ الله تعالى إنما يقبل العمل من العامل الذى تكون كل شؤونه- سواء فى هذا العمل أم فى غيره- قائمة على التقوى ومنتظمةً وفقها.

۲. كل عمل يقع بقصد القربة فهو أضحية، حيث ورد فى بعض الأحاديث «إن الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الإسلام». (۴) ۳. سرّ تقديم الأضـحية أنّ الحاج والمضحّى يتمسّكان بحقيقة الورع، ويقطع رقبة الشيطان ويقتله، (۵) وعليه فمجرّد ذبح البقرة، أو الماعز، أو نحر الجمل، ثم تركها دون تأمل فى سر هذا العمل، لايحقق أساس تعالى الحاج وتساميه.

۴. يقول الإمام الباقر (ع): «إنّ الله عزوجل يحب إطعام الطعام وإراقة الدماء». (۶) و من الممكن أن تكون الحكمة من ذلك فى ضمن حكمة اسـتفادة الجوعى والمحرومين، وانتفاعهم من لحم الأضـحية، رغم أنه فى هذا الزمان لايسـتفاد بشكل صحيح ومناسب من هذه السنّة الإلهية، و النظام الجامع و المفيد.

۱- التوبة: ۳؛ وسائل الشيعة ۸۶: ۱۰- ۸۸؛ و انظر المباحث السابقة.

۲- الحج: ۳۷.

۳- المائدة: ۲۷.

۴- نهج البلاغة، الخطبة: ۱۹۹، الفقرة: ۷.

۵- أنظر حديث الشبلى المتقدم.

۶- وسائل الشيعة ۳۷۴: ۱۶، وفى صفحة: ۵۳۶ نقلت الرواية عن الإمام الصادق ۷ أيضاً.

ص: ۲۹

فی حدیث آخر نشاهد فیه الاهتمام بذبح القرابین والأضاحی؛ یقول الإمام الصادق (ع): «إنّ رسول الله (ص) ساق فی حجته مائة بدنة، فنحر نیفاً وستین، ثم أعطی علیّاً فنحر نیفاً وثلاثین، فلما قدم النبی (ص) مکة فطاف وسعی، نزل علیه جبرئیل ...». (۱) وقد نقل هذا الحدیث بشکل آخر أیضاً.

۵. إنّ هذه الآیة الشریفة: لِیَشْهَدُوا مَنافِعَ لَهُمْ وَ یَذْکُرُوا اسْمَ اللهِ فِی أَیَّامٍ مَعْلُوماتٍ عَلی ما رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِیمَةِ الأَنْعامِ (۲) اعتبرت ذکر الله سبحانه هدفاً إلی جانب المنافع الصوریة والمعنویة للأمة الاسلامیة، وجعلت بدل ذکر اسم القربان، ذکر اسم الله تعالی، وذلک حتی یعلم أنّ الهدف من التضحیة هو تسمیة الله سبحانه، لا مجرد الذبح والنحر، فبدل أن یقول: لیضحّوا، قال: أن یذکروا اسم الله أن رزقهم من الأنعام الحلال کالأغنام، بحیث تبدأ التضحیة باسم الله ویذکر الله أیضاً علی تمام النعم التی قدّمها للناس جمیعاً علی امتداد حیاتهم.

۶. لم یذهب سیدالشهداء الإمام الحسین (ع) إلی منی عام ۶۰ ه-، إلّا أنه قدّم أضاحی کثیرة وثمینة، کما قدّم نفسه الشریفة فداء، لکی تبقی مکة ومنی؛ من هنا عرّف الإمام السجاد (ع) نفسه فی الشام بقوله: «أنا ابن مکة ومنی، أنا ابن مروة والصفا». (۳) وعلیه، فمن یقدّم نفسه فداء لله تعالی، فإنه یأخذ یرث من منی وعرفات، لأنّ الأرض قال الله وهو یورثها لمن یرید؛ قال تعالی: إِنَّ الأَرْضَ لِلهِ یُورِثُها مَنْ یَشاءُ. (۴) کما أنّ أرض الکمال تعود إلیه، ویمکنه أن یورثها من یشاء، وعلی هذا الأساس فإنّ کل شهداء وسالکی طریق الإمام هم وراث عرفات، والمشعر، ومنی، وأسرارها.

حلق شعر الرأس

لشعر الرأس تأثیر کبیر علی الجمال الظاهری للإنسان، ولاسیما الشباب، من هنا یندر أن نجد من یحلق شعر رأسه تماماً، وقد ورد أنّ من یحلق رأس غیره عن إجبار ویسلبه هذا الجمال، فإنّ علیه دیةً واجبة.

ومع ذلک، یجب علی الحاج أن یقطع قلبه عن هذا الجمال الظاهری والصوری الذی یظنه أمراً ذا قیمة، ویقوم بأمر من الوحی الإلهی، بنثره أمام أقدام الجمیل المحض، وطلباً لرضاه.

لقد بلغت صعوبة هذه القضیة مبلغاً بین العرب، أنّ ابن أبی العوجاء- بعد خسارته فی المناظرة التی جرت بینه وبین الإمام الصادق (ع)- سئل عنه، کیف وجدت الإمام الصادق (ع) فی المناظرة؟ فأجاب مشیراً إلی الحجاج فقال: «... هو ابن من حلق رؤوس من ترون!». (۵)

۱- المصدر السابق ۱۶۸: ۸.

۲- الحج: ۲۸.

۳- بحارالأنوار ۱۶۱: ۴۵، وقد تقدّم منا توضیح مفصّل نسبیاً حول علاقة الحج بالولایة فیما مضی من أبحاث فلیراجع.

۴- الأعراف: ۱۲۸.

۵- بحارالأنوار ۲۱۰: ۱۰.

ص: ۳۰

إنّ حلق شعر الرأس فی منی إشارهٔ إلی التطهّر من تمام التلوثات الأخلاقیه، والتنطف من صدأ الروح، والخروج من ثقل الذنوب وظلمتها. (۱) ولعلّه لذلک یدعو الحاج ربّه، فیقول عند الحلق: «أللهم أعطنی بکل شعرهٔ نوراً یوم القیامهٔ». (۲) استحباب دفن شعر الحاج فی منی

من وجب علیه فی الحج الحلق أو التقصیر، لزمه- إضافهٔ إلی مراعاهٔ ترتیب الأعمال یوم العاشر من ذی الحجهٔ، أی رمی جمرهٔ العقبهٔ، ثم ذبح الهدی، ثم الحلق أو التقصیر- أن یقوم بهذا کله فی أرض منی، ولیس له الحق أن یحلق أو یقصّر عمداً خارج منی، لکنه لو نسی وکان عوده إلی منی عسیراً، أجزاه الحلق أو التقصیر خارجها.

إنّ أرض منی أکثر الأمکنهٔ مناسبهً لدفن شعر الحاج، لیس فقط من باب عدم سلامهٔ إخراج الشعر من منی عند الحلق فیها، بل حتی لو حلق خارج منی لزمه العود إلیها لدفن الشعر، أو إرساله کی یدفن هناک.

یقول الإمام الصادق (ع): «إنّ المؤمن إذا حلق رأسه بمنی ثم دفنه، جاء یوم القیامهٔ وکل شعرهٔ لها لسان طلق تلبی باسم صاحبه». (۳)

فعندما یقال إنّ شعری یشهد بالتوحید، فإنّ هذا القول مأخوذ من الروایات. (۴) نهایهٔ الحج، الدخول والخروج الصادق

کما کان الله تعالی مبدأ عالم الوجود و منتهاه هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ، (۵) کذلک مبدأ انطلاق کل الموجودات من الله وخاتمتها وأعمالها بالرجوع إلیه إِنَّا لِلهِ وَ إِنَّا إِلَیْهِ راجِعُونَ، (۶) أَلا إِلَی اللهِ تَصِیرُ الْأُمُورُ. (۷) بناءاً علیه، لزم أن یبدأ کل موحّد عمله وأی عمل، باسم الله تعالی، و تکون خاتمهٔ عمله ذکره سبحانه، ولا یشرع بعمل دون اسم الله، ولا یخرج من أی عمل دون ذکر الله، إنّ معنی اسم الله، و ذکره فی بدایهٔ ونهایهٔ أی عمل، هو حضور الاعتقاد التوحیدی فی بنیهٔ عمله، والانتباه إلی الحضور الإلهی فی أعماله ومستویاتها.

۱- أنظر حدیث الشبلی المتقدم سابقاً.

۲- وسائل الشیعهٔ ۱۹۰: ۱۰.

۳- وسائل الشیعهٔ ۱۸۴: ۱۰.

۴- بحارالأنوار ۱۳۹: ۴۵، و ۲۰۹: ۹۴.

۵- الحدید: ۳.

۶- البقرهٔ: ۱۵۶.

۷- الشوری: ۵۳.

ص: ۳۱

ومن أهم هـذه الأمور الحـج؛ لأنّ بـدايته والدخول فيه يكون بالإحرام والتلبية، وعلى أساس التوحيد وصدق النية، كما أنّ الخروج منه، وإتمام الحج، ووداع الكعبة، يقوم على أساس التوحيد وصدق الإرادة. (۱) من هنا يقول الإمام الرضا (ع) عند وداع الكعبة: «أللهم إنى أنقلب على أن لاـ إله إلّا أنت»؛ (۲) أى إنى يـا إلهى أنهى عملى، وأعود مجـدداً أن مكـة على أساس التوحيـد ونفى مختلف أشـكال الطواغيت.

وعلى هـذا المحور العام يقول الإمام الباقر (ع) فى حـديثه عن الدخول فى الكعبة، وهو المصداق الكامل فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ، (۳) يقول (ع): «الـدخول فيهـا دخول فى رحمـة الله، والخروج منهـا خروج من الـذنوب». (۴) ومن آداب وداع الكعبـة الدعاء والتضـرّع لله سبحـانه؛ يقول الإمـام الصـادق (ع): «أللهم اقلبنى مفلحـاً منجحـاً مسـتجاباً لى بأفضـل مايرجع به أحـد من وفـدك من المغفرة والبركة والرضوان والعافيـة مما يسـعنى أن أطلب ..». (۵) ومن الآـداب الأـخرى، أن يضع الحاج أو الزائر يـده على الكعبـة عنـد آخر لقاء معها ويقول: «المسكين على بابك، فتصدّق عليه بالجنّة». (۶) الحج المقبول

يقول الرسول الأـكرم (ص) فى بيانه لمعيار الحـج المقبول: «من علامـة قبول الحـج، إذا رجع الرجل عما كان عليه من المعاصـى، هـذا علامـة قبول الحـج، وإن رجع من الحـج، ثم انهمك فيما كان عليه من زنا، أو خيانة، أو معصـية، فقد ردّ عليه حجّه». (۷) و «آية قبول الحـج ترك ما كان عليه العبـد مقيماً من الذنوب». (۸) إنّ هذا ما يشـير إلى سرّ آخر فى الحج، لأنّ أسـرار العبادات تظهر فى القيامة، وهى اليوم الـذى تظهر فيه بواطن الأفراد وأعمالهم. (۹) وفى ذلك اليوم لايرى الإنسان نتائـج عمله فحسب، بل أسـباب ردّها أو قبولها أيضاً.

وبناءاً عليه، فمن تمكّن فى الـدنيا أن يفهم قبول حجّه أو نكوله، فقـد بلغ زاويـةً من زوايا أسـرار الحـج، وتلقائياً سوف يـدرس أسـباب القبول أو الردّ حينئذٍ.

۱- الإسراء: ۸۰.

۲- وسائل الشيعة ۲۳۲: ۱۰.

۳- البقرة: ۱۱۵.

۴- وسائل الشيعة ۳۷۰: ۹.

۵- المصدر السابق ۲۳۱: ۱۰- ۲۳۳.

۶- المصدر السابق.

۷- مستدرك الوسائل ۱۶۵: ۱۰- ۱۶۶.

۸- المصدر السابق: ۱۶۶.

۹- الطارق: ۹.

ص: ۳۲

إنّ المعیـار الـذی قـدّمه کلام رسول الله (ص) حول علامات الحـج المقبول، یتحقق فی سائر العبادات أیضاً، تماماً کما یقول الله تعالی حول الصلاهٔ: إِنَّ الصَّلاهَٔ تَنْهی عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْکَرِ، (۱) فحقیقهٔ الصلاهٔ لها أثر تکوینی فی المصلّی، بحیث تؤدی إلی إیجاد تحوّلات وتعدیلات فی دوافعه، و إراداته، ورغباته، وقراراته، وعزمه و ... فهو بالنسـبهٔ إلی الخیر عازم ومصمم، وبالنسبهٔ إلی الشرّ کاره ومستقذر یختار الابتعاد عنه.

إنّ الأحادیث المتقدّمهٔ تبیّن لنا أنّ روح الحج وحقیقته أمر تکوینی، و هی التی تحول دون عزم الحاج أو إرادته مالا یلیق ولا ینبغی.

وخلاصـهٔ القول: الحاج یتطهّر بالقیام بأعمال الحـج من کل ألوان التلوّث، ومادام لا یلوّث بذنب أو قذاره فهو نورانی، کما یقول الإمام الصـادق (ع): «الحـاج لا یزال علیه نور الحـج ما لم یلمَّ بـذنب». (۲) إنّ مشاهـدهٔ هـذه النورانیـهٔ تجعـل الحاج آملًا بقبول حجّه من الله تعالی.

ارشادات النبی (ص) فی حجهٔ الوداع

وختاماً یعلّمنا کلمات نورانیهٔ لخاتم النبیین (ص) فی حجهٔالوداع، حول نظام الحج وأسراره. (۳) خاتم الأنبیاء (ص) إنسان کامل یتحلّی بالکمالات الظاهرهٔ، والمقامات المعنویـهٔ، من هنا قال فی تعلیمه أحکام الحـج الفقهیهٔ والعملیهٔ: «خذوا عنی مناسککم»؛ (۴) تماماً کما قال حول تعلیم أحکام الصـلاهٔ: «صلّوا کما رأیتمونی أصلّی». (۵) تحـدث رسول الله (ص) حول تعلیم أسـرار الحج وبیان بعض زوایاه فی حجهٔالوداع، و ذکر بعض التوجیهات، ومنها:

۱. تهذیب النفس وتزکیهٔ الروح فی المحاور الثلاثهٔ: التوحید، الارتباط بالإمام، والاتحاد والاتفاق وحفظ الانسـجام العام بین المؤمنین، قال (ص): «ثلاث لایغل علیهنّ قلب امْرءٍ مسـلم: إخلاص العمل لله، والنصیحهٔ لأئمهٔ المسلمین، واللزوم لجماعتهم». (۶) وعلیه، فالحاج یعبـد الله سبحانه، مع إخلاص العمل الکامل الـذی لاتشوبه شائبـهٔ فی الـدین، وینصـح أئمته وقادته، ویریـد الخیر لهم، ویلزم المجتمع الإسلامیهٔ.

۱- العنکبوت: ۴۵.

۲- وسائل الشیعهٔ ۶۸: ۸ ،۳۲۸.

۳- حج رسول الله ۹ فی حیاته ۲۱ مرهٔ، کانت واحـدهٔ منها فقط بعد الهجرهٔ، ورغم أنه فی ذیالقعدهٔ من العام السادس والسابع والثامن بعـد الهجرهٔ قـد اعتمر، عمرهٔ الحدیبیهٔ فی العام السادس، وعمرهٔ القضاء فی العام السابع کما اشـتهرت التسـمیهٔ، إلّا أنه ۹ بعد الهجرهٔ لم تتسنّ له فریضـهٔ الحج إلّا مرهٔ واحدهٔ فی العام العاشـر للهجرهٔ، وهی المعروفهٔ بحجهٔ الوداع، وأحیاناً تسـمی حجهٔالإسـلام وحجهٔ البلاغ، وقـد تحـدّثت النصـوص الحدیثیـهٔ عـن هـذه الحجـهٔ، واعتبـرت أساسـاً لأعمـال الحـج عنـد المسـلمین. أنظر الکـافی ۲۴۴ : ۴ – ۲۵۲؛ وبحارالأنوار ۳۷۸: ۲۱– ۴۰۷.

۴- عوالی اللئالی ۲۱۵: ۱.

۵- المصدر السابق: ۱۹۷.

۶- الکـافی ۴۰۳: ۱ – ۴۰۴، والجملـهٔ الأـخیرهٔ جاءت فی تاریـخ الیعقوبی ۱۰۹: ۲، علی الشـکل التالی: «والنصـیحهٔ لأئمـهٔ الحق واللزوم لجماعهٔ المؤمنین» وقد جاءت هذه الخطبهٔ فی حجهٔالوداع فی مسجد الخیف فی منی.

ص: ۳۳

۲. إقامـة الأـمن علی مختلف الصـعد، وحفـظ أموال الناس ودمائها من الاعتـداء، قال (ص): «فإن الله حرّم علیکم دماءکم وأموالکم ... واتقوا الله، و لاتبخسوا الناس أشیاءهم ولاتعثوا فی الأرض مفسدین، فمن کانت عنده أمانهٔ فلیؤدها». (۱) وعلیه، فعلی الحاج أن یکون أمیناً علی أعراض الناس وأسرارها، فإنّ قلوب الأحرار کنوز الأسرار.

۳. حفظ مبدأ المساواهٔ الشخصیهٔ والعرقیهٔ، قال (ص): «الناس فی الإسـلام سواء ... لافُضّل عربیٌّ علی عجمی ولا عجمی علی عربی إلّا بتقوی الله»، فالحاج قاصد لمساواهٔ الخلق، و لایری نفسه خیراً منهم، ولا قومه خیراً من الآخرین، بل یساوی بین الناس والأمم والشعوب.

۴. تطهیر المجتمع الإسـلامی وتصـفیته عن العادات الجاهلیـهٔ فی قضایا المال والـدم والبغض والحقـد والضـغینهٔ، بمعنی أنّ الدماء التی کـانت تراق فی الجاهلیـهٔ علی قـانون الانتقام والثأر والأحقاد قـد انتهت، وتهاوی الربا الـذی یمثل امتصاصاً اقتصادیاً لـدماء الناس، قال (ص): «کل دم کان فی الجاهلیـهٔ موضوع تحت قدمی ... وکل رباً کان فی الجاهلیهٔ موضوع تحت قدمی، و أول رباً أضـعه ربا العباس بن عبدالمطلب».

۵. رعایـهٔ حقوق المرأهٔ، حسن التعامل معها، ومجازاتهن بالعـدل، قال (ص): «أوصـیکم بالنساء خیراً ... ولکم علیهنّ حق، ولهنّ علیکم حق، کسوتهنّ، ورزقهنّ بالمعروف».

وعلیه، فالحاج ناظر مراقب لمراعاهٔ الآیات القرآنیهٔ الشریفهٔ: وَ جَعَلَ بَیْنَکُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً (۲)، هُنَّ لِباسٌ لَکُمْ وَ أَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ (۳)، و وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِی عَلَیْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ. (۴) ۶. احـترام حقوق العمـال والعبیـد، ورفع حاجـاتهم فی المأکـل، والمشـرب، والملبس، مثلکم؛ «فأوصیکم بمن ملکت أیمانکم، فأطعموهم مما تأکلون، و ألبسوهم مما تلبسون».

فالحاج یحبّ العاملین عنده، و لایری نفسه أرفع منهم، بل یجلس معهم علی سفرهٔ واحدهٔ، ویلبسهم مما یلبس.

(ع). مراعاهٔ أصول الأخوهٔ، والفضائل الأخلاقیهٔ مع الأخوهٔ فی الدین، والمحافظهٔ علی مکانتهم، و ماء وجههم، وعلی أموالهم، ودمائهم؛ قال (ص): «إنّ المسلم أخو المسلم، لا یغشّه، ولا یخونه، ولا یغتابه، ولا یحلّ له دمه، و لاشیء من ماله، الّا بطیبهٔ نفسه».

إنّ الحاج یراعی مع أخیه المسلم قواعد الأخوهٔ الدینیهٔ، فهو طاهر و لایقصد إلّا ما هو طاهر نقی.

۸. تکریم القرآن، وأهل بیت النبوهٔ والإمامهٔ، وکسب الإلهام منهما، و عدم الانفصال عنهما: «إنی قد خلّفت فیکم ما إن تمسّـکتم به لن تضلّوا: کتاب الله وعترتی أهل بیتی».

فالحاج یتمسک بحبل الله، ومن تمسّک بهذا الحبل نال الهدایهٔ. (۵)

۱- تاریخ الیعقوبی ۱۰۹: ۲- ۱۱۲، إنّ ما سننقله بعد الآن من کلمات، هو جزء من خطبهٔ أخری للرسول ۹ فی حجهٔ الوداع، وما ذکرناه أعلاه ذکره الیعقوبی فی الخطبهٔ التی ألقیت عند بئر زمزم، وقد جاءت هذه الخطبهٔ عینها بنص مختصر، وبعض الاختلاف فی العبارات بوصـفها خطبـهٔ للنبی فی عرفات أو منی، فی مصادر أخری. أنظر: الکافی ۲۷۳: ۷- ۲۷۵؛ وبحارالأنوار ۳۸۰: ۲۱، ۴۰۵، و ۱۱۳: ۳۷، و ۳۴۹: ۷۳.

۲- الروم: ۲۱.

۳- البقرهٔ: ۱۸۷.

۴- البقرهٔ: ۲۲۸.

۵- آل عمران: ۱۰۱.

ص: ۳۴

۹. أن يعتبر الجميع مسؤولين أمام القانون الإلهی، ويـدافع عن أحكام الإسـلام، ويبلّغ ما رآه فی مشـهد الحج، وزيارة الكعبة لغيره، قال (ص): «إنكم مسؤولون، فليبلّغ الشاهد منكم الغائب».

فالحاج فقيه لمن لم يحضر من المسلمين المشاهد والمواقف، ولم يدركوا الحرمين، وما فيهما من لقاءات وتجمّعات.

۱۰. طرح ولايـة أميرالمؤمنين علی‌بن‌أبی‌طالب (ع) وتعريف الأمة بإمامها، واعتبار إطاعته كطاعة النبی (ص)، وفی نهاية المطاف إيجاد حياة إسلامية معقولة، والنجاة من حياة الجاهلية.

عنـدما رجع الرسول (ص) إلی المدينـة، قـال فی غـديرخم: «من كنت مولاه فعلیّ مولاه، أللهم وال من والاه، وعـاد من عـاداه». (۱)

فبوصول الإمام علی (ع) إلی هذا المقام، تمت النعمة وكمل الدين. (۲) إتمام الحج والعمرة بالزيارة

ثمة فی «إتمـام الحـج والعمرة» المـأمور به فی الآيـة الشـريفة وَ أَتِمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلهِ (۳) أبحاث فقهيـة حول دلالتها علی تحصـيل الأجزاء والشـرائط، وتجنب الموانع، كمـا جاء فی بعض الروايـات أنّ تشـرّف الحاج بزيارة الإمام المعصوم (ع) هو من مصاديق إتمام الحج.

ومن الطبيعی أنه ليس المراد من الزيارة المـدعوّ إليها فی الحـج هو زيارة القبور فقط، وإن كانت هـذه الزيارة من حقوق الولاية، وإنما المراد لقاء القائد الإسـلامی، والوعی بمراتب الولاية، وعرض النصرة عليه، تماماً كما أنّ الهدف من الحضور إلی قبره هو السلام عليه، والدعاء والتضرّع بمحضر الله المتعال سبحانه.

وهذه بعض الروايات الواردة فی هذا المجال:

۱. يقول الإمـام الباقر (ع): «إنما أمر الناس أن يأتوا هـذه الأحجار فيطوفوا بها، ثم يأتونا ويخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصـرهم». (۴)

۲. يقول الإمام الباقر (ع): «تمام الحج لقاء الإمام». (۵) أی أنه المصداق البارز لإتمام الحج، فالحج بدون لقاء الإمام غير تام.

۱- تاريخ اليعقوبی ۱۱۲: ۲، والكافی ۲۹۵: ۱.

۲- المائدة: ۳.

۳- البقرة: ۱۹۶. والإتمـام تـارة يكون بلحـاظ الامتـداد الزمـانی، مثل الإتمام المأموربه فی قوله‌تعالی: ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَی اللَّيْلِ البقرة: ۱۸۷، وأخری بلحاظ رعايـة تمام الشـروط والقيام بتمام الأجزاء وتجنب تمام الموانع المانعة عن الفعل المأموربه، وهذا مثل قوله‌تعالی: وَ أَتِمُّوا الْحَـجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلهِ، وعلی هـذا الأساس فإتمام الحـج هو الإحرام فی المواقيت المعينة وسائل الشـيعة ۲۳۴: ۸، ۲۴۱- ۲۴۳، وقد اعتبر لقـاء الإمام المعصوم ۷ من المصاديق الباطنيـة لإتمام الحـج، كما اعتبرت مراعاة التقوی الإلهيـة وتجنب اللغو واللهو من مصاديقه أيضاً، وفی هـذا يقول الإمام الصادق ۷: «إتمامها أن لارفث ولافسوق ولاجـدال فی الحج» وسائل الشـيعة ۱۱۰: ۹ وهـذا معنی أنّ الآية اللاحقـة لهـذه الآيـة هی المبينة للمراد من الإتمام، كما قال ۷ فی روايـة أخری حـول ذلـك: «إذا أحرمت فعليـك بتقوی الله وذكر الله كثيراً وقلّة الكلام إلّا بخير، فإنّ من تمام الحج والعمرة أن يحفظ المرء لسانه إلّا من خير». الكافی ۳۳۸: ۴.

۴- الكافی ۵۴۹: ۴.

۵- المصدر السابق.

ص: ۳۵

۳. ويفسّر الإمام الصادق (ع) ظاهر الآية الشريفة: (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ). (۱) بتقصير شعر الشارب، وقصّ الأظفار وأمثال ذلك، لكنه يذكر أن باطنها (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ)، هو لقاء الإمام، كما أنّ (وَ لْيُوفُوا نُذُورَهُمْ) هو القيام بمناسك الحج. (۲) فعلى أساس هذا الحديث يكون ظاهر الآية إصلاح البدن، أما باطنها فإصلاح الباطن بلقاء الإمام (ع).

فضيلة التشرّف بزيارة المدينة بعد الحج

يستفيد الحاج لأداء مناسك الحج والعمرة عن طريق المدينة إلى مكة، أنه يكسب فضيلة الإحرام من مسجد الشجرة، وهو المكان الذى أحرم منه رسول‌الله (ص)، أما الذين يتوجهون إلى المدينه بعد الحج، فإنهم يكسبون فضيلة أخرى وردت فى الروايات، فقد سئل الإمام الباقر (ع) عن جعل مكة أو المدينة بدء سفر الحج؟ فقال: «إبدء بمكة واختم بالمدينة، فإنه أفضل»، (۳) وفى حديث آخر قال (ع): «ابدؤوا بمكة واختموا بنا». (۴) طبقاً لبعض الروايات، (۵) وللكثير من المنقولات الآتية من المشاهدات فى زمن الغيبة، إنّ حضور إمام الزمان (أرواحنا فداه) فى موسم الحج ومراسمه كل عام أمر مسلّم، لكن حيث إنّ التشرّف بلقائه (ع) لايكون إلّا نصيب الأوحدى من الناس، لذا ورد فى روايات متعدّدة، الأمر بزيارة قبور أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام)، وعرض مظاهر الأدب والمحبّة بين أيديهم وفى محضرهم. (۶) الزيارة حضور فى مقام الإنسان الكامل

لأهل بيت العصمة والطهارة:- من حيث كونهم الإنسان الكامل ومظهر الإسم الأعظم الإلهى- مزايا وجودية خاصة تستدعى حقوقاً واستحقاقات خاصّة أيضاً.

وللتعرّف على وظائف الآخرين تجاه هذه الذوات المقدّسة، من اللازم الإشارة إلى بعض خصائصهم حتى يتسنى العلم بواجب الآخرين تجاههم، أى العلم بمقامهم.

۱. أهل بيت الوحى: هم الجامعون للكلام التكوينى والتدوينى، والواجدون لكتاب الحقيقة والشريعة، الشاملون لنشأتى الحقيقة والاعتبار ويقصد بجامعيتهم العلمية والعينية أنهم حائزون على كل كمال ممكن بلانقص، وأنّ كل ما عندهم مصون من العيب، وكل ما عندهم فى مرحلة الحدوث فهو عندهم فى مرحلة البقاء أيضاً.

۱- الحج: ۲۹.

۲- الكافى ۵۴۹: ۴.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

۵- الكافى ۳۳۷: ۱؛ من لايحضره الفقيه ۵۲۰: ۲.

۶- وسائل الشيعة ۲۵۱: ۱۰- ۴۵۵.

ص: ۳۶

۲. لاسبيل لمعرفة الإنسان الكامل إلّا بصيرورة الإنسان كاملًا، وعليه، فلا يمكن إدراك كنه ذواتهم النورية لغيرهم، لا بالعلم الحضورى والمعرفة العرفانية الشهودية، ولا بالعلم الحصولى والمعرفة الحكمية الفلسفية، هم الكاملون و مظهرو الله الذى قيل فيه: «لا يدركه بُعد الهمم ولا ـ يناله غوص الفطن». (۱) وبعد اتضاح أنّ إدراك مقام الإنسان الكامل غير مقدور لغيره، نأتى للحديث عن وظيفة الآخرين تجاهه، فوظيفة المجتمع الإنسانى أن يدرك بعقله حقانية أهل بيت العصمة (عليهم السلام)، وبقلبه محبتهم، ويحيى بجسمه وروحه ذكرهم و إسمهم، كالعطشان الذى يبلغ الكوثر الزلال، فيبرّد كبده الحرّى به، ويقرّ عينه، ويبعث الحياة فى قواه المتهالكة، فيبعث النشاط فى نفسه، ويرطب فمه الجاف «وبينكم عترة نبيكم وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش». (۲) ويمكن شرح وظائف المجتمع الإنسانى بكلمات الإمام الهادى (ع) النيرة فى الزيارة الجامعة الكبيرة حيث يقول: «أشرقت الأرض بنوركم وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان، وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمن». (۳) ۳. الإنسان الكامل خليفة الله، والمظهر التام لبسيط الحقيقة، وهو الآية الكبرى ل-: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ (۴) من هنا لا يكون فى كل عصر أكثر من خليفة مطلق واحد، وهو شخص واحد جامع لكافة الشؤون الكمالية.

۴. جاء عن رسول الله (ص): «نحن أهل بيتٍ لا يقاس بنا أحد». (۵) وهو ما ذكره أميرالمؤمنين (ع) بعبارة أخرى حيث قال: «لايقاس بآل محمد (ص) من هذه الأمة أحد، ولا يُسَوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً؛ هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفيء الغالى، وبهم يُلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». (۶) أى لا ـ يمكن أن يقارن أو يقاس إنسان عادى بأهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام)؛ لأنّ الخلفاء الواقعيين والإنسان الكامل يقاسون ببعضهم، وليس بسائر الناس.

إنّ أهل بيت الوحى (عليهم السلام) هم مجارى النعم وأولياؤها، ولا يقاس المتنعّم أبداً مع مجارى النعمة وأوليائها، إنّ هذه الذوات النورانية هى مظهر للأسماء الحسنى الإلهية، والذات الإلهية الأقدس لاتقاسّ بأى شخص آخر ... «ولايدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس ...». (۷)

۱- نهج البلاغة، الخطبة: ۱، الفقرة: ۱- ۲.

۲- المصدر السابق، الخطبة: ۸۷، الفقرة: ۱۴- ۱۵.

۳- مفاتيح الجنان.

۴- الشورى: ۱۱.

۵- بحارالأنوار ۴۴: ۶۵.

۶- نهج البلاغة، الخطبة: ۲، الفقرة: ۱۲- ۱۴.

۷- المصدر السابق، الخطبة: ۱۸۲، الفقرة ۱۴- ۱۵.

ص: ۳۷

وعليه، فلا يقاس أهل بيت العصمة و الطهارة بأحد أبداً، و هم بمثابة ليلة القدر في الزمان، والكعبة في المكان.

۵. من أفضل وسائل التقرّب إلى الله، مما أمر به و بابتغائه و الاعتصام به، هو ذكر مناقب آل طه وياسين، والشعور بالسرور في مواليدهم، والاحساس بالهمم والألم في ذكرى مصائبهم، لأنّ الارتباط العقلي والعاطفة بهذه الذوات النورية- وهي إنسان كامل- يعدّ أساساً للانتفاع بمعارف القرآن، والاستفادة بسنّة المعصومين (عليهم السلام)، تماماً كما يتوفر التعهّد الإلهي في ظلّ الارتباط بخليفة الله تعالى.

يقول الإمام علي بن موسى الرضا (ع): «إنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد وحُسن الأداء زيارة قبورهم؛ فمن زارهم رغبةً في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة». (۱) الزيارة مظهر المحبة

الزيارة هي حضور المحبة في محضر المحبوب، وابراز المودّة والمحبّة لقادة الدين هو إظهار للتواضع أمام الدين وأعلام الإيمان والدين، وذلك:

أولًا: ليس الدين سوى المحبة. (۲) ثانياً: حب محبوب الله هو حبٌّ لله تعالى، والزيارة مظهر من مظاهر المحبة.

يضاف إلى ذلك، من يحبّ مظهر المحبة الإلهية الكاملة وحبيب الله تعالى، أي رسول الله (ص)، فهو يطيعه، وإطاعة محور المحبة الإلهية هذا، يدفع الإنسان للتسامي، ومحبة الله تعالى له؛ قال سبحانه: إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَهَ فَاتَّبِعُونِی يُحْبِبْكُمُ اللُهُ (۳) وهناك روايات كثيرة حول محبة النبي (ص) وعترته الطاهرين (عليهم السلام) نكتفي هنا بنقل أنموذجين منها:

۱. يقول أنس بن مالك: جاء رجل من أهل البادية- وكان يعجبنا أن يأتي الرجل من أهل البادية يسأل النبي (ص)- فقال: يا رسول الله! متى قيام الساعة؟ فحضرت الصلاة، فلما قضى صلاته، قال (ص): «أين السائل عن الساعة؟» قال: أنا يا رسول الله، قال: «من أعددت لها؟» قال: والله ما أعددت لها من كثير عمل: صلاة ولا صوم، إلّا أني أحبّ الله ورسوله، فقال له النبي (ص): «المرء مع من أحبّ»، قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام بشيء أشدّ من فرحهم هذا». (۴) ۲. وفي حديث آخر على حدّ سلسلة الذهب، يقول أميرالمؤمنين الإمام علي (ع): «جاء رجل من الأنصار إلى النبي (ص) فقال: يا رسول الله! ما أستطيع فراقك، وإني لأدخل منزلي فأذكرك فأترك ضيعتي، وأقبل حتى أنظر

۱- الكافي ۵۶۷: ۴.

۲- بحارالأنوار ۹۴: ۲۷- ۹۵.

۳- آل عمران: ۳۱.

۴- بحارالأنوار ۱۳: ۱۷.

ص: ۳۸

إليك حباً لك، فذكرت إذا كان يوم القيامة، و أدخلت الجنة، فرفعت فى أعلى علّيين، فكيف لى بك يا نبى الله؟ فنزل: وَ مَنْ يُطِعِ اللّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولئِکَ مَعَ الَّذِینَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَیْهِمْ مِنَ النَّبِیِّینَ وَ الصِّدِّیقِینَ وَ الشُّهَداءِ وَ الصّالِحِینَ وَ حَسُنَ أُولئِکَ رَفِیقاً (۱) فدعا النبى (ص) الرجل فقرأها عليه وبشره بذلك». (۲) الجدير بالذكر- كما أشرنا مطلع هذا الفصل- أنّ زيارة قبور أهل بيت العصمة والطهارة (عليهم السلام) مظهر للمحبة، وجانب من وظائف المؤمنين فى حقّ هذه الأسرة، ومن الطبيعى أنّ المؤمنين ينتفعون بهذا العمل ويستفيدون منه، قال سبحانه: قُلْ لا أَسْئَلُکُمْ عَلَیْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِی الْقُرْبی، (۳) (قُلْ ما سَأَلْتُکُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَکُمْ). (۴) أدب الحضور

بيّن الله سبحانه أنّ من شرط الدخول على النبى (ص) أخذ الإذن منه والدعوة، قال تعالى: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلَّا أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ ... إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا ... (۵) وينهى الله تعالى المتشرّفين بمحضر رسول الله (ص) عن أعمال وأقوال وأفكار تؤذى النبى (ص): وَ لا مُسْتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ إِنَّ ذلِکُمْ کانَ یُؤْذِی النَّبِیَّ (۶) لأنّ مجلسه (ص) مجلس علم وحكمة وليس محفلًا للّهو والأنس، وسوف يأتى مزيد توضيح لهذه الآية إن شاء الله.

لقد دعا القرآن الكريم المؤمنين إلى مراعاة أدب الحضور عند النبى الأكرم (ص) إنه يقول: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَکُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِیِّ، (۷) وهذه التصرفات تستدعى إحباط الأعمال ومحوها: وَ لا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ کَجَهْرِ بَعْضِکُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُکُمْ وَ أَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (۸) فى المقابل، يعد مراعاة قواعد الأدب هذه علامةً على التقوى القلبى، والغفران الإلهى، قال تعالى: إِنَّ الَّذِینَ یَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ أُولئِکَ الَّذِینَ امْتَحَنَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوی لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرٌ عَظِیمٌ (۹) أما من لا يراعى الأدب معه (ص)، ويتكلمون معه بصوت مرتفع، فهو ممن لاعقل لهم: إِنَّ الَّذِینَ یُنادُونَکَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْقِلُونَ (۱۰)

۱- النساء: ۶۹.

۲- بحارالأنوار ۱۸۸: ۸.

۳- الشورى: ۲۳.

۴- سبأ: ۴۷.

۵- الأحزاب: ۵۳.

۶- الأحزاب: ۵۳.

۷- الحجرات: ۲.

۸- الحجرات: ۲.

۹- الحجرات: ۳.

۱۰- الحجرات: ۴.

ص: ۳۹

وعلی أساس هذه الآیات، وآیات أخری مثل: إِنَّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِیراً* لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَ رَسُولِهِ وَ تُعَزِّرُوهُ وَ تُوَقِّرُوهُ (۱) یکون تجلیل النبی (ص) بوصفه شعاراً إسلامیاً، وظیفةً حیة تستمر فی حیاته وبعد وفاته، لأنّ مقام الرسالة حی علی الدوام، فالیوم عندما یتشرف الزوار بزیارة حرمه المطهر، یلزمهم أیضاً مراعاة أدب الحضور.

الجدیر بالذکر أنّ ما قلناه حول مراعاة حرمة وأدب اللقاء بمحضر رسول‌الله (ص) ومرقده وحرمه، یجری أیضاً فی حقّ خلفائه المعصومین وذریته الطّیبین، علی ما له (ص) من کرامة خاصة وحرمة.

ضیافة النبی (ص)

ثمة آیات فی القرآن الکریم تبیّن آداب التشرّف بالحضور عند رسول‌الله (ص)، وکیفیة مناداته، والتحدّث إلیه وأمثال ذلک، إنّ مراعاة آداب التشرف، والحضور هذه، لها دور فاعل فی الاستفادة من المواهب والعنایات الخاصّة.

یستفاد من الآیة الشریفة: (یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُیُوتَ النَّبِیِّ إِلَّا أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ ...). (۲) عدة أمور:

أولًا: یسمح للمؤمنین فقط بضیافة الرسول الأکرم (ص)؛ لأنّ الخطاب هنا کان موجهاً إلی أهل الإیمان.

ثانیاً: یجب أن یکون هذا الحضور عن استئذان مسبق من قبل الضیف أو الزائر، بأن یکون بإذن من المضیف أو دعوة، لهذا جاء: إِلَّا أَنْ یُؤْذَنَ لَکُمْ ... وَ لکِنْ إِذا دُعِیتُمْ فَادْخُلُوا ...، وفی هذه الحالة سیکون الإطعام إطعام النبوی، قال سبحانه: فَإِذا طَعِمْتُمْ ... إنّ هذا الإطعام کما یمکن أن یکون ظاهریاً ومادیاً، کذلک یمکن أن یکون باطنیاً ومعنویاً، أی من غذاء الروح لا الجسد، تماماً کما یقول الإمام الصادق فی ذیل قوله تعالی: فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلی طَعامِهِ (۳): «علمه الذی یأخذه عمّن یأخذه». (۴) إنّ الله یتحدث عن شروط الاستفادة من التغذیة العلمیة والمعنویة للرسول الأکرم (ص): فی محضر النبی لاتجلسوا للمؤانسة، و لاتتحدثوا بکلام فاقد لأی نوع من المعرفة والحکمة، إنّ مجلس النبی مجلس علم وحکمة ولیس محفلًا للإنسان، والتلهّی وتمضیة الوقت، فإذا أتیتم لکسب المعرفة ونیل الکمالات فلاتتغوّصوا بما یؤذی النبی (ص) .. وَ لا مُسْتَأْنِسِینَ لِحَدِیثٍ إِنَّ ذلِکُمْ کانَ یُؤْذِی النَّبِیَّ فَیَسْتَحْیِی مِنْکُمْ (۵)

۱- الفتح: ۸- ۹.

۲- الأحزاب: ۵۳.

۳- عبس: ۲۴.

۴- الکافی ۴۹: ۱.

۵- الأحزاب: ۵۳.

ص: ۴۰

إنّ الأكل السيّء، والتخمة، والاستئناس، والمؤانسة، ومجالس الأنس فى الفنادق، ومنازل المسافرين ... ذلك كلّه مانع عن الإحساس بلذة المناجاة والزيارة فى المدينة المنورة، ففى الرواية أنه أتى أبوحجيفة النبى (ص) وهو يتجش، فقال (ص): «اكفف جشاءك، فإنّ أكثر الناس فى الدنيا شَبْعاً أكثرهم جوعاً يوم القيامة». (۱) لابد من الالتفات إلى أنّ الباب والحائط وأمثالهما ليست حاجباً أو مانعاً عن الحضور، وإلّا لم يقل الزائر: «أللهم إنى ... أعلم أنّ رسولك وخلفاءك (عليهم السلام) أحياء عندك يرزقون، يرون مقامى ويسمعون كلامى ويردون سلامى ...». (۲) و «وأشهد أنك تسمع الكلام وتردّ الجواب». (۳) لقد حددّ الله تعالى الغذاء المعدّ لضيوف الرسالة، ومنه صلاة الليل، وهى صلاة خاصة لرسول الله (ص) قال تعالى: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً (۴) إنّ الضيوف الحقيقيين للرسول الأكرم (ص) لا يمكن أن يبقوا محرومين من إحياء الليل، فإنّ ضيافة النبى (ص) التهجّد، أما التهجّد فى الليل مع السَّبَح الطويل فى النهار والذى يسلب الإنسان مجال التهجّد فى الليل، فهو أمر غير متناغم ولا منسجم.

إنّ الزوار الحقيقيين ليسوا فقط ضيوفاً بل ورّاث للرسول (ص)، وسهم الورثة ونصيبهم أرفع وأفضل وأكثر من حظ الضيوف، إنه ليبلغ حدّ صلاة الله وملائكته عليهم، قال سبحانه: هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ (۵) وعليه، فإنّ حاصل ضيافة الرسول الأكرم (ص) هو صلوات الله وملائكته على الزوّار الحقيقيين، ونتيجة هذا السلام وهذه التحية الإلهية صيرورتهم نورانيين، والإنسان النورانى لايلحظ ولايرتبط بالظلمة وبالماديات فاقدة القيمة والاعتبار، إنه لايتعلّق بظواهر الدنيا الخادعة؛ فقد قال رسول الله (ص): «ليست الدنيا من محمد ولامن آل محمد، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضة، ما أسقى فيها كافراً شربة ماء». (۶) بيوت الحقّ الرفيعة

يقول الله تعالى- وهو مؤدب أولياءه-: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ. (۷) إنّ البيت فى هذه الآية وبعض الآيات الأخرى لايقتصر على المسكن المتعارف، بل قد يراد عنه بيت النبوة والولاية

۱- بحارالأنوار ۳۳۲: ۶۳.

۲- مفاتيح الجنان، إذن الدخول إلى الحرم والمشاهد المشرفة للأئمة:.

۳- المصدر السابق، زيارة الإمام الحسين ۷ فى النصف من رجب.

۴- الإسراء: ۷۹.

۵- الأحزاب: ۴۳.

۶- بحارالأنوار ۲۰: ۴۳.

۷- الأحزاب: ۵۳.

ص: ۴۱

وأمثالهما، كما قال النبى نوح (ع): رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ لِوالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً (۱) من ناحية أخرى، لا تقف مصاديق البيوت الواردة فى الآية الشريفة: فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ (۲) عند المساجد وأمثالها، بل تتعدى لمشاهد المعصومين (عليهم السلام)، كما أنه- بالاستعانة مما قدمناه- تشمل مقام الرسالة والولاية والإمامة أيضاً.

ويؤيد ماذكرناه حديث جاء فيه أنّ قتادة جاء إلى الإمام الباقر (ع): ... والله لقد جلست بين يدى الفقهاء وقدام ابن عباس، فما اضطرب قلبى قدام أحد منهم ما اضطرب قد امك. فقال له ابوجعفر (ع): «أتدرى أين أنت؟ أنت بين يدى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ..». (۳) فمقام الرسالة والولاية والإمامة بيت الله الرفيع؛ على هذا، من المناسب للزائرين أن لايدخلوا إلى حرم أئمة البقيع (عليهم السلام) بأحذيتهم، فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (۴) وليس من التجليل لهذه الذوات النورانية أن يرمى الزائر نفسه على القبر، بل من الأدب والاحترام أن يكسب إذن الدخول أولًا عند ما يرد البقيع، ثم يدخله حافياً وبهدوء وترو، وبكل مظاهر التواضع، وعندما تجرى على لسانه أسماء الحسن بن على المجتبى وعلى بن الحسين السجاد، ومحمد بن على الباقر، وجعفر بن محمد الصادق (عليهم السلام) أو يرى قبورهم يشعر باللذة، ويمكنه أن يقول: «فما أحلى أسماءكم ...». (۵) وما أحلى أثركم وما أشدّ جاذبية قبوركم.

وفى هذه الحال وهذا المقام، إذا أحسّ الإنسان فى نفسه بتغيّر حالته، فعليه أن يعلم بأنّ هؤلاء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) قد تركوا- بإذن الله تعالى- أثراً، إن نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلى قَلْبِكَ. (۶) أخذ يتحدّث إلى قلوب الزائرين، إذا شعر الزائر بتغير حاله، فليعلم أنّ هذه الذوات النورانية تتحدث معه، وفى غير هذه الحالة ستكون زيارته بدون روح، ومثل هذه الزيارة وإن لم تعدم الثواب، ألّا أنها كعدمها على المستوى الباطنى، وعليه أن يتضرّع إلى الله تعالى كى لايظلّ محروماً من نيل هذا الفيض العظيم.

إنّ قساوة القلب، وجمود العين الناشئين من الميل إلى الدنيا، لايسمحان للإنسان بالإحساس بنور الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، وبسماع كلماتهم، بأذن القلب والروح.

۱- نوح: ۲۸.

۲- النور: ۳۶.

۳- الكافى ۲۵۶: ۶.

۴- طه: ۱۲.

۵- مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة الكبيرة.

۶- الشعراء: ۱۹۳- ۱۹۴.

ص: ۴۲

کیف نحافظ علی مکاسب الحج؟

هذا سؤال هام یتساءله الحجاج بعد أداء مناسک الحج.

وفیما یلی الإجابهٔ عن هذا السؤال، إن شاء الله تعالی.

ضیافتان من الله تعالی لعباده

لله تعالی ضیافتان لعباده فی دورهٔ السنهٔ:

الضیافهٔ الأولی فی شهر رمضان.

والضیافهٔ الثانیهٔ فی شهر ذی الحجهٔ.

الضیافهٔ الأولی بالصیام.

والضیافهٔ الثانیهٔ بالحج.

و ناهیک بهما ضیافتان کریمتان من ربّ العالمین لعباده! و قد ورد التصریح بهاتین الضیافتین فی المصادر الإسلامیهٔ بصیغ مختلفهٔ.

فعن ضیافهٔ شهر رمضان، روی الصدوق بسند معتبر عن الرضا (ع) عن آبائه:، عن أمیرالمؤمنین (ع) أنّ رسول الله ۹ خطبنا ذات یوم (و فی بعض الروایات فی آخر جمعهٔ من شهر شعبان)، فقال:

«أیها الناس قد أقبل إلیکم شهر الله بالبرکهٔ والرحمهٔ والمغفرهٔ، شهر هو عند الله أفضل الشهور، وأیامه أفضل الأیام، ولیالیه أفضل اللیالی، وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دعیتم فیه إلی ضیافهٔ الله، وجعلتم فیه من أهل کرامهٔ الله».

و أمّا عن ضیافهٔ الحج، فقد وردت طائفتان من الأحادیث تصرّح أولاهما بأنّ الحجاج (وفد) الله تعالی، وقد وفدوا إلی الله؛ وتصرح ثانیتهما أنّ الحجاج ضیوف الرحمن.

أمّا عن الطائفهٔ الأولی، فقد روی عن رسول الله (ص): «وفد الله ثلاثهٌ: الغازی، والمعتمر، والحاج». (۱) و عن أمیرالمؤمنین (ع): «الحاج والمعتمر وفد الله، وحق علی الله أن یکرم وفده، ویحبوه بالمغفره...». (۲) و عن الإمام الحسن (ع): «ثلاثهٔ فی جوار الله تعالی ... رجل خرج حاجاً أو معتمراً، لایخرج إلّا لله تعالی، فهو من وفد الله تعالی حتی یرجع إلی أهله». (۳) و عن الإمام زین العابدین علی بن الحسین (ع) فی رسالهٔ الحقوق: «وحقّ الحج أن تعلم أنّه وفادهٔ إلی ربّک، وفرار إلیه من ذنوبک، وفیه قبول توبتک، وقضاء الفرض الذی أوجبه الله علیک». (۴) وعن الصادق (ع): «الحاج والمعتمر وفد الله، إن سألوه أعطاهم، وإن دعوه أجابهم وإن شفعوا شفعهم، وإن سکتوا ابتدأهم...». (۵)

۱- مستدرک الوسائل ۴۱: ۸ ح ۲۵؛ سنن النسائی ۱۱۳: ۵.

۲- تحف العقول: ۱۲۳؛ الحج والعمرهٔ فی الکتاب والسنهٔ: ۱۵۹- ۱۶۰.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق؛ الفقیه ۶۲۰: ۲.

۵- المصدر السابق؛ الکافی ۲۵۵: ۴ ح ۱۴.

ص: ۴۳

وأمّا عن الطائفة الثانیة (ضیافة الله)، فقد روی: «ممّا أوحی الله عزّوجلّ أنا الله ذو بکة، أهله جیرتی، وزوارها وفدی وأضیافی، أعمره بأهل السماء وأهل الأرض، یأتونه أفواجاً شعثاً غبراً، یعجون بالتکبیر والتلبیة، فمن اعتمره لایرید غیره فقد زارنی، وهو وفد لی، ونزل بی، وحق لی أن أتحفه بکراماتی». (۱) و عن خالد بن ربعی: أنّ أمیرالمؤمنین (ع) دخل مکة فی بعض حوائجه فوجد أعرابیاً متعلّقا بأستار الکعبة، وهو یقول: یا صاحب البیت، البیت بیتک، والضیف ضیفک، ولکل ضیف من مضیفه قری، فاجعل قرای منک اللیلة المغفرة؛ فقال أمیرالمؤمنین (ع) لأصحابه: «أما تسمعون کلام الأعرابی؟ قالوا: نعم. قال: الله أکرم من أن یرد ضیفه». (۲) و عن الإمام الصادق (ع): «إنّ ضیف الله عزّ وجلّ رجل حج واعتمر، فهو ضیف الله حتی یرجع إلی منزله». (۳) و فی الدعاء بعرفة: (أنا ضیفک فاجعل قرای الجنة).

تخصیص شهر رمضان وذی‌الحجة بالضیافة الإلهیة

و عباد الله علی مائدة رحمة الله فی کلّ وقت من فصول السنة وشهورها وأیامها، ولایُشَذّ أحد من الحضور علی مائدة رحمة الله من صالحین وفاسقین ومسلمین وملحدین.

کُلًا نمدُّ هَؤلَاءِ وهَؤلَاءِ مِنْ عَطَاءِ ربِّکَ وَمَا کَانَ عَطَاءُ ربِّکَ محظُوراً. (۴) ولکنّ الضیافة الإلهیة فی هذین الشهرین، شهر رمضان، وشهر ذی الحجة، لحجاج بیت الله خصوصیة و میزة لاتوجد فی غیرهما من حیث العطاء والتکریم الإلهی.

إنّ الضیافة فی هذین الشهرین لیست من قبیل ضیافة الأجسام، وإنما هی من ضیافة القلوب، والمائدة الإلهیة المعدّة لضیوف الرحمن فی هذین الشهرین مائدة رحمة وشفاء، وغذاء للقلوب ... وأعظم الموائد الإلهیة فی حیاة الإنسان بعد نعمة الوجود موائد العقول، وموائد القلوب.

ومصائب الإنسان فی نضوب القلوب والأرواح والنفوس أعظم من معاناته فی فقر غذاء الأجسام، وشحه نتیجة سوء التوزیع لموارد الأرض علی عباد الله.

وکلّ منها معاناة وعذاب للإنسان، مهما کان الفقر والعجز، سواء کان فی غذاء الأجسام، أم العقول، أم القلوب.

ولکن مصیبة الإنسان العظمی هو فی نضوب الروافد، التی تروی القلوب وتحییها وتنعشها أعظم من مصیبته فی العجز الاقتصادی والعلمی، وإن کان کلّ من ذلک مصیبة فی حیاة الإنسان.

۱- المصدر السابق؛ الخرائج والجرائح ۸۰: ۱.

۲- المصدر السابق؛ أمالی الصدوق: ۵۳۳ ح ۱۱.

۳- المصدر السابق؛ الخصال: ۱۲۷.

۴- الإسراء: ۳۰.

ص: ۴۴

وهـذه المائـدة التی أعدّها الرحمن تعالی لعباده فی شـهر رمضان وذیالحجة من نوع موائد القلوب، تحفل بما یحُیی القلوب، ویفعّلها، وینشّطها ویهبها البصیرة، والنور، والهدایـة، والیقین بالله، والإقبال علی الله بالـذکر والـدعاء، والشوق إلی الله، والأنس بذکر الله، وحبّ الله، وحبّ أولیـائه، ومقت أعـدائه، وأعـداء أولیـائه، وترقیق القلوب للإنابـة، والإخبـات والخشوع لله، ومخافـة الله، ورجـاء الله، والتوبـة، والزهـد عن الـدنیا وحطامهـا، وقصـر الأمل فیها، والإقبال علی الصـلاة، والإنفاق، وطول السـجود، والبکاء بین یـدی الله، وما لاأسـتطیع إحصاءه من مواهب الله لعباده فی هذه الضیافة الربانیة التی یستضیف الله فیها عباده مرتین فی السنّة.

ومن عجب أنّ الجوع والعطش والکفّ عن الأهواء والشـهوات، والکـدح والبـذل والجهـد والتعبّد فی هاتین الضـیافتین هو السبیل إلی استنزال هذه المواهب العظیمة المبارکة من خزائن رحمة الله.

و لله خَزائن السـماواتِ والأرض. (۱) وإنْ مِنْ شَـیْءٍ إلَّا عِنْـدَنَا خَزائِنُهُ وَمَا نُنزلُهُ إلَّا بِقَدَرٍ مَعْلوُم. (۲) ولکلّ امرئ من المسـلمین أن یأخذ من هذه الرحمة الهابطة ما یسعه وعاء نفسه وقلبه، فإنّ الرحمة الهابطة فی شهر رمضان وشهر ذی الحجة فی الحج لیس لها حدود ... و کلّ منا یأخذ من هذه الرحمة ما یسعه وعاؤه.

المقارنة بین الضیافتین

و بین هـاتین الضـیافتین شـبه کبیر وفروق تظهر بالمقارنـة؛ فهمـا معـاً دورتان تمکنان الإنسان من ضـبط النفس والأهواء والشـهوات، و ربیعان للذکر والقرآن والدعاء، ومنزلان من منازل رحمة الله فی وعاء الزمان، ولکلّ منهما قمة:

* قمّـة شـهر رمضان، لیلـة القـدر فی وعاء الزمان، وهی وإن کانت مجهولـةً، غیر أنّ إحرازها ضـمن محتملات لیالی القدر لیس بالأمر الصعب.

* و قمّة الحج یوم عرفة بعد الزوال، وفی وادی عرفة فی وعاء الزمان والمکان.

و من لم یـدرک عرفـة فی الحـج المنـدوب، وتعرّف فی الحائر الحسـینی یـدرک ثواب عرفـة إن شاء الله، کما ورد ذلک فی نصوص کثیرة.

و من الفروق البارزة بین هاتین الضـیافتین، أنّ ضـیافة الحج الواجبة مرة واحدة فی العمر، وضـیافة الصـیام فی شهر رمضان فی کل سنة شهر کامل، ولعلّ السرّ فی ذلک- والله أعلم-: أنّ التعبئة النفسیة التی

۱- المنافقون: ۷.

۲- الحجر: ۲۱.

ص: ۴۵

يكتسبها الصائم فى صيام شهر رمضان تكفيه لسنة واحدة، وأما التعبئة النفسية التى يكتسبها الإنسان فى الحج، فإنّها تكفيه لرحلة العمر كلّه، إذا حافظ عليها صاحبها، وحرص عليها.

و فيما يلى أذكر نصين نجدهما فى المصادر الروائية المعتبرة فى قيمة كلّ من هاتين الضيافتين، من دون تعليق:

قيمة الضيافة الرمضانية:

ذكرنا قبل قليل شطراً من رواية الصدوق عن الإمام الرضا (ع) عن آبائه (عليهم السلام) عن أميرالمؤمنين (ع) عن رسول‌الله (ص) فى فضل شهر رمضان، وها نحن نذكر شطراً آخر من الرواية؛ والرواية طويلة نذكر منها قدر الحاجة.

«شهر دعيتم فيه إلى ضيافة الله، وجعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح، ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول، ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا الله ربّكم بنيّات صادقة، وقلوب طاهرة، أن يوفقكم لصيامه، وتلاوة كتابه، فإنّ الشقى من حرم من غفران الله فى هذا الشهر العظيم».

قيمة الضيافة فى الحج

ورد فى فضل الحج أحاديث كثيرة عن رسول‌الله (ص) لايسعنا أن نذكرها جميعاً أو نذكر شطراً مناسباً منها، وإنّما نقتصر على رواية واحدة عن رسول‌الله (ص) أوردها ثقة الإسلام الكلينى فى الكافى، والشيخ الصدوق فى ثواب الأعمال:

عن الصادق (ع): «لما أفاض رسول‌الله ٩ تلقاه أعرابى فى الأبطح، فقال: يا رسول الله! إنّى خرجت أريد الحج- فعاقنى عائق- وأنا رجل كثير المال، فمرنى أصنع فى مالى ما أبلغ ما بلغ الحاج. فالتفت رسول‌الله ٩ إلى أبى قبيس، فقال: لو أنّ أبا قبيس لك زنته ذهبة حمراء، أنفقته فى سبيل الله ما بلغت ما بلغ الحاج». (۱) و الحج الذى فات هذا الرجل حج مندوب بالتأكيد؛ لأنّ الفريضة الواجبة لايمكن تعويضها بالإنفاق ... ولا شك أنّ الحج الواجب أعظم منزلة وقيمة، ومع ذلك يقول له رسول الله (ص): «لو أنّ أبا قبيس ...» وناهيك بذلك فى قيمة الحج وفضله!

المكاسب الخمسة فى الحج

إنّ أعظم ما يكسبه الحاج فى الحج (التقوى) و (الكدح) و (البذل) و (الذكر) و (الحضور فى منازل رحمة الله الزمانية والمكانية) وهى الأجنحة الخمسة التى يعرج بها العبد من الأنا والهوى إلى الله، وهو المعراج الأعظم فى حياة الإنسان فى الدنيا؛ ففى إحرام العمرة والحج يكفّ المعتمر والحاج نفسه عن طائفة من محرمات الإحرام طيلة فترة الإحرام، فى إحرام العمرة والحج، ومن أهمّها محرمات الغريزة الجنسية (التى تعود إلى عامل

۱- الكافى ۲۵۸: ۴، ثواب الأعمال: ۴۸.

ص: ۴۶

الهوی) ومحرمات الزی والجدال (التی تعود إلی عامل الأنا) والمحرمات الأخری التی تمکّن الإنسان من التقشف، ومکافحة عامل حبّ الراحة والعافیة، وهذه هی القیمة الأولی للحج، وهی (التقوی) و (کفّ النفس).

والقیمة الثانیة للحج (الکدح)، ولاشک أنّ (الکدح) إذا کان لله وفی سبیل الله، یحمل قیمة کبیرة؛ وفی العمرة والحج کدح شدید وکثیر، من الطواف والسعی والوقوفین والإفاضة والرمی وغیرها، و لاشک أنّ التشریع الإسلامی أخذ حالة (الکدح) بنظر الاعتبار فی العمرة وبصورة خاصة فی الحج، ولانعرف فی التشریعات الإسلامیة عبادة تتطلب کدحاً أکثر من الحج إلّا (الجهاد) و هذه هی القیمة الثانیة للحج.

والقیمة الثالثة للحج (البذل) ففی الحج بذل عظیم للأموال، کما فیه کدح کثیر للأجسام؛ فإنّ نفقات الحج نفقات عالیة تتطلب الاستطاعة المالیة... ولا نشک أنّ البذل والإنفاق قد أخذ أیضاً بنظر الاعتبار فی تشریع الحج، کما لوحظ عنصر (الکدح والإرهاق).

و القیمة الرابعة للحج: (الذکر) فإنّ الحج یتضمّن ذکراً کثیراً لله، یرافق أعمال الحج، من التلبیة إلی الإفاضة إلی البیت الحرام، ومنه إلی عرفة والمزدلفة.

وَاذْکُرُوا اللهَ فِی أَیَّامٍ مَعْدُودَاتٍ. (۱) فَإِذَا قَضَیْتُمْ مَنَاسِکَکُمْ فَاذْکُرُوا اللهَ کَذِکْرِکُمْ آبَاءَکُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِکْراً. (۲) کما أنّ عامة أعمال الحج، والالتزام بترک محرمات الإحرام من الذکر العام، والذکر العام هو المقسم العام للذکر، ومنه یتفرع الذکر الخاص وهو الذکر باللسان.

روی الصدوق فی معانی الأخبار عن حسین البزاز، قال: قال أبوعبدالله (ع): «ألا أحدثک بأشدّ ما فرض الله علی خلقه؟ قلت: بلی. قال: إنصاف الناس من نفسک، ومواساتک لأخیک، وذکر الله فی کلّ موطن؛ أما إنّی لاأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أکبر، وإن کان هذا من ذاک، ولکن ذکر الله فی موطن إذا هجمت علی طاعة أو معصیة». (۳) و هذا هو قوله تعالی:

إِنَّ الَّذِینَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّیْطَانِ تَذَکَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ. (۴) وهذا هو الذکر العام، وهو أن یتذکر العبد ربه عندما یقدم علی طاعة، أو یقدم علی معصیة، فیتذکر الله تعالی فیکفّ عنها.

و فی المحاسن عن الصادق (ع) فی الحدیث القدسی: «قال الله تعالی: یابن آدم أذکرنی فی نفسک، أذکرک فی نفسی، ابن آدم أذکرنی فی خلاء، أذکرک فی خلاء، أذکرنی فی ملاء أذکرک فی ملاء خیر من ملائکک». (۵)

۱- البقرة: ۲۰۳.

۲- البقرة: ۲۰۰.

۳- معانی الأخبار: ۱۹۲؛ وسائل الشیعة ۲۵۵: ۱۵.

۴- الأعراف: ۲۰۱.

۵- المحاسن ۳۹: ۱.

ص: ۴۷

وأعمال الحج ومحرماته تتضمّن الذكر العام بهذا المعنى... وما من عمل يؤديه الحاج، أو محرّم يكفّ عنه الحاج، إلّا وهو يتضمّن ذكر الله.

وهـذا الـذكر فى مقابل الغفلـة عن ذكر الله، وغياب النفس عنه، وكلّما تتطلب الطاعـة كدحاً أكثر، وكلّما يتطلب الكفّ عن المحرمات جهداً نفسياً أكثر، يتضمن الطاعة والكفّ ذكراً أكثر وأعظم لله تعالى، وهذا هو القيمة الرابعة للحج.

منازل الرحمة الزمانية والمكانية فى الحج

والقيمة الخامسة للحج، حضور العبد فى منازل رحمة الله الزمانية والمكانية فى الحج، وهو أعظم هذه القيم جميعاً... وهى كثيرة.

منهـا: مواقيت الإحـرام والتلبيـة، ومنهـا: البيت الحرام، والطواف، والسـعى، والوقوفان، ومنى، والرمى، والنحر... وأعظمها الوقوف بوادى عرفة، بعد الزوال من يوم التاسع من ذى الحجة، فى أعظم جمهور لضيوف الرحمن على وجه الأرض كلها فى دورة السنة.

وهـذا إجمال لابـدّ له من تفصـيل وتوضـيح، فأقول: إنّ المنازل الزمانيـة والمكانيـة لشـعائر الحـج، من منازل الرحمـة... وهـذان منزلان للرحمة.

المنازل الزمانية مثل يوم عرفة، وليالى التشريق، وعيد الأضحى.

و المنازل المكانية مثل المواقيت، والبيت الحرام، والحطيم، والمسعى، والصفا والمروة، وعرفة، والمزدلفة، ومنى.

و يضاف إلى هـذين المنزلين، المناسك التى يؤدّيها الحاج، فهى فى حـدّ ذاتها من منازل رحمـة الله، مثل التلبيـة، والإحرام، والطواف، والسعى، والوقوفين، والبيتوتة بمنى، والرمى، والنحر. وهذا هو المنزل الثالث من منازل الرحمة فى الحج.

و المنزل الرابع، الاجتماع العظيم للمؤمنين فى الزمان الواحد، والمكان الواحد.

والـذين يعرفون رقـائق أحكام هـذا الـدين، يعلمون جيّـداً أنّ الله تعالى يحبّ اجتماع المؤمنين فى عبادته وطاعته. وتجمّع المؤمنين فى الذكر والدعاء والعبادة وتلاوة القرآن، أقرب إلى الله وإلى رضوانه ورحمته من الأداء الفردى للعبادات.

وقد يكون المجمع الذى يجمع المسلمين فى العبادة الزمان، كما فى صيام شهر رمضان، فإنّ شهر رمضان يجمع الملايين من المسلمين فى العبادة والطاعة من أقاليم شتّى من العالم.

وقـد يكون المجمع الـذى يجمع المسـلمين فى العبـادة والطاعـة المكـان، كمـا فى العمرة، فـإنّ الحرم الشـريف، والبيت الحرام، يجمع عشرات الملايين من المسلمين للعمرة، ولكن فى أوقات مختلفة، وأشهر عديدة من السنّة.

ص: ۴۸

وقد يجمع المسلمين، مكان واحد، وزمان واحد، لأداء الشعيرة العبادية ... و لانعرف لذلك شاهداً من العبادات غير (الحج).

فإنّ الحج يجمع فى كلّ عام عامّـة المسلمين المستطيعين للحج فى مكان واحد، وزمان واحد؛ لأداء فريضة الحج ... وهذا من أعظم منازل الرحمة فى حياة الإنسان، و لايشبهه منزل آخر من منازل الرحمة فى حياة الناس، إلّا القتال فى سبيل الله تعالى.

وبـذلك تجتمع منازل عديـدة للرحمـة فى الحج من حيث المواقع المكانية، والزمانية، والمناسك، والشعائر، و الاجتماع المليونى فى مكان واحد وزمان واحد، ... وقمّة ذلك فى وادى عرفة، يوم عرفة.

فإنّ الرحمة الإلهية تصبّ على وادى عرفة، يوم عرفة من غير حساب، وتنزل على ضيوف الرحمن فى سائر شعائر الحج.

وليس فى مقدور الإنسان أن يحصى البركات الربانية التى تنزل على ضيوف الرحمن من جانب الرحمن، فى هذه المنازل التى أعدّها الله تعالى لضيوفه.

فى هـذه المنـازل تنزل على الحجـاج مـواهب عظيمـة مـن رحمـة الله، تمنحهـم البصيرة، والهـدى، والنـور، والإقبـال على الله، والجـدّ، والاهتمام، والعزم، واليقين، وحبّ الله، وحبّ أوليائه، وبغض أعداء الله، وأعداء أوليائه، والزهد فى الدنيا وحطامها، والإقبال على الآخرة ونعيمها، وما لا أحصيه من مواهب الله تعالى فى منازل رحمته فى الحج.

باقة الحديث

وإليكم باقة من الحديث الشريف فى منازل الرحمة فى الحج، أرجو أن ينفعنا الله بها.

منزلة الحاج عند الله فى الجنة

ورد فى منزلـة الحاج عند الله فى الجنة، إذا أحسن الحج، وأداه لوجه الله، خالصاً فى النّية، وحج من نفقة طيبة محلّلة: أنّ الله تعالى ينزله فى الجنة بجوار النبيين، والشهداء، والصديقين، وحسن أولئك رفيقاً، وناهيك بهذه المنزلة الرفيعة منزلة فى الجنة!

عن أبى عبدالله الصادق (ع) قال: «لما حج موسى (ع)، نزل عليه جبرئيل (ع) فقال له موسى (ع): يا جبرئيل! مالمن حج هذا البيت بنيّة صادقة ونفقة طيّبة؟ فأوحى الله تعالى إليه قل له: أجعله فى الرفيق الأعلى مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً». (۱)

۱- من لايحضره الفقيه ۲: ۲۳۶.

ص: ۴۹

فی ضمان الله

و الحاج فی ضمان الله تعالی، منذ أن یخرج من بیته، إلی أن یعود إلی بیته، یضمن له سعیه ونیّته، أتمّ الحج أو عرض له عارض منعه من إتمام الحج، أو مات فهو مضمون السعی والجهد والعزم.

عن رسول الله (ص): «الحاج فی ضمان الله عزّوجلّ مقبلًا ومدبراً، فإن أصابه فی سفره تعب، أو نصب، غفر له بذلک سیئاته..». (۱) و عن الإمام الصادق (ع): «الحاج والمعتمر فی ضمان الله». (۲) و عن الإمام الصادق (ع): «ضمان الحاج المؤمن علی الله، إن مات فی سفره أدخله الجنة، وإن ردّه إلی أهله لم یکتب علیه ذنب». (۳) و عن رسول‌الله (ص): «من مات محرماً حشر ملبیاً». (۴) و عن ابن عباس: أنّ رجلًا أوقصته راحلته، وهو محرم فمات، فقال رسول‌الله (ص): «إغسلوه بماء وسدر، وکفنوه فی ثوبیه، ولاتخمروا رأسه، و لاوجهه، فإنه یبعث یوم القیامة ملبیاً». (۵) و عن رسول الله (ص): «من مات فی هذا الوجه (طریق الحج) من حاجّ أو معتمر، لم یعرض، ولم یحاسب، وقیل له: ادخل الجنة». (۶) ثواب الحج الجنة

استفاضت الروایات وفیها الصحاح والحسان، أنّ ثواب الحج الجنة، و لن یکون ثوابه دون الجنّة.

عن رسول‌الله (ص): «لیس للحجة المبرورة ثواب إلّا الجنة». (۷) و عن رسول‌الله (ص): «العمرة إلی العمرة کفارة ما بینهما، والحجة المتقبلة ثوابها الجنة». (۸) و عن رسول‌الله (ص): «ما سبّح الحاج من تسبیحة ولاهلّل من تهلیلة ولا کبّر من تکبیرة إلّا بشر بها (الجنة) تبشیرة». (۹)

۱- کنز العمال ۱۴: ۵، ح ۱۱۸۴۰؛ الحج والعمرة فی الکتاب والسنة: ۱۶۱.

۲- المصدر السابق؛ الکافی ۲۵۶: ۲.

۳- المصدر السابق؛ بحار الأنوار ۴۹: ۹۶.

۴- المصدر السابق؛ کنز العمال ۸: ۵

۵- المصدر السابق؛ مستدرک الوسائل ۱۷۷: ۲.

۶- المصدر السابق؛ الغدیر ۳۳۲: ۵؛ کنز العمال ۱۵: ۵، ح ۱۱۸۴۸.

۷- المصدر السابق؛ کنزالعمال ۱۱۳: ۵، ح ۱۲۲۸۶.

۸- المصدر السابق؛ مستدرک الوسائل ۳۷: ۸.

۹- المصدر السابق؛ الدر المنثور ۲۱۰: ۱.

ص: ۵۰

أفضل الأعمال بعد الجهاد

ولیس بعد توحید الله والجهاد، عمل أفضل من الحج.

سئل رسول الله (ص): أیّ الأعمال أفضل؟ قال: «الإیمان بالله ورسوله. قیل: ثم ماذا؟ قال: جهاد فی سبیل الله. قیل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور» . (۱) و عن الإمام الصادق (ع): «ما سبیل من سبل الله أفضل من الحج، إلّا رجل یخرج بسیفه فیجاهد فی سبیل الله حتی یستشهد». (۲) الدعاء المستجاب للحجاج

وقد أکرم الله تعالی الحجاج بالدعاء المستجاب، فلیسأل ما یشاء، ولایُقَتِّر فی السؤال، فإنّ المسؤول کریم، ومن أقبح اللؤم إذا کان المسؤول کریماً أن یکون السائل بخیلًا شحیحاً، مُقَتِّراً، فی السؤال.

عن رسول‌الله (ص): «الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم». (۳) نور الحج

ویترک الحج بصیرة فی القلوب، ونوراً ظاهراً علی الوجوه، هو نور الإیمان، والطاعة، والتقوی، والذکر، ولا یزال هذا النور علی وجوه الحجاج، ما لم یذنبوا ... فإذا أذنبوا ذهب الله بنورهم.

عن الإمام الصادق (ع): «الحاج لایزال علیه نور الحج ما لم یلم بذنب». (۴) خیر الدنیا والآخرة

وللحج برکات عظیمة للحجاج فی دنیاه وآخرته.

عن رسول‌الله (ص): «من أراد الدنیا والآخرة، فلیؤمّ هذا البیت، فما أتاه عبد یسأل الله دنیا إلّا أعطاه منها، و لایسأله آخرة إلّا ادّخر له منها». (۵)

۱- المصدر السابق؛ الدرالمنثور ۲۴۴: ۱.

۲- المصدر السابق؛ مستدرک الوسائل ۱۰: ۸.

۳- الحج والعمرة فی الکتاب والسنة: ۱۶۲؛ الدر المنثور ۱۰: ۱.

۴- الکافی ۲۵۵: ۴.

۵- بحارالأنوار ۵۰: ۹۶.

ص: ۵۱

غفران الذنوب

ولعلّ من أعظم بركات الحج ما تواترت به الروايات، وفيها الروايات الصحيحة: أنّ الله يغفر للحجاج ذنوبهم جميعاً، فإذا عادوا إلى بيوتهم وبلادهم، عادوا كهيئتهم يوم ولدتهم أمهاتهم، قد تحرروا وتخلّصوا من ذنوبهم جميعاً.

روى المحدث الحرّ العاملى فى موسوعته القيّمة- وسائل الشيعة- عن محمد بن على بن الحسين، قال: روى أنّ «من أعظم الناس ذنباً، من وقف بعرفات، ثمّ ظنّ إنّ الله لم يغفر له». (۱) و روى سفيان بن عيينة عن الإمام الصادق (ع)، قال: «سأل رجل أبى بعد منصرفه من الموقف، فقال: أترى يجيب الله هذا الخلق كلّه؟ فقال أبى: ما وقف بهذا الموقف أحد إلّا غفر الله له، مؤمناً كان أو كافراً، إلّا أنّهم فى مغفرتهم على ثلاث منازل: مؤمن قد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وأعتقه من النّار.. ومنهم من غفر الله ما تقدّم من ذنبه، وقيل له: أحسن فيما بقى من عمرك.. وكافر وقف بهذا الموقف لزينة الحياة الدنيا غفر الله له ما تقدّم من ذنبه إن تاب من الشرك فيما بقى من عمره..». (۲) و سأل الإمام الصادق (ع) رجل فى المسجد الحرام: مَنْ أعظم الناس وزراً؟ فقال: «من يقف بهذين الموقفين: عرفة والمزدلفة، وسعى بين هذين الجبلين، ثمّ طاف بهذا البيت، وصلّى خلف مقام إبراهيم، ثمّ قال فى نفسه، وظنّ أنّ الله لم يغفر له، فهو من أعظم النّاس وزراً». (۳) عن أبى حمزة الثمالى: قال رجل لعلى بن الحسين (ع): تركت الجهاد وخشونته، ولزمت الحج ولينته؟ قال: وكان متكئاً فجلس، وقال: «ويحك أما بلغك ما قال رسول الله (ص) فى حجة الوداع؟ إنّه لما وقف بعرفة، وهمّت الشمس أن تغيب، فقال رسول‌الله (ص): يا بلال! قل للنّاس فلينصتوا، فلمّا انصتوا، قال: إنّ ربّكم تَطَوّلَ عليكم فى هذا اليوم، وغفر لمحسنكم، وتشفع محسنكم فى مسيئكم، فأفيضوا مغفوراً لكم». (۴) يرجع الحاج كهيئته يوم ولدته أمّه

و قد يكون من أعظم بركات الحج أيضاً، ما تواترت به الروايات، وفيها الروايات الصحيحة: أنّ الله يغفر للحجاج ذنوبهم، حتى إذا عادوا إلى بلادهم، وبيوتهم، رجعوا كهيئتهم يوم ولدتهم أمهاتهم.

عن رسول الله ٩: «حُجّوا، فإنّ الحج يغسل الذنوب، كما يغسل الماء، الدَرَن». (۵) عن رسول الله ٩: «من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمّه». (۶)

۱- وسائل الشيعة ۵۴۷: ۱۳، ح ۱۸۴۰۷.

۲- وسائل الشيعة ۲۱: ۱۰- ۲۲، الباب ۳۸ ح ۸.

۳- المصدر السابق، ح ۵.

۴- الكافى ۲۵۸: ۴.

۵- الحج والعمرة فى الكتاب والسنة: ۱۶۲؛ كنزالعمال ۱۰: ۵ ح ۱۱۸۲۱.

۶- المصدر السابق: ۱۶۳؛ كنز العمال ۷: ۵. ح ۱۱۸۰۸.

ص: ۵۲

و عنه (ص): «من خرج حاجاً يريد وجه الله، فقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، وشُفّع فيمن دعا له». (۱) و عنه (ص): «معاشرالناس! ما وقف بالموقف مؤمن إلّا غفر الله له ما سلف من ذنبه إلى وقته ذلك، فإذا انقضت حجته استؤنف عمله». (۲) و عن الإمام الباقر (ع): «من أمّ هذا البيت حاجاً أو معتمراً مبرأ من الكبر، رجع من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أمّه». (۳) و عن الإمام الصادق (ع): «من حج يريد به الله، لايريد به رياء ولاسمعة، غفر الله له البتة». (۴) و عن الإمام الصادق (ع): «إنّ العبد ليخرج من بيته، فيعطى قسماً، حتّى إذا أتى المسجد الحرام طاف طواف الفريضة، ثمّ عدل إلى مقام إبراهيم فصلّى ركعتين، فيأتيه ملك فيقوم عن يساره، فإذا انصرف ضرب بيده على كتفيه فيقول: يا هذا، أما ما مضى فقد غفر لك، وأما ما يستقبل فجد». (۵) الرواتب الثلاثة فى العبادات

و يكفى أن نقول فى حجم هذه المواهب والبركات: إنّ المخزون الذى يختزنه العبد فى رحلة الحج يكفيه لرحلة العمر كلّها، إذا حرص وحافظ عليها.

ولابدّ من توضيح لهذه الكلمة، فنقول: إنّ العبادات على نوعين:

النوع الأول: عبادات مرتبات على عمود الزمان بفواصل زمانية متفاوتة كالصلاة وصيام شهر رمضان.

النوع الثاني: عبادات مجعولة حسب الحاجة والضرورة كالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والجهاد، وإغاثة المؤمنين ونجدتهم.

والنوع الثانى من العبادات، تفرضها الحاجة الموضوعية فى واقع حياة النّاس.

أمّا النوع الأول من العبادات، فهى التى يحتاجها الإنسان فى حركته التكاملية إلى الله ... ولذلك فإنّ الله تعالى يفرضها على النّاس فى كلّ الظروف، مثل الصلاة، والصوم، والحج، وهى التى نقصدها من (الرواتب)، وهى العبادات التى يحتاجها الإنسان لتكامله النفسى، والروحى، والعقلى، بغضّ النظر عن أية ظروف موضوعية وفى كلّ الظروف، وهى على أقسام حسب حاجة الإنسان إليها.

فمن الرواتب ما يحتاجه الإنسان فى كلّ يوم عدّة مرات، وهى الصلاة، فهى حاجة مستمرّة متصلة يحتاجها الإنسان فى نموّه وتكامله وحركته إلى الله ... وإذا انقطع الإنسان عنها توقف نموّه وتكامله؛ وتوقّف الإنسان عن حركة التكامل، بمعنى التراجع، و لايسعنا الآن شرح هذه النقطة.

۱- المصدر السابق؛ حلية الأولياء ۲۳۵: ۷.

۲- المصدر السابق؛ عن روضة الواعظين.

۳- المصدر السابق: ۱۶۴؛ الكافى ۲۵۲: ۴.

۴- المصدر السابق: ۱۶۴؛ وسائل الشيعة ۷۶: ۸.

۵- المصدر السابق؛ الكافى ۲۵۷: ۴.

ص: ۵۳

و من الرواتب ما یحتاجه الإنسان کلّ سنة مرّة، وهو صیام شهر رمضان فی کلّ عام، فإنّ هذه الفریضة الرتیبة تتکرر علی الإنسان فی کلّ عام مرّة واحدة، شهراً کاملًا.

و من الرواتب ما یحتاجه الإنسان فی العمر مرة واحدة- بالضرورة- وماعدا ذلک یخرج عن دائرة الضرورة، ویدخل فی دائرة الندب، وهو الحج؛ فإنّ الحج یجب علی المرء مرة واحدة فی العمر.

و معنی ذلک أنّ الخزین النفسی الذی یکتسبه الحاج فی رحلة الحج یکفی لرحلة العمر کله، إذا حافظ علیه الحاج، ولم یهدره، وأنّ التعبئة الروحیة والنفسیة والسلوکیة الّتی یکتسبها الحاج فی هذه الرحلة، تعبئة عالیة تکفی لرحلة العمر کلّها، إذا حافظ علیها الحاج، وحرص علی تنمیتها.

کیف یتناقص خزین الحج فی ساحة الحیاة؟

إذن البحث عن الوسائل التی تمکّن الحاج من المحافظة علی المکاسب التی اکتسبها فی الحج، من المسائل الضروریة التی لابدّ أن یعرفها الحاج بعد العودة من الحج.

ومن الضروری أن نتساءل، ونعرف کیف یحافظ الحاج علی هذه الذخیرة الغالیة التی اکتسبها فی الحج، عند ما یعود إلی بلده، وداره، وأسرته، ویعود إلی السوق، وینزل إلی الشارع، ویختلط بالنّاس، ویعاشرهم، ویدخل فیما یدخل فیه النّاس من شؤون دنیاهم؟

فما أکثر الذین أهدروا هذه الثروة العظیمة التی اکتسبوها فی الحج، فی أقل من شهر، بعد أن عادوا إلی بلدهم، وأهلهم، وعشائرهم، وتجارتهم، وأعمالهم التی یمارسونها، لإدارة معیشتهم فی الدنیا، وعلاقاتهم الاجتماعیة.

و الشیطان إذا فشل فی إفشال مشروع الحج فی تکامل الحاج، وتعبئته النفسیة العالیة التی تبلغ ذروتها فی (عرفة)، فإنه یتحوّل إلی الدور الثانی فی إحباط مکاسب الحج عندما یعود الحاج إلی حیاته المألوفة فی (البیت) و (الشارع) و (السوق)، وهی المراکز الثلاثة لحضور النّاس فی الحیاة الدنیا.

و نقصد بالبیت، الحیاة العائلیة التی هی أحد أرکان حیاة الإنسان، ونقصد بالشارع، العلاقات الاجتماعیة (العلاقات العامة)، ونقصد بالسوق، العمل الذی یدر معیشة الإنسان فی السوق، أو فی الحقل، أو فی المصنع، أو فی دوائر الدولة، فی البر أو البحر.

و لهذه المراکز الثلاثة دور کبیر فی استهلاک الخزین النفسی الذی یختزنه الحاج فی الحج، وإحباط الحالة التعبویة النفسیة العالیة، التی یکتسبها فی هذه الرحلة.

إنّ الشیطان یبذل جهداً کبیراً لتسریب خزین الحج، فی تعامل الحاج فی البیت، والسوق، والشارع، مع أهله، ومن خلال تجارته، وعلاقاته الاجتماعیة؛ تماماً کما تتسرّب الحرارة عند ما تکون فی وسط بارد فاقد للحرارة، فی الأجسام الصلبة، وفی السوائل والغازات، ما لم یحفظ الحرارة جدار عازل، یحفظ الحرارة من التسرّب.

ص: ۵۴

و لايتصور أحدٌ أننا ندعو إلى أن يعتزل الحاج بيته، وتجارته، وعلاقاته الاجتماعية، عند ما يعود من الحج، فليس هذا من دين الله فى شيء ... بل العكس هو الصحيح ... فإنّ الحياة العائلية، والعمل، والتجارة، والعلاقات الاجتماعية، مما يدعو إليه الإسلام دعوة حثيثة.

و إنّما الذى ندعو إليه بشكل دقيق، هو أن نعرف كيف يحافظ المرء على خزين الحج، وتعبئته النفسية العالية فى وسط المراكز الثلاثة التى عددناها آنفاً، دون أن يعتزلها، أو يقاطعها؟ فإنّ هذه المقاطعة والاعتزال، ليس من دين الله إطلاقاً.

كيف نحافظ على مكاسب الحج؟

و الآن نطرح الاجابة عن هذا السؤال، فى دراسة موجزة إن شاء الله، فأقول:

إنّ أهمّ العوامل الواقية التى تحفظ الإنسان، وتحفظ له ما اكتسبه فى الحج من التسرّب والاستهلاك فى ساحات الحياة الثلاثة، هى التقوى والذكر، وإليك تفصيل ذلك.

۱. التقوى

التقوى هو اللباس العازل الذى يحفظ الإنسان من العوامل الموضوعية فى البيئة والوسط، من الفتن والمغريات، ومن العوامل النفسية، داخل النفس، من الشهوات والأهواء، ومن دور الشيطان فى إثاره الأهواء والشهوات تجاه الفتن والمغريات، وتجميل الفتن والمغريات للأهواء والشهوات، وهذا هو الدور الرئيسى للشيطان فى إغواء الإنسان وتسقيطه، وهو دور الوساطة بين الأهواء والفتن، (دور السمسار).

و التقوى هو اللباس العازل الذى يحفظ الإنسان من ثلاثية الابتلاء (الأهواء- الفتن- الشيطان) دون أن يعتزل الإنسان حياته العائلية، وعلاقاته الاجتماعية، وعمله، وتجارته، وحركته الاقتصادية.

وما من عامل يقوى على حماية الإنسان من ثلاثية الابتلاء مثل (التقوى). و التقوى هو ضبط النفس عند الحدود الّتى حدّدها الله تعالى لعباده.

و قد أفاد الحج الحجاج ضبط النفس بدرجة عالية، وبمقاييس واسعة وكبيرة فى محرمات الإحرام، منذ لحظة التلبية إلى أن يخرج من حالة الإحرام.

و إذا كان الحاج قد تحلّل من محرمات الإحرام بعد السعى، وطواف النساء والوداع، فإنّ خزين التقوى وضبط النفس الذى اكتسبه الحاج فى هذه الدورة المكثفة يبقى معه.

و التقوى خير ما يحفظ الحاج بعد عودته من الحج، و يحفظ له ما اكتسبه فى الحج من معرفة الله، وحالة القرب إلى الله، والبصيرة، وشفافية القلب، وقوة النفس، والعزم فى طاعة الله، والإخلاص لله، والإخبات إليه، وذكر الله، وحالات الأنس بذكر الله، والشوق إلى لقاء الله، وحبّ الله، وما لا أحصيه من مكاسب الحج العظيمة.

فإنّ الإنسان ما لم يتلوّث بالذنوب والمعاصى، والانشغال بالدنيا عن ذكرالله تبقى له هذه المواهب، ولا يفسدها شيء مثل (الذنوب) و (الانشغال بالدنيا عن ذكر الله).

ص: ۵۵

و التقوی تحفظ الإنسان من الذنوب، وهو الشطر الأول من الطریق الصعب.

والشطر الثانی من هذا الطریق هو ذکر الله الذی یحفظ الإنسان من أن تلهیه الدنیا عن ذکر الله، وهو قوله تعالی: وَاذْکُرْ ربَّک إذَا نَسیتَ؛ (۱) وسوف نتحدث عنه إن شاء الله، فیما یأتی من هذا الحدیث.

فإذا التزم التقوی، تحفظ له التقوی شطراً کبیراً من المواهب التی اکتسبها فی الحج.

مراقبة التقوی

و التقوی، کما یقول الله تعالی: لباس وَ لباسُ التقویَ ذلکَ خَیرٌ، و کما یحفظ اللباس صاحبه من الحرّ، والبرد، ومن الأذی، وعیون الناس، ویستر له عوراته و سوءآته، کذلک التقوی تحفظ الإنسان من ثلاثیة الابتلاء (الفتن والمغریات- الأهواء والشهوات- الشیاطین).

و تحفظ له عورات نفسه و سوءآته، فإنّ للنفس الإنسانیة عورات، کما للجسم، وتستر التقوی عورات النفس، کما یستر اللباس عورات الجسم.

و لکن، کما یحفظ اللباس صاحبه، کذلک یحفظه صاحبه من الوساخة والتمزق؛ و هذا هو الدور المتبادل بین الإنسان واللباس، فی الحفظ والصیانة.

کذلک العلاقة بین (الإنسان) و (التقوی)، فإنّ (التقوی) تحفظ صاحبها من الانحراف، والسقوط، والذنوب، والمعاصی، وهو دور وقائی عظیم لامندوحة للإنسان عنه فی سلامة الروح والنفس والعقل.

... و فی المقابل یجب علی الإنسان أن یراقب عامل (التقوی) فی نفسه وسلوکه، لئلا یضعف أو یختل ... ولکی تؤدی التقوی دورها فی المحافظة علی الإنسان، لابدّ للإنسان أن یراقب التقوی، ویحافظ علیها، ومن دون ذلک لاتسلم له التقوی.

یقول أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع)، فی هذا الدور المتبادل بین الإنسان والتقوی: «ألا فصونوها وتصوّنوا بها». (۲) وهی کلمة دقیقة وعمیقة ... فلکی یصون الإنسان نفسه بالتقوی، لابدّ أن یصون التقوی ویراقبها.

أهمّ آلیات مراقبة التقوی:

۱. المحاسبة، والمراقبة المتصلة.

۲. الوعظ والتذکیر.

۳. ذکر الله، وذکر الموت.

۴. مرافقة الصالحین ومجالستهم، وحضور مجالسهم.

۱- الکهف: ۲۴.

۲- نهج البلاغة، الخطبة: ۱۹۱.

ص: ۵۶

٢. الذكر

العامل الآخر للمحافظة على مكاسب الحج، ذكر الله تعالى ضمن برنامج منظم ... وهذا الذكر يشمل نوافل الصلاة، وبشكل خاصّ النوافل الليلية (صلاة الليل) وقراءة القرآن، والدعاء، والأوراد، والأذكار الواردة فى الليل والنهار، ولو خلال فترة العمل، والالتزام بتعقيبات الصلاة، والاهتمام بحضور الجماعة، والتعهد بالأدعية الواردة ليلة الجمعة، ويوم الجمعة، وسائر أيّام الله فى السنة.

إنّ الالتزام بهذه الأبواب من الذكر، يفتح منافذ القلب على الله تعالى، ويبعث فيه النور، والبصيرة، والشفافية، ويقرب الإنسان إلى الله، ويمنح الإنسان اليقين، والعزم، والقوة فى طاعة الله، والأنس إلى ذكر الله، والشوق إلى لقاء الله، وحبّ الله، والإنابة إلى الله، والخشية والرجاء من الله، وما لا أحصيه من المواهب التى جعلها الله فى الذكر.

و من أعظم هذه المواهب، أنّ ذكر الله يحفظ الإنسان من أن تشغله الدنيا أوتلهيه عن الله... وهذا هو الشطر الثانى من الطريق الصعب الذى ذكرناه آنفاً فى السعى إلى الله، فإنّ أعظم حجابين يحجبان العبد عن الله تعالى، هو الذنوب والمعاصى أولًا، و التعلّق بالدنيا ثانياً.

ولمكافحة هذين العاملين قلنا:

إنّ (التقوى) هو الشطر الأول من الطريق الصعب، يحفظ الإنسان من الذنوب والمعاصى الحاجبة عن الله؛ و (الذكر) هو الشطر الثانى من هذا الطريق، يحفظ صاحبه عن الدنيا ودورها المغرى فى إلهاء الإنسان، وانشغاله عن الله.

المداومة

و لايؤتى الذكر ثماره فى حياة الإنسان، ما لم يواصله الإنسان زمناً طويلًا فى حساب العمر.

فقد روى عن أميرالمؤمنين (ع): «قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه». (١) إنّ بركات الذكر لاتظهر مرة واحدة، كما هو الحال فى أغلب سنن الله تعالى فى الكون، وإنما تظهر بصورة تدريجية. و لكى يكتسب الإنسان بركات الذكر، لابدّ له من مواصلة الذكر ومداومته.

المراقبة والمداومة

و الغاية هنا من التأكيد على (مراقبة) التقوى و (مداومة) الذكر، هى أن يتحوّل كل من التقوى والذكر فى حياة الإنسان إلى ملكة راسخة ثابتة؛ فما لم تتحول التقوى ويتحول الذكر فى حياة الإنسان إلى ملكتين راسختين فى النفس ثابتتين، فهما معرضان لأخطار وتهديدات كثيرة من جانب ثلاثية الابتلاء التى شرحناها من قبل.

١- وسائل الشيعة ١١٨: ١ ح ١٠.

ص: ۵۷

فإذا تحولا- بالمراقبة والمداومة إلى حالة ثابتة وراسخة فی النفس، واستحكما فی النفس، فلا- یخاف علیهما عندئذ من تحدیات (الأهواء) و (الفتن) و (الشیاطین) ویتحوّل كل من التقوی والذكر عندئذ من حالة رجراجة غیر ثابتة، إلی ملكة ثابتة وراسخة فی النفس ... وعندئذ تثبت مكاسب الحج فی نفس الإنسان.

***

ص: ۵۸

التزاحم بين الحج والفرائض الآخرى (۲)

۴- تزاحم الحج والنذر

تحرير المسألة:

لو نذر أو عاهد بما يزاحم أداء الحج فى سنة واحدة، أو فى سنوات، كمن نذر أن‌يزور الإمام الحسين (ع) فى يوم عرفة من كل سنةثم تحققت عنده الاستطاعة للحج، فأيهما يؤدى؟ فإن أدى زيارة الإمام الحسين كما هو مضمون نذره فلابدّ أن‌يترك حجة الإسلام طيلة عمره؛ وإن أتى بحجة الإسلام، فلابدّ له من ترك العمل بالمنذور.

أو كمن نذر أن‌يصرف مقداراً من المال للزيارة أو التعزية أو نحو ذلك، بحيث لو صرف المال فيما نذر لزالت الاستطاعة، فهل يجب عليه الحج أم لا؟ وكذا يمكن أن‌تحصل الاستطاعة قبل النذر، فما هى وظيفة المكلف وفق الرأى الفقهى؟

تاريخ المسألة و صورها:

لايخفى أنّ‌هذه المسألة قد طرحت فى كلمات الفقهاء القدامى فى الحج الندبى، ثم لما اشتغل صاحب الجواهر- كما حكى المشايخ- بتأليف كتاب الجواهر، أحسّ أن‌إتمام المشروع رهن صبّ الجهود على التأليف، وعدم الاشتغال بشىء آخرلسنتين؛ ولذلك نذر أن‌يزور الحسين (ع) فى كلّ عرفة حذراً من تعلق وجوب الحج عليه إذا استطاع، كى لايواجه المشروع بمخاطر قبل إنجازه فى حياته، فصار ذلك سبباً لطرح هذه المسألة، (۱) بين المتأخرين مفصلًا.

وبذلك تنحصر المسألة فى أربع صور:

الأولى: لو نذر المستطيع حجة الإسلام مقيداً بكونها فى سنة الاستطاعة.

الثانية: لو نذر غير المستطيع حجة الإسلام مقيداً بكونها فى سنة خاصة ثم استطاع فى نفس السنة.

الثالثة: لو نذر غير المستطيع غير حجة الإسلام فى سنة خاصة أو فى عامة السنوات ثم حصلت الاستطاعة.

الرابعة: لو نذر المستطيع غير حجة الإسلام مقيداً بكونها فى سنة الاستطاعة.

إنّ‌الصورتين الأوليين خارجتان‌عن محل البحث، وهو تزاحم الحج والنذر؛ لأنّه إذا نذر حجة الإسلام قبل الاستطاعة أو بعد الاستطاعة انعقد النذر، وكلاالحالتين تتداخلان‌فى النتيجة؛ لأنّه قام بامتثال ما نذر و هو الحج الواجب للمستطيع، ولايمكن فرض التزاحم بين الحج والنذر.

بقيت الصورتان الثالثة والرابعةللدراسة والبحث والنقد تفصيلًا، نبدأ على حسب الترتيب:

الصورة الثالثة:

و هى أنّه لو نذر غير المستطيع غير حجة الإسلام فى سنة خاصة، أو فى عامة السنوات، ثم حصلت الاستطاعة، هل يجب عليه حجة الإسلام أو يجب إتيان‌المنذور؟ وأيّهما يقدم؟

۱- السبحانى، جعفر، كتاب الحج ۱۸۰: ۱.

ص: ۵۹

كلمات الفقهاء:

قال الشهيد في الدروس: فلو نذر الحج ثم استطاع، صرف ذلك إلى النذر، فإنأهمل واستمرت الاستطاعة إلى القابل، وجبت حجة الإسلام أيضاً، وظاهر الأصحاب تقديم حجة الإسلام مطلقاً، وصرف الاستطاعة بعد النذر إليها، إلاأنيُعيّن سنة للنذر، فيصرف الاستطاعة فيها إلى حج النذر. (۱) وقال الشهيد الثاني في المسالك: ولو نذره (الحج) قبل حصول الاستطاعة، ثم حصلت قبل الفعل، قدّمت حجة الإسلام مع الإطلاق أو التقييد بمدة تزيد عن سنة، بحيث يمكن فعله بعد ذلك أو بسنة متأخرة عن عام الاستطاعة، ومع تعيّنه بتلك السنة يقدم النذر؛ لعدم تحقق الاستطاعة في تلك السنة المعيّنة. (۲) وقال سبطه في المدارك: ولو اتفق حصول الاستطاعة قبل الإتيانبالحج المنذور، قُدّمت حجة الإسلام إنكانالنذر مطلقاً أو مقيداً بما يزيد عن تلك السنة أو مغايرها؛ لأنوجوبها على الفور بخلاف المنذورة على هذا الوجه، وإلاقُدّم النذر؛ لعدم تحقق الاستطاعة في تلك السنة؛ لأنّالمانع الشرعي كالمانع العقلي، وعلى هذا فيراعى في وجوب حج الإسلام بقاء الاستطاعة إلى السنة الثانية. (۳) وقال صاحب الجواهر: ولو كاننذره حال عدم الاستطاعة، وجب الإتيانبالنذر مع القدرة، وإنلمتحصل الاستطاعة الشرعية، كما في غيره من الواجبات، إذ هي شرط في وجوب حج الإسلام للدليل دون غيره. (۴) وقال السيد اليزدي في العروة الوثقى: إذا نذر قبل حصول الاستطاعة أنيزور الحسين (ع) في كل عرفة، ثم حصلت، لميجب عليه الحج .. وكذا إذا كانعليه واجب مطلق فوري قبل حصول الاستطاعة، ولميمكن الجمع بينه وبين الحج، ثم حصلت الاستطاعة، وإنلميكن ذلك الواجب أهم من الحج؛ لأنّالعذر الشرعي كالعقلي في المنع في الوجوب؛ وأمّا لو حصلت الاستطاعة أولًا، ثم حصل واجب فوري آخر، لايمكن الجمع بينه وبين الحج، يكون من باب المزاحمة، فيقدم الأهم منهما. (۵) وقال الإمام الخميني: لو نذر قبل حصول الاستطاعة زيارة أبي عبدالله الحسين (ع) مثلًافي كل عرفة، فاستطاع، يجب عليه الحج بلاإشكال، وكذا الحال لو نذر أو عاهد مثلًابما يضاد الحج. (۶) فتحصّل من كلمات الفقهاء أنّهاهنا قولين:

أحدهما: تقديم النذر على الحج، كما ذهب إليه الشهيد الأول في الدروس، والشهيد الثاني في مسالك الأفهام، وهكذا صاحب المدارك والجواهر والسيد اليزدي في العروة الوثقى.

ثانيهما: تقديم الحج على النذر، كما ذهب إليه بعض الفقهاء أخيراً.

۱- الشهيدالأول، محمد، الدروس ۲۷۴: ۱.

۲- الشهيدالثاني، زين الدين، المسالک ۱۵۷: ۲.

۳- العاملي، محمد، مدارک الأحكام ۹۹: ۷- ۱۰۰.

۴- النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام ۳۴۷: ۱۷.

۵- السيد اليزدي، محمدكاظم، العروة الوثقى ۲: الفصل الثاني من كتاب الحج، المسألة ۳۲.

۶- الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، كتاب الحج، المسألة ۲۹ من شرائط وجوب حجةالإسلام.

ص: ۶۰

أدلة القولین:

القول الأول: تقدیم النذر علی الحج

استُدل علی القول بتقدیم النذر علی الحج بأمور:

الأمر الأول: أنّالإتیانبالنذر قبل حصول الاستطاعة أمر واجب، وهو یعتبر عذراً، ومع تحقق العذر لاتتحقق الاستطاعة؛ لأنّالمانع الشرعی کالمانع العقلی یمنع عن تعلق وجوب الحج به.

ودلیل اعتبار العذر هو صحیحة الحلبی، عن أبی عبدالله (ع)، قال: «إذا قدر الرجل علی ما یحج به ثم دفع ذلک، ولیس له شغل یعذره به، فقد ترک شریعة من شرائع الإسلام». (۱) هذا الحدیث یفید بأنّه لو کانله عذر یعذره الله تعالی علیه فی ترک الحج، لمیترک شریعة من شرائع الإسلام، ومعلوم أنّالوفاء بالنذر فی وقته شرّعه الله تعالی، وألزم المکلف بما ألزم به نفسه، و اعتبره عذراً ومانعاً عن تعلق وجوب الحج به فی ذلک الوقت، کما لو وجدنا ماءاً غصبیاً فی مثل قوله تعالی: فَلمتَجِدُوا ماءً فَتَیَمّمُوا صَعیداً طَیِّباً. (۲) حیث إنّفقدانالماء عذرٌ عقلی، ومانع عن تعلق وجوب الوضوء به، ووجدانه أیضاً بوصف الغصبیة عذر شرعی لایجوز التوضّؤ به، فهنا العذر الشرعی کالعذر العقلی مانع عن تعلق الوجوب به، وهذا هو المذکور فی أکثر کلمات الفقهاء. (۳) بعبارة أخری: محصّل الاستدلال أنّه یعتبر فی الاستطاعة إضافةً إلی صحة البدن وتخلیة السرب، الاستطاعة المالیة والزمانیة، وعدم مزاحمتها لواجب آخر، ومع المزاحمة ترتفع الاستطاعة المعتبرة فی وجوب الحج.

ویلاحظ علیه، أنّالروایة إنّما تعرض لترک الحج بلاعذر وتندّد به، وتعتبره ترکاً لشریعة من شرائع الإسلام؛ وأمّا کون الوفاء بالنذر مثلًاعذراً، فهذا أوّل الکلام، فلابدّ من إثباته من خارج، کما ثبت العذر فی موارد الحرج والضرر الزائدین علی مایقتضیه الحجّ، و لم یثبت کون الوفاء بالنذر عذراً، و بعبارة أوضح، أنّالروایة لمتبیّن الصغری، ولمتعرّف العذر بما هو عذرٌ. (۴) و أمّا الماء المغصوب، فإنّالشارع اعتبره عذراً و لمیجوّز التوضؤ به، هذا بحث صغروی فی اعتبار الوفاء بالنذر عذراً.

وأمّا البحث فی الاستدلال علی أنّعدم المزاحمة بواجب آخر، هل یعتبر من الاستطاعة أم لا؟

إنّا فصّلنا الکلام فی الاستطاعة وتحقیق معناها، بأنّالمراد من الاستطاعة الواردة فی الآیة الشریفة والنصوص المفسرة لها، هی استطاعة عرفیة علی ما هو المختار، وهی تتمثل فی توفر الزاد والراحلة، وصحة

۱- الوسائل ۸: الباب ۶ من أبواب وجوب الحج، ح ۳.

۲- النساء: ۴۳.

۳- العروة الوثقی، المسألة ۳۲ من شرایط وجوب حجة الإسلام.

۴- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعة، کتاب الحج ۱۶۸: ۱، بتصرف.

ص: ۶۱

البدن، وتخلية السرب؛ وأمّا العذر الشرعی و العقلی أو أیّ شیء آخر لایعتبر من الاستطاعة، ولیس لعدم المزاحمة بواجب آخر شأنفی الاستطاعة.

الأمر الثانی: أنّرجحانالنـذر- المشـروط به صـحة النـذر- یجب أنیكون مع قطع النظر عن النـذر، ومع مزاحمة النذر للاسـتطاعة؛ فإذا غُضّ النظر عن النـذر، یكون المنـذور غیر راجـح؛ لأنّمؤدّاه ترک الحـج، وإنّما یكون المنـذور راجحاً بتوسط النذر الرافع للاسـتطاعة، ومثل هـذا الرجحانلایكفی فی صـحة النـذر، مثله یجری فی وجوب حج الإسـلام فی الفرض، فإنّالاسـتطاعة المعتبرة فی وجوب حج الإسـلام یجب أنتكون حاصـلة مع غضّ النظر عن وجوب الحج، وفی المقام إذا غُضّ النظر عن وجوب الحج ترتفع الاستطاعة بالنذر؛ وعلی هـذا یكون الأخـذ بأحد الحكمین رافعاً لموضوع الآخر، وترجیح الحج علی وجوب الوفاء بالنذر بلامرجح، حتی بملاحظة كون وجوب الحـج أهم؛ لأنّترجیـح الأـهم إنّما یكون فی المتزاحَمین الواجـد كل منهما لملاكه، ویكون تزاحمهما فی مقام الامتثال، لافی المتواردین اللـذین یكون كـل منهمـا رافعـاً لملاـک الآـخر، بل فیهما یتعیّن الرجوع إلی منشإ آخر للترجیـح، وهو الأخـذ بالسابق دون اللاحق تنزیلًاللعلل الشرعیة منزلة العلل العقلیة. (۱) وهذا غیر تام؛ وذلک لأنّفیه:

أولًا: أنّالاستطاعة مع قطع النظر عن وجوب الحج متحققة، وهی عبارة عن استطاعة عرفیة، والقدرة الشرعیة لاتعتبر فیها بوجه.

أمّا الوفاء بالنـذر فلایكون رافعاً لموضوع الاسـتطاعة أصـلًا، إذ لمیثبت حینئـذٍ رجحانه مع قطع النظر عن أمر النـذر، بل ثبت مرجوحیته لاسـتلزامه تفویت الواجب، وعنـد ذلـک لاـیكون المقـام من قبیـل المتواردین، بـل ولاـمتزاحِمَین، فـإنّالمتزاحِمَین عبـارة عن الأـمرین الواجـدین للملاک فیقـدم الأهم، وأمّا المقام فالملاک لأحـد الأمرین دون الآخر. (۲) ثانیاً: أنّتنزیل العلل الشـرعیة منزلة العلل العقلیة فاقـد للدلیل بعد كون الحكم فی العلل العقلیة مستنداً إلی العقل، وأمّا الدعوی أنّالحكم بالجمع بین الدلیلین بالنحو المذكور إنّما هو العرف، فهی مدفوعـة بعـدم ثبوت حكم العرف بـذلک كمـا لا یخفی. (۳) الأـمر الثالث: كلّ من الحـج والنـذر، فیما نحن فیه، واجب لتمامیة موضوعه.

أمّا الحج، فلكون موضوعه علی ما هو التحقیق و المختار عبارة عن تحقق الاسـتطاعة العرفیة، وهی تتمثل فی توفر الزاد والراحلة وصحة البـدن وتخلیـة السـرب وسـعة الوقت، وهنا قـد تتحقق جمیع هـذه الشـرائط فی المفروض، ولمیُشترط فی وجوب الحـج عـدم مزاحمته لواجب آخر؛ فعلی هذا، فإنّالحج واجب بعد تحقق الشرائط، ولو كانمزاحماً لواجب آخر.

۱- الحكیم، محسن، مستمسک العروة ۱۰۲: ۱۰ بتصرف.

۲- السبحانی، جعفر، كتاب الحج، ۱۸۴: ۱.

۳- الفاضل اللنكرانی، محمد، تفصیل الشریعة، كتاب الحج ۱۷۲: ۱- ۱۷۳، بتصرف.

ص: ۶۲

وأمّا النذر، فلايشترط فی انعقاده إلّارجحانمتعلقه، والمراد به هو الرجحانبالإضافة إلی الترک، لابالنسبة إلی جمیع الأضداد المتصورة له، وهو أیضاً قد تحقق فی المقام، ولمیدل دلیل تعبّدی علی کون عدم الاستطاعة أو عدم تقدمها من شرائط انعقاده، فلامجال لإنکار انعقاد النذر؛ فالأمران واجد ان للملاک مع ما لهما من الشرائط والرجحان، وبهذا ثبت التزاحم بین وجوب الحج والوفاء بالنذر.

أمّا الترجیح فهو بتقدیم النذر علی الحج، والوجه فیه ثبوت الکفارة والعقاب معاً فی مخالفة النذر، بخلاف ترک الحج؛ لأنّفیه العقاب فقط دون الکفارة، لاسیما إذا کانالنذر زیارة المرقد الشریف لأبی عبدالله الحسین (ع) فی یوم عرفة، فإنها أهم من الحج، لما ورد فیها من أنّالله تبارک وتعالی ینظر إلی زوّار الحسین (ع) فی یوم عرفة قبل أنینظر إلی الحجاج.

أمّا الاستدلال بثوت الکفارة والعقاب معاً فی مخالفة النذر، فعلی الرغم من أهمیة النذر وتقدمه علی الحج، فهو غیر تام؛ وذلک:

أولًا: أنّعدم ثبوت الکفارة قد یکون لأجل عظمة المعصیة وشدتها، کما فی تکرار الصید فی حال الإحرام، حیث إنّه لاکفارة فیه، لکنه سبحانه وتعالی هدّد بقوله: وَ مَنْ عادَ فَیَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ وَ اللهُ عَزِیزٌ ذُو انْتِقام. (۱) ویُستفاد منها أنّه لاینبغی تخفیف الفعل بالکفارة، بل یترتب علیه ردّ فعلٍ وانتقام من الله تبارک و تعالی.

ثانیاً: أنّکثرة الثواب لاتدل علی الأهمیة، فکم من عمل مستحب یکون أکثر ثواباً من الواجب؛ فلامجال أنندّعی أنله أهمیة بالنسبة إلی الواجب، کما وردت أحادیث فی فضیلة السلام وکثرة الثواب لبادئه دون مجیبه، مع أنّالابتداء بالسلام مستحب وردّه واجب، والثواب متعاکس نسبة بینهما.

فتبیّن مما ذکرنا من الأدلة فی تقدیم النذر علی الحج، أنّه «یوجد دلیل قاطع لترجیح النذر وتقدیمه علی الحج».

القول الثانی: تقدیم الحج علی النذر

استُدل للقول بتقدیم الحج علی النذر بأمرین:

الأمر الأول: الرجحانفی متعلق النذر.

یقدم الحج علی النذر، لکون الحج تام الملاک دون النذر؛ وذلک لأنّالوفاء بالنذر لیس واجباً ابتدائیاً نظیر الصلاة والصوم، وإنّما هو واجب إمضائی، بمعنی أنّه إلزام من الله تعالی بما التزم المکلف به علی نفسه.

فإنّالناذر یُلزم نفسه بشیء، والله تعالی یلزمه بالعمل به علی نحو ما التزم به، فلابدّ من أنیکون العمل الملتزم به فی نفسه قابلًاللإضافة إلی الله تعالی، ومن هنا اعتبروا الرجحانفی متعلق النذر.

۱- المائدة: ۹۵.

ص: ۶۳

ثم لا يكفى مجرد الرجحان فى نفسه، بل لابدّ من ملاحظة ما يلازمه من ترك واجب أو إتيان محرم، حتى يصح إضافة العمل إليه تعالى؛ فزيارة الحسين (ع) مثلًا وإن كانت راجحةً فى نفسها، لكنها إذا كانت ملازمةً لترك واجب أو إتيان محرم لايمكن الإضافة إليه تعالى؛ وهذا نظير نذر قراءة القرآن من أول طلوع الفجر إلى ما بعد طلوع الشمس، أو نذر سجدة طويلة تستغرق جميع الوقت، بحيث تفوت عنه الصلاة المكتوبة، أو نذر صوم اليوم الذى يجىء مسافره فصادف يوم العيد، ولاريب فى انحلال النذر فى أمثال هذه الموارد.

ولازم ذلك، عدم كون المقام من باب التزاحم الذى يكون مورده الواجبين الفعليين، اللذين يشتمل كل منهما على ملاك ملزم، غاية الأمر عدم تمكن المكلف من الجمع بينهما فى مقام الامتثال؛ لأنّ هذا يختص بما إذا كان الواجب ابتدائياً وأصلياً كالصلاة والإزالة؛ وأمّا إذا كان الواجب واجباً إمضائياً، فلا يجرى فيه الترتّب؛ لأنّ ما التزم به المكلف إنمّا هو مطلقٌ مستلزم لترك الحج، وهذا غير قابل للإمضاء. (۱) وعلى هذا، فالنذر لايكون راجحاً، ولاينعقد هنا؛ وأمّا وجوب الحج، ففى مكانه من دون مزاحمة النذر.

وهنا موارد للنظر والنقد:

أولًا: لايخفى أنّه لو لم يكف مجرد الرجحان فى نفسه، ولابدّ من ملاحظة سائر الأُمور، فلازمه عدم انعقاد النذر فيما إذا تعلّق بما يستلزم تفويت ما هو أهم، كما إذا نذر أن يصلى فى مسجد محلته؛ لأنّه يستلزم تفويت الصلاة فى المسجد الجامع أو الحرم الشريف؛ وهذا مدفوع، لأنّ الملاك فى صحة النذر أن يكون الفعل المنذور قابلًا للإضافة إليه تعالى، والمستحب المستلزم لترك مستحب آخر أهم صالح للإضافة إليه تعالى؛ نعم، لو نذر ترك الراجح، لاينعقد النذر، كما إذا نذر ترك زيارة الحسين (ع). (۲) ثانياً: أنّ القدر المتيقن من رجحان المنذور كونه راجحاً بالذات حين النذر، والمفروض أنّه كذلك، والنهى التبعى عن المنذور (حيث إنّ الأمر بالشىء- الحج- لايقتضى النهى عن ضده) لا يوجب المرجوحية الذاتية، وإنّما هى مرجوحية عرضية، وهذه لاتجعل المحبوب مبغوضاً إلا بالعرض، و تزاحمه مع واجب آخر لايسلب عنه الرجحان الذاتى، بل يجعلهما من مصاديق المتزاحِمَين، فيكون المرجع فيه هو مرجحات باب التزاحم.

إنّما أهمية الحج بالنسبة إلى النذر- لما ورد فى موقعية الحج بما يقال لتارك الحج: مت يهودياً أو نصرانياً- معلوم، و لايليق بالشبهة، فيقدم الحج على النذر.

ثالثاً: أنّ ذكر بعض الأمثلة للنذر ليس فى محله؛ لأنّ عدم صحة النذر فيما إذا نذر قراءة القرآن من أول طلوع الفجر إلى مطلع الشمس، أو السجدة الطويلة المستغرقة لوقت الصلاة فى التعارض الواضح بين

۱- السبحانى، جعفر، كتاب الحج عن معتمد العروة للخوئى ۱۴۸: ۱ بتلخيص.

۲- الفاضل اللنكرانى، محمد، تفصيل الشريعة، كتاب الحج ۱۷۴: ۱.

ص: ۶۴

النذر والواجب الثابت وجهاً بوجه، کأنه نذر ترک الصلاة المکتوبة، وأین هذا مما نحن فیه أنّه نذر ولم‌یکن مستطیعاً ثم استطاع؟! (۱)

الأمر الثانی: فی انصراف الأدلة

إنّالحج بمقتضی قوله تعالی: وَ لِلهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا. (۲) واجب علی کل مستطیع؛ ولا یجوز إفناء وقته المقرر له شرعاً، ولاإمضاء الشارع له، ولو جعله کذلک للزم منه تجویز إمکانترک الحج رأساً لکل من یرید أن‌یفرّ من إتیانالحج طیلة عمره، بأن‌ینذر أن یقوم بعمل خاص فی یوم عرفة من مکانمعین، بحیث ینافی حضوره بعرفات، کزیارة مرقد أبی عبدالله الحسین بن علیّ (ع) مثلًا، وهذا قطعی الانتفاء.

ویمکن هنا أننذکر له نظیراً، کما ذکروا، کالأوقات المعینة شرعاً للصلاة، فلو نذر أن‌یقرأ القرآنمن أول الدلوک إلی الغروب، أو من طلوع الفجر إلی طلوع الشمس، لم‌ینعقد نذره، إمّا مطلقاً أو بمقدار الصلاة المفروضة؛ ولو کاننذره قبل تعلق الخطاب أو جعل الماء کله سبیلًاللشرب، بحیث ینافی الوضوء والغسل.

والحاصل، أنّأدلة النذر و وجوب الوفاء به منصرفة إلی الأزمنة التی لو خلّیت وطبعها لایکون مانع عقلی أو شرعی، ولو بانفهامه من إطلاقه أو عموم الدلیل، فلاتشمل المقام. (۳) وأمّا القول بتقدم العامل لتقدم سببه، فهو ممنوع؛ لأنّالله تبارک وتعالی جعل وجوب الحج علی المستطیع من أول تکلیفه، بل قبله من زمن الصادع بالشرع، وإنّما تأخرت الاستطاعة عن النذر لالوجوبه علی المستطیع، فالأصح فی هذه الصورة أنّالنذر لاینعقد بحصول الاستطاعة، لالعدم رجحانالمتعلق، کما قد یُتوهم، بل لما ذکرنا من انصراف أدلة وجوب الوفاء بالنذر. (۴) الصورة الرابعة:

لو نذر المستطیع غیر حجة الإسلام مقیداً بکونها فی سنة الاستطاعة، هل ینعقد هذا النذر أم لاینعقد؟

تحریر المسألة:

إنّللمسألة أرکاناً تلیق بإجالة النظر فیها:

منها: صدورالنذر عن المستطیع بحیث تکون الاستطاعة قد تحققت بجمیع شروطها، ثم یقوم بالنذر مع أنّه مستطیع یجب علیه الحج فوراً وفی هذه السنة.

۱- السبحانی، جعفر، کتاب الحج، ۱۸۶: ۱، بتلخیص وتصرف منا.

۲- آل عمران: ۹۷.

۳- الاشتهاردی، علی پناه، مدارک العروة ۱۵۰: ۲۴. بتصرف منا.

۴- المصدر السابق: ۱۵۱. بتصرف.

ص: ۶۵

ومنها: تعلّق النـذر بغیر حجـهٔ الإسـلام، کالحـج الندبی أو زیارهٔ أحد مراقد الأئمهٔ المعصومین (علیهم السـلام)، أو القیام بالتدریس فی الحوزهٔ العلمیهٔ، لاأن‌یتعلق بنفس حجهٔالإسـلام کما مضـی فی الصورتین الأولیین کأن‌یقول: لله علیّ أن‌أزور الحسـین (ع) یوم عرفهٔ، أو أحج حجاً ندبیاً فی هذه السنهٔ.

ومنها: تقیید النذر بسـنهٔ الاستطاعهٔ أو هذه السنهٔ، التی قد وجب الحج علیه فیها لامطلقاً ولامقیداً بالسنهٔ الثانیهٔ بعد الاستطاعهٔ، کأن‌یقول: لله علیّ أن‌أحج غیر حجهٔ الإسلام فی هذه السنهٔ.

بعد ملاحظهٔ هذه الأرکان والقیود فی الفرض نقول:

لو اختل رکن من الأرکان‌المـذکورهٔ، لخرجت المسألـهٔ عن محل النزاع و المناقشـهٔ؛ لأنّ‌النـذر مع فقـدان‌رکن من الأرکان‌یقع صـحیحاً إجماعاً، لما فیه من تحقق صحهٔ شرائط النذر، وعدم تحقق التزاحم بین النذر والحج.

الاستدلال علی عدم انعقاد النذر

۱. إنّ‌الزمان‌الـذی یجب علیه الحـج فیه مختص بإتیان‌الحـج عن نفسه، والزمان‌ظرف خاص له، ولا یکون قابلًالغیر حجـهٔ الإسـلام؛ هـذا نظیر شـهر رمضـان‌فی عـدم قـابلیته لتحقق صوم آخر؛ لأنّـه مختص بصـیام شـهر رمضـان، فلابـدّ أن‌یقع فیه صومه، أو یکون متخلیاً عن صومه عصـیاناً، أو بعذر شـرعی، کما إذا کان‌علی السفر مثلًا، (۱) فموسم الحج فی هذه السـنهٔ، أی سـنهٔ الاستطاعهٔ، لایجوز أن‌یقع فیها إلّاحجهٔ الاسلام؛ لأنّه واجب فوری، فلابدّ أن‌یتحقق فی أول أزمنهٔ الإمکان.

فالـذی ینـذر أن‌یأتی حجاً غیر حجـهٔ الإسـلام، أو أن‌یزور الإمام الحسـین (ع) یوم عرفـهٔ فی سـنهٔ الاسـتطاعهٔ، لاینعقـد نذره لاختصاص زمان‌الوفاء بالنذر بالحج الواجب من قبل.

ویلاحظ علیه:

أولًا: لایـخفی أنّه قـد قام الـدلیل فی شـهر رمضان‌علی عـدم کونه قابلًالصوم غیره، ولم‌یقم فی الحـج مثل ذلک الـدلیل، ومجرد کون الوجوب فوریاً، لایسـتلزم عـدم القابلیـهٔ و عـدم صـلاحیهٔ وقوع حـج آخر فی هذا الزمان، وإلایلزم أن‌یکون کذلک فی مسألهٔ الصـلاهٔ، وإزالهٔ النجاسهٔ من المسجد، لأنّ‌المفروض فیها کون وجوب الإزالهٔ فوریاً، فالفوریهٔ أمر وعدم القابلیهٔ أمر آخر. (۲) فلو عصی المکلف وترک الإزالهٔ وقام بالصلاهٔ فی نفس الوقت، فصلاته تقع صحیحهٔ علی الترتب.

ثانیاً: من ترک الصیام فی شـهر رمضان‌عصـیاناً أو بعذر شرعی فلیقضه فی أیام أخر، لکن موسم الحج لیس کذلک، فمن ترک حجهٔ الإسـلام فیه فی سنهٔ الاستطاعهٔ عصیاناً، فلیأته فی سنهٔ أخری أداءاً لاقضاءاً؛ لأنّ‌معنی الفوریهٔ یقتضی إتیان‌الحج فی أول أزمنهٔ الإمکان، و لایقتضـی اختصاص الزمان‌له دون غیره؛ وهکذا لو کان‌مقتضـی الفوریهٔ فی مسألهٔ الإزالهٔ والصـلاهٔ، للزم الفقهاء أن‌یفتوا بأنّ‌من ترک إزالهٔ النجاسهٔ من المسجد وقام بالصلاهٔ فصلاته باطلهٔ، مع أنّا نعلم أنّ‌الفقهاء أکثرهم أفتوا بصحهٔ الصلاهٔ،

۱- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعهٔ، کتاب الحج ۴۱: ۱، و العبارهٔ منا.

۲- المصدر السابق، بتصرف.

ص: ۶۶

فیستظهر من ذلک أنّمعنی الفوریة فی إتیانالعمل یکون فی أول أزمنة الإمکانفقط، لاتخصیص الزمانله دون غیره.

فالنتیجة أنّالتنظیر المذکور بین صوم شهر رمضانوحجة الإسلام غیر تام.

۲. حینما یعلمالناذر أنّه مستطیع إلی الحج فی هذه السنة، مع أنالحج واجب فوری لایجوز تأخیره؛ إذن، فهو لایقدر أنیقوم بعمل آخر فی هـذه السـنة، من إتیانالحـج نـدباً أو نیابـةً أو تبرّعاً عن الغیر، أو زیارة الإمام الحسـین (ع) یوم عرفـة وفاءاً بالنذر؛ فلو نذر فنذره غیر مشـروع، ونـذر فی معصـیة، ولاینعقـد نـذره؛ لفقـدانالرجحانفی متعلق النـذر، والمتفق علیه لزوم الرجحانفی متعلق النـذر حین العمل والوفاء بالنذر، وذلک:

أولًا: لایعتبر فی صحة النذر وانعقاده من ناحیة المتعلق سوی التمکن من الإتیانبه فی ظرف الوفاء والعمل، وکونه راجحاً فی نفسه وفی نظر الشارع، وفی طاعة لله تبارک وتعالی، و لایعتبر عدم استلزامه لترک واجب أو فعل حرام، (۱) بخلاف ما صرح به بعض الأعلام، و اعتبره فی الرجحـان، حیث قـال: لاـیکفی مجرد الرجحـانفی نفسه، بل لابـدّ فی الصـحة من إضافـة العمل إلیه تعالی مع ملاحظـة سائر الملزومـات والمسـتلزمات، کأنلاـیکون العمـل مسـتلزماً لـترک واجـب أو إتیـانمحرم، وإلّافلاـیکون قابلًاللإضافـة إلیـه سـبحانه. (۲) فإتیانالحج الندبی أو زیارة الإمام الحسین (ع) یوم عرفة راجح بالذات ولاشـبهة فیه، وأمّا اسـتلزامه ترک واجب أو فعل حرام لایسلب الرجحانالذاتی عنه، ولایجعله مرجوحاً تاماً، بل یوجب مرجوحیةً عرضیةً، وهذا لایخل بالنذر وانعقاده أبداً.

وأمّا نذر المسـتطیع الذی یکون غیر مشـروع، أو نذر معصـیة، فغیر تام؛ لأنّالناذر یقصد إتیانعمل راجح فی الذات ومحبوب فی نفسـه عند الشارع، ولایرید أنینذر ترک واجب (حجة الإسلام)، وإناستلزم النذر والوفاء به ترک ذلک الواجب.

أمّا إذا صـدر النـذر مستکملًاللشـروط، وکانمتعلّق النـذر راجحاً، و لایعتبر فیه عـدم اسـتلزامه ترک واجب أو فعل حرام، فلیس هناک دلیل علی عدم انعقاد النذر.

وثانیـاً: لو زالت الاسـتطاعة قبل موسم الحـج، سـقط وجوب الحـج عنه؛ لأنّبقاء الاسـتطاعة إلی المناسک کحـدوثه ضـروری، و زوال الاسـتطاعة یکشف الستر من أنّه کانغیر مسـتطیع فی الواقع والحقیقـة، وحسب نفسه مسـتطیعاً ولمیعرف الواقع، لکن النـذر بعد الزوال واجب الوفاء به ولمیسقط.

الاستدلال علی انعقاد النذر

۱. إذا درسنا الأدلة المقامة علی عدم انعقاد النذر، ووجدناها سقیمة غیر مناسبة للمقام، فنقول:

۱- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعة، کتاب الحج ۴۷۴: ۱.

۲- الخوئی، أبوالقاسم، معتمد العروة ۱۴۸: ۱.

ص: ۶۷

أولًا: لامانع لصدور النذر من المستطیع، ولاالانعقاده بأس؛ لأنّالزمانغیر مختص بالحج، بحیث لایمکن أنیقع فیه عمل آخر.

ثانیاً: أنّاعتبار الرجحانالـذاتی فی متعلق النذر أیضاً تام، و لایعتبر فیه عدم اسـتلزامه لترک واجب أو فعل حرام، کما مضـی بیانه؛ فنذر المستطیع غیر حجة الإسلام صحیح، وینعقد نذره بلاإشکال.

۲. أمّا بحسب الواقع الخارجی، فإذا نذر المستطیع، فإنّالاستطاعة إمّا تزول قبل العمل بالنذر أو لاتزول.

لامجـال للإشـکال فی الصـحة والانعقاد فی صورة الزوال؛ لأنّه مع زوال الاسـتطاعة یُعلمعـدم وجوب حجـة الإسـلام، وأنّالظرف قابل لوقوع غیرها فیه، وبالجملة فإنّشروط الصحة لانعقاد النذر کلها موجودة فی هذا الفرض، غایة الأمر عدم العلمبها، بل ربما کانمقتضی الاستصـحاب خلافهـا، إلّاأنّه مع تحقق الزوال یُعلمبتحققها وبطلانالاستصـحاب؛ فلو علمأنّه غیر مسـتطیع، فلاینبغی المناقشـة فی صـحة النذر وانعقاده، (۱) وعلی الناذر أنیقوم بالعمل وفقاً لما نذر.

وأمّا صورة بقاء الاسـتطاعة وعدم زوالها إلی وقت الوفاء بالنذر، فلاإشکال فی انعقاد النذر، وإنحصل التزاحم بین النذر والحج، فنقول فی بیانهذه الصورة:

إنّالحج واجب مستقل، ولایعتبر فیه عدم استلزامه لترک واجب أو فعل حرام زائداً علی الاستطاعة المفسرة فی النصوص، والمتمثلة فی الاسـتطاعات الأربع (توفر المال للزاد والراحلة، تخلیة السـرب، صـحة البدن) کما أنّمتعلق النذر کالحج الندبی أو زیارة الإمام الحسین (ع) یـوم عرفـة راجـح بالـذات، ومقـدور للنـاذر ولـو فی ظرف وجـوب حجـة الإســلام و لا-یعتبر فیـه- زائـداً علی التمکـن مـن إتیـانه ورجحانالمتعلق- عدم استلزامه لترک واجب أو فعل حرام؛ غایة الأمر، أنّدلیل وجوب الوفاء بالنذر یکون مزاحماً لدلیل وجوب حجة الإسـلام، فالوفـاء بالنـذر واجب مهم، و إتیان حجةالإسـلام بالنسـبة إلی النـذر واجب أهم؛ لأننا نعلم أنّ للحـج موقعاً ممتازاً لایقاس به النذر.

ولما کانالمکلف لایقدر علی امتثالهما فی زمانواحد، مع أنّکل واحد منهما تام الملاک، ومقتضـی الامتثال تقدیم الأهم علی المهم علی الترتب المعروف، وهو یقتضی أنیقوم المکلف بإتیانالحج أولًافی سنة الاستطاعة، ثم إتیانالمنذور فی السنة الثانیة قضاءاً.

وعلیه، لایقـال: لو کـانرفع التزاحم وتقـدیم الحـج علی النـذر من بـاب الترتب، فیرد علیه إشـکال مهم، وهو أنّفی التزاحم أمرین: أمر بالمهم و هو مثل أقم الصـلاة؛ وأمر بالأهم، وهو مثل أزل النجاسة عن المسجد؛ فإذا لمیقدر المکلف علی امتثالهما فی زمانواحد، مع علمه بأنّالإزالـة أهمّ من الصـلاة ولکـل منهما ملاک العمل والإمتثال، لکنّ الفوریـة مع الإزالـة لأهمیتها؛ فلابـدّ من التصـرف فی دلیل المهم، کما لو قیل: أیّها المکلف إنعصیت الإزالة أو بنیت علی ترک الإزالة، فأقم الصلاة.

وأمّا فیما نحن فیه، فلابدّ من ملاحظة صیغة النذر ومفاده، ومراد الناذر، فلو وجدنا أنّالنذر وصیغته لایری فیها التعلیق ولاالتقیید، فکیف یمکن أننلاحظ أمر المهم فی طول الأمر بالأهم؟!

لأنا نقول:

۱- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعة، کتاب الحج ۴۷۳: ۲- ۴۷۴ بتصرف.

ص: ۶۸

أولًا: أنّاللازم فى باب التزاحم ملاحظة نفس التكليفين من جهة إمكانامتثالهما فى زمانواحد، وعدم قدرة المكلف على الجمع بينهما، ولامجال لملاحظة المنشإ والموجب لثبوت التكليف.

ثانياً: أنّالتصرف فى دليل الأمر بالمهم نابع من حكم العقل فى رفع التزاحم، فلو لم يكن فى صيغة النذر تعليق ولاتقييد؛ وكذلك هو الواقع فى دليل الأمر بالمهم فى أوامر الشارع؛ وأمّا حكم العقل فى الامتثال للأمرين (الإزالة وإقامة الصلاة)، فلعلاج التزاحم ورفعه.

*** ۵- تزاحم الحج و النكاح

تحرير المسألة:

إذا تزاحم الحج مع النكاح، وذلك إذا كانعند الإنسانأموالٌ تكفى إمّا لمصارف الحج فقط وإمّا لمصارف التزويج، بحيث لوحج لم يبق لمصارف النكاح مايكفيه، ولو تزوج بها لميبق لمصارف الحج ما يكفيه، فأيّهما مقدم عند التزاحم؟

تصوروا للمسألة- بملاحظة القيود والحالات- أربعة فروض، هى:

الأول: لوحج وترك النكاح لايكون ترك النكاح موجباً للمشقة، و لاحدوث مرض، و لا الوقوع فى الزنا، لكنه يوجس من نفسه حاجة إلى النكاح.

الثانى: لو ترك النكاح لأوقع نفسه فى مشقة تبلغ حد الحرج.

الثالث: أنّترك النكاح يوجب حدوث مرض.

الرابع: لو علمأنّه لو ترك النكاح لوقع فى المحرمات من النظر إلى ما يحرم، أو ارتكاب عمل قبيح وفاحشة مبينة اختياراً.

كلمات الفقهاء فى النكاح:

قال الشيخ الطوسى: إذا وجد الزاد والراحلة، ولزمه فرض الحج، ولازوجة له، بدأ بالحج دون النكاح، سواء خشى العنت أو لميخش.

وقال الأوزاعى: إنخشى العنت فالنكاح أولى، وإنلميخف العنت فالحج أولى.

و قال أصحاب الشافعى: ليس لنا فيها نص، غير أنّالذى قاله الأوزاعى قريب. (۱) قال المحقق الحلى: ولو كانمعه قدر ما يحج به، فنازعته نفسه إلى النكاح، لميجز صرفه فى النكاح، وإنشق تركه. (۲) قال صاحب المدارك: ولو حصل له من ترك النكاح ضرر شديد لايتحمل مثله فى العادة، أو خشى منه حدوث مرض، أو الوقوع فى الزنا، قدّم النكاح كما صرح به العلامة فى المنتهى. (۳)

۱- الشيخ الطوسى، الخلاف ۲۴۸: ۲.

۲- المحقق الحلى، شرائع الإسلام ۱۶۵: ۱.

۳- العاملى، محمد، مدارك الأحكام ۴۴: ۷.

ص: ۶۹

قال البحرانی: لو کان‌ذا مال تحصل به الاستطاعة، فنازعته نفسه إلی النکاح، لم‌یجز صرفه فی النکاح، وإن‌شق علیه وحصل له العنت، بل الواجب صرفه فی الحج. (۱) قال صاحب الجواهر: فی محکی التحریر أما لو حصلت المشقة العظیمة، فالوجه عندی تقدم النکاح، ونحوه فی الدروس ومحکی المنتهی، بل فی المدارک عنه تقدیمه فی المشقة العظیمة، التی لاتتحمل مثلها فی العادة، وفی الخوف من حدوث مرض أو الوقوع فی الزنا، وهو جیّد. (۲) قال السید الیزدی فی العروة الوثقی: إذا کان‌عنده مقدار ما یکفیه للحج، ونازعته نفسه إلی النکاح، صرح جماعة بوجوب الحج وتقدیمه علی التزویج، بل قال بعضهم: وإن‌شق علیه ترک التزویج، والأقوی- وفاقاً لجماعة أخری- عدم وجوبه، مع کون ترک التزویج حرجاً علیه، أو موجباً لحدوث مرض، أو للوقوع فی الزنا و نحوه. (۳) قال الإمام الخمینی فی تحریر الوسیلة: لو کان‌عنده ما یکفیه للحج، ونازعته نفسه للنکاح، جاز صرفه فیه بشرط کونه ضروریاً بالنسبة إلیه، إمّا لکون ترکه مشقة علیه، أو موجباً لضرر، أو موجباً لخوف فی وقوع الحرام، أو ترکه نقصاً ومهانةً علیه. (۴) قال الشیخ السبحانی: والظاهر هو تقدیم النکاح عند الحاجة إلیه؛ لماعرفت من أنّ‌الملاک فی الاستطاعة عدم الحاجة إلی ما یحتاج إلیه فی الحضر، فیقدم النکاح مطلقاً. (۵) فتلخص من کلمات الفقهاء، أنّ‌الأقوال فی تزاحم الحج مع النکاح ثلاثة:

الأول: تقدیم الحج علی النکاح مطلقاً.

الثانی: تقدیم النکاح علی الحج مطلقاً.

الثالث: تفصیل بین تقدیم النکاح علی الحج إذا کان‌النکاح بالنسبة إلیه ضروریاً، إمّا لکون ترکه مشقة وحرجاً علیه، أو موجباً لضرر وحدوث مرض، أو موجباً للخوف فی وقوع الحرام، أو کان‌ترکه نقصاً ومهانةً علیه.

وأمّا إذا لم‌یکن النکاح بالنسبة إلیه ضروریاً، فالحج مقدم علی النکاح.

القول الأول: تقدیم الحج علی النکاح مطلقاً

استُدل لتقدیم الحج علی النکاح مطلقاً بأمرین:

۱- البحرانی، یوسف، الحدائق الناضرة ۱۰۷: ۱۴.

۲- النجفی، جواهر الکلام ۲۶۱: ۱۷.

۳- السید الیزدی، محمدکاظم، العروة الوثقی، کتاب الحج، المسألة ۱۴ من شرائط وجوب الحج.

۴- الإمام الخمینی، روح الله، تحریر الوسیلة، کتاب الحج، المسألة ۱۷ من شرائط وجوب الحج.

۵- السبحانی، جعفر، کتاب الحج ۱۲۲: ۱.

ص: ۷۰

الأول: الحج فرض علی‌الفور، والنکاح سنة ومستحب، والنکاح المستحب لایعارض الحج الواجب، فالحج مقدم علی النکاح عند التزاحم.

الثانی: علی بن إبراهیم، عن أبیه، عن صفوان بن یحیی، عن إسحاق بن عمار، عن أبی إبراهیم (ع) قال: «قلت له: رجل کان‌علیه حجة الإسلام فأراد أن‌یحج، فقیل له: تزوج ثم حج، فقال: إن‌تزوجت قبل أن‌أحج فغلامی حرّ، فتزوج قبل أن‌یحج فقال: أعتق غلامه ... والحج أحق من التزویج وأوجب علیه من التزویج ..». (۱) الثالث: اطلاق الآیة الشریفة: (وَ للهِ عَلَی النَّاسِ حِجُّ الْبَیْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَیْهِ سَبِیلًا).

تشمل واجد الزاد والراحلة مع الرغبة إلی النکاح، فعلیه اتیان‌الحج؛ و أما المنازعة إلی النکاح لایخرجه عن الاستطاعة الشرعیة.

لایخفی ما فی هذه الروایة من اختلاف المبنی، بحیث لو قلنا بالاستطاعة الشرعیة، فهذا الاستدلال تام والحج مقدم علی النکاح، وأمّا لو قلنا بالاستطاعة العرفیة، لانعکست النتیجة بما تقتضیه الاستطاعة العرفیة، کما سیأتی فی الاستدلال علی القول المختار.

لایقال: قد یکون فی ترک النکاح مشقة عظیمة أو مظنة للوقوع فی الحرام.

وقاعدة لاحرج تخصِّص تقدیم الحج بما إذا لو یوجب المشقة، فإذا حصلت المشقة العظیمة أو الشدیدة، تقدم النکاح علی الحج، وهذا مقتضی حکومة قاعدة العسر والحرج للأُصول کلها؛ لأنّه یمکن أن‌یقال:

إنّ‌المشقة العظیمة غیر مانعة من وجوب الحج؛ لأنّ‌الحج أیضاً فیه مشقة عظیمة، فلا یمکن أن‌تعارضها مشقة عظیمة أخری، وعلی فرض المعارضة یقدم وجوب الحج؛ لأهمیته فی الإسلام، وکذا فیما إذا خاف الوقوع فی الحرام. (۲) فتحصّل:

أولًا: أنّ‌موقعیة الحج أعلی فی الإسلام، ولیس النکاح أن‌یعارض الحج.

ثانیاً: أنّ‌قاعدة العسر والحرج لاتقدر أن‌تخصِّص فیما عرض علی ترک النکاح مشقة عظیمة؛ لأنّ‌فی إتیان‌الحج أیضاً مشقة عظیمة، فالحج مقدّم علی النکاح فی کل الحالات والموارد مطلقاً.

تذییل:

بناءاً علی هذا القول: مَن أقدم علی النکاح، مع ما فیه مصارف کثیرة، تبلغ الآلاف، ولم‌یقم بالحج قبل النکاح، فقد استقر علیه الحج، فلابدّ أن‌یحج ولو متسکعاً، والیوم هذا حال أکثر الناس إن‌لم‌یکن کلهم.

القول الثانی: تقدیم النکاح علی الحج مطلقاً

إنّ‌الآیة الشریفة:

۱- الکافی ۴۵۵: ۷.

۲- تقریرات الحج، تقریر بحث السید الگلبایگانی ۲۷: ۱.

ص: ۷۱

وَ للهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، تصرح بأنّالحج واجب مشروط بالاستطاعة، والاستطاعة يراد منها على ما هو محقق فی محله أنّها استطاعة عرفیة، وهی تتحقق للإنسانإذا قام برفع حاجاته الاقتصادیة والنفسیة فی الحضر، والذی یوجس فی نفسه حاجة إلی الزواج مع توفر المال بقدر مصارف النکاح أو الحج فقط، فهو لایعتبر عند العرف مستطیعاً؛ لأنّه کالذی یرید السفر و لایستطیع تهیئة ما یحتاج إلیه اقتصادیاً أو نفسیاً فی الحضر، فهذا لایستطیع السفر بحال من الأحوال؛ وکذا الحال فی مورد بحثنا، فهو مادام لمیتوفر عنده إضافةً إلی مصارف النکاح ما یکفیه للحج، فلیس بمستطیع عرفاً؛ إذن، فالنکاح مقدم علی الحج فی التزاحم مطلقاً.

بعبارة أخری: أنّالقول بالاستطاعة الشرعیة، وترجیح الحج علی النکاح؛ لصدق الاستطاعة علی من عنده القدرة المالیة إما للحج أو للنکاح فقط، ثم إخراج موارد حصول المشقة أو مظنة الوقوع فی الحرام، ترجع إلی التخصیص وحکومة قاعدة العسر والحرج، لکنّ القول بالاستطاعة العرفیة، وترجیح النکاح علی الحج فی عامة الموارد، ترجع إلی التخصص؛ لأنّالنکاح یعتبر من الحاجات الطبیعیة للإنسان، وهو من الحاجات الأولیة ومقدم علی الحج المشروط بالاستطاعة العرفیة.

بناءاً علی هذا، إذا تزاحم الحج مع النکاح تقدم النکاح علی الحج فی عامة الموارد؛ لأنّالحاجة لها مراتب قد یکون ترکها موجباً للمرض والحرج والمشقة، وقد یکون فی ترکها مظنة الوقوع فی الحرام، وقد یکون عنده حاجة نفسیة إلی النکاح من دون هذه الفروض، فالنکاح مقدم علی الحج مطلقاً، و فی کل الفروض الأربعة المذکورة فی تقریر المسألة.

وبعض الفقهاء اعتبر الملاک فی استثناء ضروریات المعاش؛ الحاجة، وجعل منها فرسه أو سیارة رکوبه، وسائر ما یحتاج إلیه بحسب حاله وزیّه وشرفه، ولمیعتبر الحاجة الفعلیة النفسیة والجنسیة حاجة، حیث قال: لایجوز صرف المال فی النکاح دون الحج، إلّاإذا کانالتزویج بالنسبة إلیه ضروریاً، إمّا لکون ترکه مشقة علیه أو موجباً لضرر و .... (۱) وقد استشکل بعض الأعلام علی تقدیم النکاح علی الحج قائلًا: إنّمجرد العلمبالوقوع فی الحرام اختیاراً لایکون مجوزاً لترک الحج؛ لعدم استناده إلی الحج، بل إنّما یرتکبه بسوء الاختیار، واللازم علیه ترکه، و لاینافی ذلک کونه مکلفاً بإتیانالحج.

وبعبارة أخری: یلزم علی المکلف أمران: ترک الزنا و إتیان الحج، ومجرد العلم بإتیان الزنا اختیاراً لایوجب سقوط الحج، بل یجب علیه الحج کما یحرم علیه الزنا، ونظیر المقام ما لو علمالحاج أنّه لو صرف ماله فی طریق الحج لسرق من أموال المسلمین لیتدارک ما صرفه من أمواله، و لایتوهم أحد سقوط الحج فی مثل ذلک... (۲) وفی هذا نظر:

۱- الإمام الخمینی، روح الله، تحریر الوسیلة ۱: کتاب الحج، مسألة ۱۵.

۲- الخوئی، أبوالقاسم، معتمد العروة ۱۰۸: ۱.

ص: ۷۲

أولًا: أنّالنكاح شُرِّع لأجل صيانة النفس من الوقوع في الحرام، حيث قال سبحانه: وَمِنْ آياتِهِ أنخَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْها. (۱) أي أنّالنكاح يوجب حصول السكينة للنفس، وهذا يدل على صيانة النفس بالإيماء والإشارة.

وقال سبحانه أيضاً:

وَأَنْكِحُوا الأَيامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ إنيَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ* وَ لْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لايَجِدُونَ نِكاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ. (۲) هذه الآية تصرّح بأنّالنكاح يوجب صيانة النفس عن الوقوع في الحرام، وهذا ما يسمى العفة، وهي تترتب على النكاح عادةً، وأمّا الذين لايجدون نكاحاً فليستعففوا وهو أمر على الأيامى في حالة العزوبة، وعليه يختلف الجزاء إذا ارتكب الإنسانأمراً خلاف العفة بما يقتضي حاله، بحيث لو كانمتزوجاً فإنّالعقوبة تكون شديدة، كما روى أبو بصير عن أبي عبدالله (ع)، قال: «الرجم حدّ الله الأكبر، والجلد حدّ الله الأصغر، فإذا زنى الرجل المحصن رُجم، ولم يجلد». (۳) وأمّا إذا لميكن متزوجاً كانت العقوبة أخفّ بما يناسب عزوبته؛ لقوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ. (۴) ولرواية سماعة عن أبي عبدالله (ع)، قال: «الحر والحرة إذا زنيا جلد كل واحد منهما مأة جلدة، فأمّا المحصن والمحصنة فعليهما الرجم». (۵) إذن، فهنا حاجتان: إحداهما شرعية: وهي صرف المال في الحج.

والأُخرى نفسية وطبيعية: وهي صرف المال في النكاح، وهو متعين؛ لأنه يجب الحج بعد رفع حاجاته الأولية في الحضر.

ثانياً: أنّالتنظير ليس في محله؛ لأنّالسرقة ليست من لوازم صرف المال في الحج، كما أنّترك النكاح لمن ليس عنده إلّاما يكفي أحدهما من الحج والنكاح، من لوازم الحج، بل السرقة حالة طارئة شخصية، فلامعنى لترك الحج خوفاً من الوقوع في السرقة. (۶)

القول الثالث: هو القول بالتفصيل

استُدل على القول بالتفصيل (تقديم الحج على النكاح في بعض الموارد) بالأدلة المذكورة في القول الأول، أي تقديم الحج على النكاح بقول مطلق، إلاأنّهم ناقشوا في تطبيق بعض الموارد؛ لشمول قاعدة

۱- الروم: ۲۱.

۲- النور: ۳۲- ۳۳.

۳- الوسائل ۱۸: الباب الأول من أبواب حد الزنا، ح ۱.

۴- النور: ۲.

۵- الوسائل ۱۸: الباب الأول من أبواب حد الزنا، ح ۳.

۶- السبحاني، جعفر، کتاب الحج ۱۲۳: ۱، بتصرف وإيضاح.

ص: ٧٣

العسر والحرج والضرر أو عدم شمولها؛ لايخفى أنّالبحث فى القاعدة متفرع على أنتخذ فى مفاد الاستطاعة المبنى المشهور، وهو الاستطاعة الشرعية المتمثلة فى الزاد والراحلة؛ وأمّا لو قلنا بأنّالمراد من الاستطاعة هى الاستطاعة العرفية، فلاتصل النوبة إلى جرى القاعدة.

وبناءاً على الاستطاعة الشرعية نقول:

إنّقاعدة العسر والحرج والضرر؛ كل قاعدة منها تخرج مورداً من الموارد المذكورة إذا كانترك النكاح موجباً لحصول المشقة، أو حدوث مرض، أو مظنة الوقوع فى الحرام؛ فالحج مقدم على النكاح فى التزاحم إلّافيما تحكم القاعدة عليه بعد صدق الاستطاعة، بحيث إنّواجد الزاد والراحلة مع الحاجة إلى النكاح مستطيع يجب عليه الحج، لكن إذا كانإتيانالحج وترك النكاح سبباً للمشقة العظيمة تقدَّم النكاح، وقاعدة العسر والحرج تكون حاكمة هنا، وهكذا قاعدة لاضرر فيما إذا أوجب ترك النكاح حدوث مرض.

وأمّا ما قيل: من أنّجرى القاعدة على المقام غير صحيح؛ لأنّالقاعدة تنفى كل حكم حرجى إذا كانالمتعلق (وهو فى المقام الحج) حرجياً، وحيث إنّالحج لايكون حرجياً، بل هو مستلزم لأمر حرجى، فلامورد للقاعدة، بل إطلاقات أدلة وجوب الحج قابلة للتمسك والاستدلال، غير تامة؛ وذلك لأنّالبحث فى جرى القاعدة هاهنا يرجع إلى المبنى فى مفاد القاعدة، وعلى ما هو التحقيق، فإنّالقاعدة تنفى كل موضوع حرجى فى المأمور به، وكل حكم استلزم الحرج، وهو هنا تقديم الحج على النكاح مع ما فى تركه من مشقة عظيمة، وهو استلزام الحرج؛ فالقاعدة تنفى حكم وجوب الحج الذى يستلزم المشقة، فجرى القاعدة فى مورده. (١) وما قيل أيضاً: إنّالمشقة العظيمة غير مانعة من وجوب الحج؛ لأنّالحج أيضاً فيه مشقة عظيمة، فلايمكن أنيعارضها مشقة عظيمة أخرى، هو قول غير تام؛ لأنّالمشقة الموجودة فى الحج ناشئة من نفس العمل وكيفية أدائه وإتيانه.

وبعبارة أخرى: أنّبعض الأعمال والواجبات متقوم على المشقة أو الضرر كالحج والخمس والزكاة وقاعدة العسر والحرج والضرر لاتنفى هذه الطبيعة، وإلّافلايكون الحج واجباً لما فيه من مشقة عظيمة، وكذا الخمس والزكاة لما فيهما من الضرر بالمالك، بل القاعدة تنفى المشقة التى لاتحتمل عادةً، ولايتقوم ذات العمل بها، أو تنفى ما يلازم الواجب من مشقة وضرر خارج عن نفس العمل؛ فالمشقة التى تتحقق فى الحج لاتأتى من قبل الحكم، ولامما يلازم الحكم، فهى لاتعارض مشقة أخرى تأتى من قبل الحكم و هى التى تنفيها القاعدة.

منشأ اختلاف الأقوال فى المسألة:

ليس فى مسألة التزاحم بين الحج والنكاح نصّ و لارواية، فلابدّ أنيُستنبط الحكم من الأدلة العامة فى الحج أو النكاح.

١- الروحانى، محمد صادق، فقه الصادق ٤٩: ٩، بتصرف منا.

ص: ٧۴

إنّالفقهاء القدماء نظروا إلى النكاح من جانب الحكم بأنه سنة ومستحب، فافتوا بتقديم الحج عليه، ولعلهم استفادوا هذا الاستنباط مما رُوى عن الإمام الصادق (ع) فى ردّ فتوىً لأبى حنيفة والرواية هى:

روى الشيخ فى التهذيب عن معاوية بن عمار قال: إنامرأةً هلكت، فأوصت بثلثها يُتصدق به عنها، ويُحج عنها، ويُعتق عنها، فلميسع المال ذلك؛ فسألت أباحنيفة وسفيانالثورى، فقال كل واحد منهما: أنظر إلى رجل قد حج فُقطع به فيقوى، ورجل قد سعى فى فكاك رقبته فيبقى عليه شىء فيُعتق، ويُتصدق بالبقية؛ فأعجبنى هذا القول، وقلت للقوم- يعنى أهل المرأة-: إنّى قد سألت لكم، فتريدون أنأسأل لكم من هو أوثق من هؤلاء؟

قالوا: نعم، فسألت أبا عبدالله (ع) عن ذلك.

فقال: «إبدأ بالحج، فإنّالحج فريضة، فما بقى فضعه فى النوافل».

قال: فأتيت أباحنيفة فقلت: إنّى قد سألت فلاناً فقال لى كذا وكذا، قال: هذا والله الحق، وأخذ به وألقى هذه المسألة على أصحابه، وقعدت لحاجة لى بعد انصرافه، فسمعتهم يتطارحونها، فقال بعضهم بقول أبى حنيفة الأول فخطّأه من كانسمع هذا، وقال: سمعت هذا من أبى حنيفة منذ عشرين سنة. (١) ثم حذا حذوهم من جاء بعدهم من الفقهاء غالباً، إلّاأنّهناك ملاكاً آخر وهو أصيل فى الحج، وهو معرفة حاجات الإنسانبماهى حاجة، والتى لها مراتب لايصل كلها إلى حدّ الضرورة كى يكون رفعها واجباً، بل كثير منها دون الضرورة، لكنها مورد حاجة، والعرف يرى تمكن الإنسانمن الحج بعد ما يرفع حاجاته اليومية، وهذا هو مفاد الاستطاعة العرفية.

*** ۶- الحج و حق الزوج

لو كانت الزوجة مستطيعة وأرادت أنتحج، فلابدّ من السفر والخروج من البيت، لكنّ الزوج إمّا يأذن لها وإمّا لايأذن؛ وفى الصورة الثانية مضافاً إلى عدم الإذن قد يمنعها من الحج، فهل يُشترط إذن الزوج فى حجة الإسلام والحج النذرى؟

كلمات الفقهاء:

قال الشيخ الطوسى فى الخلاف: ليس للرجل أنيمنع زوجته الحرة من حجة الإسلام إذا وجبت عليها. (٢)

١- الشيخ الطوسى، تهذيب الأحكام ۴٠٧: ۵، ح ١۴١٧ ۶٣؛ وجاء فى كتب مثل: من لايحضره الفقيه ۴۴٢: ٢، ح ٢٩٢٠ و ٢١١: ۴، ح ۵۴٩١؛ والكافى للكلينى ۶٣: ٧، ح ٢٢ باختلاف يسير فى النقل والرواية.

٢- الشيخ الطوسى، الخلاف، ۴٣١: ٢، كتاب الحج، المسألة ٣٢۵.

ص: ۷۵

قال المحقق: لایصح حجها تطوعاً إلّاباإذن زوجها؛ نعم، لها ذلک فی الواجب. (۱) قال العلامة فی التذ کرة: لایجوز للرجل منع زوجته الموسرة من حجة الإسلام إذا حصلت الشرائط عند علمائنا. (۲) قال السید الطباطبائی الیزدی: لایُشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج إذا کانت مستطیعة، ولایجوز له منعها منه.

قال المحقق النراقی: المسألة الثانیة عشرة: لایُشترط إذن الزوج للزوجة فی الحج الواجب بلاخلاف یوجد؛ للأصل والعمومات المستفیضة. (۳) البحث فی المسألة یشتمل علی فرعین:

الفرع الأول:

هل یشترط إذن الزوج للزوجة فی حجة الإسلام إذا کانت مستطیعة أم لا؟

أدلة وجوب الاستئذان:

إنّخروج الزوجة من البیت لابدّ أنیکون باستئذانمن الزوج مطلقاً، وذلک یدل علیه الکتاب فی قوله تعالی: وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لاتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّةِ الْأُولی. (۴) وأمّا من السنة فروایات عدّة، منها: صحیحة محمد بن مسلم، عن أبی جعفر (ع)، قال: «جاءت امرأة إلی النبی (ص) فقالت: یا رسول الله! ما حق الزوج علی المرأة؟

فقال لها: أنتطیعه و لاتعصیه، و لاتصدق من بیته إلّاباإذنه، و لاتصوم تطوعاً إلّاإذنه، و لاتمنعه نفسها وإنکانت علی ظهر قتب، و لاتخرج من بیتها إلّاإذنه، و إنخرجت بغیر إذنه لعنتها ملائکة السماء، وملائکة الأرض، وملائکة الغضب، وملائکة الرحمة حتی ترجع إلی بیتها». (۵) ومنها: روایة السکونی، عن أبی عبدالله (ع)، قال: «قال رسول الله (ص): أیّما امرأة خرجت من بیتها بغیر إذن زوجها، فلانفقة لها حتی ترجع». (۶) ومنها: صحیحة علی بن جعفر فی کتابه عن أخیه، قال: «سألته عن المرأة ألها أنتخرج بغیر إذن زوجها؟ قال: لا». (۷)

۱- النجفی، جواهر الکلام ۳۳۲: ۱۷، فی المتن.

۲- العلامة الحلی، تذکرة الفقهاء ۸۶: ۷، المسألة ۵۹.

۳- النراقی، أحمد، مستند الشیعة ۹۱: ۱۱.

۴- الأحزاب: ۳۳.

۵- الوسائل ۱۱۱: ۱۴، الباب ۷۹ من أبواب آداب النکاح، ح ۱.

۶- الوسائل ۲۲۹: ۱۵، الباب ۶ من أبواب النفقات، ح ۱.

۷- الوسائل ۱۱۲: ۱۴، الباب ۷۹ من أبواب آداب النکاح، ح ۵.

ص: ۷۶

فتحصّل من النصوص المذکورة أنّخروج الزوجة من البیت من دون إذن محرّم علیها، وموجب لسقوط النفقة لها، فالاستئذان للخروج واجب علی الزوجة، بل من وظیفتها.

إنّ الأدلة فی الدلالة علی اشتراط الاستئذان للزوجة إذا أرادت أن تخرج من البیت مطلقة، ویمکن تقییدها بقسمین: قسم عام، وقسم خاص وارد فی الحج.

القسم الأول:

یمکن الاستدلال لتقیید الإطلاقات المذکورة بحدیث معروف عن رسول‌الله (ص) حیث قال: «لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق». (۱)

رُوی هذا الحدیث فی العدید من مصادر أهل السنة والشیعة، ویلاحظ أنّمنطوقه آبٍ عن التخصیص؛ لأنّالنکرة فی سیاق النفی (لاطاعة) تفید العموم، هذامن جانب؛ ومن جانب آخر فالحدیث حاکم علیالأدلة التی تثبت الطاعة للبعض، بمعنی أنّطاعة المخلوق لو لم تنته إلی عمل فیه معصیة للخالق، فهو عمل صحیح، وأمضاه الشارع لما فیه من مصلحة المجتمع؛ أمّا إذا استلزمت طاعة المخلوق معصیة الخالق أو ترک طاعة الخالق، فلایجوز إطاعته وفق مفاد هذا الحدیث؛ ویمکن الاستدلال بهذا الحدیث علی عدم اشتراط الاستئذانفی حجة الإسلام بما یلی:

أولًا: أنّحجةالإسلام واجبة لمن استطاع إلیها سبیلًا، ویعتبر إتیان الحج طاعة لله تعالی.

ثانیاً: أنّخروج الزوجة من البیت بغیر إذن زوجها حرام، وعدم خروج الزوجة من البیت طاعة للزوج، لکنها توجب ترک حجة الإسلام (طاعة الخالق)، وهی معصیة للخالق، فلاطاعة للزوج فی ترک حجة الإسلام.

فتحصّل أنّه لو لمیأذن الزوج لزوجته المستطیعة فی السفر إلی الحج، أو نهاها عن السفر؛ لاستلزم نهیه ترک الحج الواجب، وهو معصیة، فلااعتبار هنا لطاعة الزوج، ولااستئذانه؛ وعلیه، فلایشترط إذن الزوج فی حجةالإسلام.

لایقال: إنّالاستدلال به فی حجة الإسلام إنّما یتم فیما لو استقر الحج فی ذمتها، وأمّا إذا لمیستقر، فسیکون نهی الزوج مانعاً عن تحقق الاستطاعة، فلاموضوع لمعصیة الخالق؛ وأمّا فی غیر حجة الإسلام من الحج النذری وغیره ممّا استقر فی ذمتها، فلامانع من هذاالاستدلال به فیه. (۲) لأنّا نقول:

أولًا: عدم الشمول لحجة الإسلام مبنی علی اعتبار أمر زائد علی الاستطاعة العرفیة، التی تتمثل فی الاستطاعات المعروفة الأربع، وهو عدم استلزام فعل حرام أو ترک واجب، ونحن قد صرّحنا مراراً أنّالاستطاعة المعتبرة فی الحج لیست إلّاالاستطاعات المفسرة فی الروایات، ولمیؤخذ فیها عدم استلزام فعل حرام أو ترک واجب کقید لتحقق الاستطاعة.

۱- الوسائل ۸: الباب ۵۹، من أبواب وجوب الحج وشرائطه، ح ۷ وأیضاً ۱۳۴: ۱۱ و ۴۲۳؛ عوالی اللآلی ۴۴۴: ۱؛ الفصول المهمة فی أصول الأئمة ۲۲۸: ۲

۲- الحکیم، محسن، مستمسک العروة ۲۲۷: ۱۰.

ص: ۷۷

ثانياً: أنّما جاء فی الروايات الخاصة الواردة فی عدم اشتراط الاستئذان‌شامل للحج المستقر و غير المستقر أيضاً كقوله (ع): «لاطاعة له عليها فی حجة الإسلام».

فعبارة "حجة الإسلام "عامة شاملة لهما، ولااختصاص له بالحج المستقر، مضافاً إلى إطلاق السؤال وترك التفصيل فی الجواب، فلامجال للمناقشة فيها كما سيأتی متن الروايات قريباً.

القسم الثانی:

هناك روايات تبيّن أنّ‌طاعة الزوجة للزوج وإن‌كان‌مسلّماً ومفروغاً عنه، لاسيما فيما يوجب الخروج من البيت، لكنه لواستلزم ترك واجب كحجة الإسلام فلايجوز طاعته.

هذا بيان‌مصداق لما مضى فی القسم الأول من تحقق المعصية فی طاعة المخلوق، وهو إطاعة الزوجة لزوجها فی ترك حجة الإسلام التی هی واجبة عليها، وإطاعة الزوج هنا تستلزم المعصية، وهی ترك حجة الإسلام التی قيل لتاركها: «مت يهودياً أو نصرانياً».

ومن تلك الروايات:

۱. صحيحة محمد بن مسلم، عن أبی جعفر (ع) قال: سألته عن امرأة لم‌تحج ولها زوج، وأبى أن‌يأذن لها فی الحج، فغاب زوجها، فهل لها أن‌تحج؟

قال: «لاطاعة له عليها فی حجة الإسلام». (۱) ۲. صحيحة معاوية بن وهب، قال: قلت لأبی عبد الله (ع): امرأة لها زوج، فأبى أن‌يأذن لها فی الحج ولم‌تحج حجة الإسلام، فغاب عنها زوجها وقد نهاها أن‌تحج. فقال: «لاطاعة له عليها فی حجة الإسلام ولاكرامة، لتحج إن‌شاءت». (۲) ۳. صحيحة زرارة عن أبی جعفر (ع)، قال: سألته عن امرأة لها زوج، وهی صرورة، و لايأذن لها فی الحج.

قال: «تحج إن‌لم‌يأذن لها». (۳) ۴. سئل الإمام الصادق (ع) عن المرأة تجب عليها حجة الإسلام يمنعها زوجها من ذلك، أعليها الامتناع؟

فقال (ع): «ليس للزوج منعها من حجة الإسلام، وإن‌خالفته وخرجت لم‌يكن عليها حرج». (۴) وعلى حسب مفاد هذه الروايات المستفيضة فإنّ‌إتيان‌حجة الإسلام من قبل الزوجة، والذی يستدعی خروجها من البيت لاتحتاج فيه إلى استئذان، بل لو نهاها عن الخروج والسفر عن إتيان‌الحج، فلاتعتنی بنهيه ومنعه، وتحج من دون إذنه.

الفرع الثانی:

۱- الوسائل ۸: أبواب وجوب الحج، الباب ۵۹ ح ۱.

۲- المصدر السابق ح ۳.

۳- المصدر السابق ح ۴.

۴- المصدر السابق ح ۶.

ص: ۷۸

هل يشترط إذن الزوج للزوجة فى الحج النذرى؟

لو كانالحج واجباً بالنذر على الزوجة فى سنة معينة، وجامعاً لشرائط الصحة فى الانعقاد، إمّا أنها كانت مأذونة فى النذر، أو كانالنذر متقدماً على عقد الزواج، هل يشترط فيه إذن الزوج أم لا؟

قد ألحق بعض الفقهاء، (۱) الحج النذرى بحجة الإسلام، مستدلّاًبأمور:

۱. إلغاء الخصوصية من تلك الروايات، فكما أنّالنصوص الواردة فى حجة الإسلام تقول: لاطاعة له عليها فى حجة الإسلام، أى لايشترط إذن الزوج فى حجة الإسلام للزوجة، كذلك الحج الواجب بالنذر، لأنّكليهما واجبان، وليس لحجة الإسلام ما ليس للحج الواجب، فهما على مرتبة واحدة فى الوجوب والأهمية.

وقد وقعت المناقشة فى هذا الاستدلال بما يلى:

أولّا: أنّإلغاء الخصوصية فى الأقوى كحجة الإسلام كما ورد فى النصوص الصحيحة، لايكون دليلّاعلى إلغائها فى الأضعف، بحيث إنّحجةالإسلام هى الفرد الأقوى من الحجج، وهى لاتجب على الإنسانطيلة عمره إلّامرة واحدة، لكن سائر الحجج لاينال منزلة حجةالإسلام، فالأقوائية فى حجةالإسلام تنفى إلغاء الخصوصية من الأضعف. (۲) ثانياً: بعد ما كانت حجةالإسلام لها خصوصية من جهة الأهمية، التى يكشف عنها التعبير بالكفر فى مورد تركه فى الآية الشريفة، و كون تاركه يموت يهودياً أو نصرانياً فى الروايات، فلامجال لإلغاء الخصوصية عنها؛ لاحتمال كون الاهتمام بها موجباً لإلغاء اشتراط إذن الزوج، ومن الواضح عدم ثبوته فى مثل الحج النذرى كما لايخفى. (۳) ثالثاً: النصوص الواردة فى المقام موردها حجةالإسلام، والتعدى عن موردها وإلحاق غيرها بها يحتاج إلى الدليل ولادليل، فلابدّ من ملاحظة القواعد. (۴) فتحصّل أنّإلغاء الخصوصية من تلك الروايات غيرتامة بما فيها من الأهمية والأقوائية لحجةالإسلام، و لايكون الحج الواجب الآخر بمكانة حجةالإسلام.

۲. الإجماع

أولّا: أنّهذه المسألة لمتعنون فى كتب القدماء، ولمينقل منهم رأى فى هذا الموضوع، فكيف يكون إجماعياً؟ (۵) ثانياً: يمكن أنيُستنبط الإجماع من إلحاق الحج الواجب بالنذر بحجةالإسلام، بما فيه أنّعدم اشتراط الإذن مورد وفاق بين الفقهاء، كذلك يكون عدم اشتراط الإذن فى الواجب بالنذر إجماعياً لالتحاقه بها، وهذا

۱- كالسيد البروجردى فى العروة، و الإمام الخمينى فى تحرير الوسيلة.

۲- السبحانى، جعفر، كتاب الحج ۴۰۵: ۱ بعبارة منا.

۳- الفاضل اللنكرانى، محمد، تفصيل الشريعة، كتاب الحج ۳۲۲: ۱.

۴- الخوئى، أبو القاسم، معتمد العروة ۲۷۵: ۱.

۵- السبحانى، جعفر، كتاب الحج ۴۰۵: ۱ نقلنا كلامه مضموناً.

ص: ۷۹

غير تام أيضاً، (۱) لأنّالالتحاق بها أول الكلام ولميثبت صحته، فكيف يجرى حكم الملحق إلى الملحق به!؟ ولاأصالة له فى المقام، مما يوجد فيه ما يمكن أنيُستدل به من الروايات، كإلغاء الخصوصية على ما عرفت، وكالرواية الآتية. فلايكون الإجماع على فرض تحققه دليلًامستقلًا؛ (۲) لأنّه محتمل المدركية إنلميكن قطعياً، وهو غير حجة.

۳. الرواية المعتبرة

رُوى هذا الحديث بأسناد مختلفة عن الأئمة (عليهم السلام) وعن رسول الله (ص) كما مضى أنّه قال: «لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق». (۳) إنّالبحث فى الرواية يكون على نحوين:

النحو الأول فى إرسالها:

إنّالرواية مرسلة سنداً، (۴) لكنها معتبرة، لأنّها أولًامن جملة المرسلات التى أسند المرسل الرواية إلى الإمام (ع) بلفظ "قال: "من دون أنيكون التعبير بمثل "قيل: "أو "روى عنه."

هذا يكفى فى اعتبار الرواية؛ لأنّذلك بمنزلة توثيق جميع الوسائط. (۵) النحو الثانى فى دلالتها:

إنّفى الاستدلال بالمرسلة المعتبرة لابدّ من دراسة موارد إطاعة المخلوق ومعصية الخالق.

ألف: ما هو المراد من إطاعة المخلوق فى المرسلة؟

قيل: إنّإطاعة الزوجة والعبد إطاعة لله تعالى أولًا، ثم إطاعة للزوج والمولى ثانياً، وهذا فى طول إطاعة الله سبحانه وتعالى بما أوجبه الله فى الشريعة من قبل، وهى خارجة عن المرسلة؛ لأنّها ناظرة إلى ما لمتكن إطاعة المخلوق إطاعة لله تعالى أيضاً، فلوكان كذلك لما كانذلك إطاعة المخلوق، بل هى إطاعة لله تعالى بالأصالة، والمرسلة غير ناظرة إليه، وإلالكانمفاد المرسلة لاطاعة للخالق فى معصية الخالق وهذا كما ترى. (۶) يدفعه أنّه لادليل لحمل المرسلة على موارد الإطاعة غير الواجبة، و انحصار مفاد الرواية فيها بعد استناد الفقهاء إليها فى موارد وجوب الإطاعة، مثل ما إذا أذن المولى لعبده فى الحج، ثم رجع عن إذنه فى أثناء الحج و فى غيره فإنه لامعنى لأنتكون الإطاعة الكذائية مقدمة على إطاعة الخالق، أو ارتكاب

۱- الفاضل اللنكرانى، محمد، تفصيل الشريعة، كتاب الحج ۳۲۲: ۱.

۲- المصدر السابق.

۳- الوسايل، أبواب وجوب الحج، الباب ۵۹، ح ۷.

۴- ابن أبى جمهور الأحسائى، محمد، عوالى اللئالى ۴۴۴: ۱؛ المغربى، دعائم الإسلام ۳۵۰: ۱؛ السيد الرضى، نهج البلاغة، رقم الحكمة ۱۶۵.

۵- الفاضل اللنكرانى، محمد، تفصيل الشريعة، كتاب الحج ۳۲۳: ۱.

۶- الخوانسارى، أحمد، جامع المدارك ۲۹۱: ۲ العبارة و الايضاح منا.

ص: ۸۰

معصیة، بل الظاهر هی الإطاعة الواجبة مع قطع النظر عن معصیة الخالق، فالمراد أنّه لاطاعة لمخلوق فیما تجب إطاعته فی نفسه إذا کانت مستلزمة لمعصیة الخالق. (۱) هذا الدفع أیضاً غیرتام؛ وذلک کما أنّه لادلیل لحمل المرسلة علی موارد الإطاعة غیر الواجبة، کما قال به صاحب المدارک، کذلک لادلیل لحمل المرسلة علی موارد الإطاعة الواجبة، کما هو ظاهر کلام صاحب تفصیل الشریعة؛ لأنّالنکرة فی سیاق النفی تفید العموم، ولسانالروایة یأبی التخصیص، فحملها علی موارد خاصة إمّا علی الإطاعة الواجبة أو غیرالواجبة فقط یحتاج إلی دلیل، و لادلیل علیها؛ فالمراد منها- الروایة- أعم من الإطاعة الواجبة وغیر الواجبة، مثل ما إذا دعا الإنسانرفیقه لیشرب الخمر مع أنّه طاعة غیر واجبة، ومجرد دعاء وطلب من غیر إلزام، فذلک یقال له: «لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق» أی إجابتک لما دعیت إلیه طاعة للرفیق، ولکن فیه معصیة للخالق، وهذا لایجوز.

فالإنصاف أنّالاستدلال لعدم اشتراط الإذن فی الحج النذری بالمرسلة تام، لاخدشة و لاإشکال فیه.

ب: کیف تتحقق المعصیة فی النذر؟

قبل الجری وتطبیق المرسلة علی موارد النذر لابدّ من تنقیح تحقق المعصیة إذا ترک المنذور، فلهذا قیل: إنّا نشک فی الموضوع بأنّه هل المنع عن إتیانالمنذور یُعدّ معصیة للخالق هنا؛ لاحتمال شرطیة إذن الزوج بعد إطلاق ما دلّ علی حرمة خروج الزوجة من بیتها إلّاباذنه؟ (۲) لامجال لهذا الشک بعد ما فرضنا أنّالنذر انعقد صحیحاً، والوفاء به واجب، وترکه یُعدّ معصیة للخالق من دون ارتیاب.

وقیل أیضاً: إنّما النذر الواجب یشترط الرجحانفی متعلقه فی ظرف العمل، بمعنی أنّالنذر إنّما ینعقد ویجب الوفاء به إذا کانالمنذور راجحاً حین العمل؛ وأمّا لو کانمرجوحاً أو محرماً فی نفسه، فلایجب الوفاء به، بل ینحل النذر ویقدم الواجب الآخر علیه، فإنّالعمل لابدّ أنیکون فی نفسه راجحاً مع قطع النظر عن تعلق النذر به؛ وعلیه، إذا فرضنا أنّخروج الزوجة من البیت من دون إذن الزوج محرم، فلاینعقد نذرها للحج المستلزم للخروج من البیت، (۳) فلایکون هناک معصیة للخالق، لفقد الرجحانفی متعلق النذر، و لاتنطبق علیها المرسلة أبداً.

فیه: أنّهذا القول والمناقشة فی عدم تحقق المعصیة للخالق غیر تام؛ لأنّالنذر إذا انعقد باستجماعه لشرائط الصحة من الزوجة، فلانقاش فی أصله، إلّاأنّاعتبار الرجحانفی متعلق النذر حین العمل أمر مسلملاشبهة فیه، لکن المنذور هنا هو الحج، وهو راجح فی نفسه، إلّاأنّه یستلزم الخروج من البیت فی ظرف الإتیانبه من دون إذن الزوج، وهو محرم کما فی النصوص المعتبرة، لکنه هل یوجب سلب الرجحانیة عن الحج وعروض المرجوحیة علیه؟ کلّالایوجب؛ لأنّالمنذور هو الحج، وهو راجح ذاتاً، وأمّا الخروج عن البیت

۱- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعة، کتاب الحج ۳۲۴: ۱.

۲- السبحانی، جعفر، کتاب الحج ۴۰۶: ۱ بتصرف.

۳- الخوئی، أبوالقاسم، معتمد العروة ۲۷۶: ۱.

ص: ۸۱

بلاإذن فهو محرم، لکنه لیس هو المنذور کی لایکون راجحاً، واستلزام الحج الخروج من البیت لایجعله مرجوحاً، بل یقع التزاحم بین الحکمین، إذ إنّهاهنا تکلیفین:

الأول: إتیانالمنذور وفاءاً بالنذر، وهو تکلیف فعلی.

الثانی: الخروج من البیت من دون إذن محرم وهو أیضاً تکلیف فعلی.

ثم إنّعدم الوفاء بالنذر وترک المنذور الراجح معصیة للخالق، وعدم الخروج من البیت من دون إذن الزوج إطاعة للمخلوق فی نفس الزمان، ورفع التزاحم جریاً وتطبیقاً للمرسلة علی هذا المورد، بحیث إنّها اقتضت عدم ثبوت الطاعة للمخلوق فی معصیة الخالق، وهذا یفید أنّاللازم تقدیم وجوب الوفاء بالنذر علی حرمة الخروج من البیت.

وبعبارة أخری: أنّالحج الواجب بالنذر أمر راجح ذاتاً، وترکه یُعدّ معصیة لله سبحانه وتعالی، والخروج من البیت من دون إذن الزوج محرم، فالزوجة لو أرادت أنتحج من دون إذن، وأتت بالحج الواجب تکون قد أطاعت وعصت فی آنواحد، لخروجها من البیت؛ ولو أرادت أنتقعد فی البیت وترک الحج تکون کذلک قد عصت وأطاعت؛ فالمرسلة تقول: إذا کانت إطاعة المخلوق (عدم الخروج من البیت بلاإذن) سبباً لتحقق المعصیة لله سبحانه وتعالی (ترک الحج الواجب بالنذر) فلابدّ عند تزاحم الطاعتین، طاعة الخلق وطاعة الخالق، من تقدیم طاعة الخالق علی طاعة المخلوق جریاً للمرسلة وامتثالّالها.

بقی هنا أمرانفلابدّ من ملاحظتهما:

۱. ما هو المراد من الزوجة؟ هل تشمل المنقطعة أم لا؟

إنّالنکاح ینقسم حقیقة إلی قسمین؛ نکاح دوام، ونکاح انقطاع، وکذلک الزوجة دائمة کانت أو منقطعة، فإنها زوجة فی کلتا الحالتین حقیقة.

وأما عدم ترتب بعض الأحکام علی الزوجة المنقطعة، کالنفقة والتوارث علی بعض الأقوال، لایوجب عدم کونها زوجة، بل هی زوجة حقیقة، ویترتب علیها أحکام الزوجیة من حرمة خروجها من البیت، واشتراط الاستئذانفی السفر، إلّاماخرج بالدلیل کما أشرنا إلیه.

۲. هل الزوجة تشمل من کانت فی العدة؟

لایخفی أنّالعدة تنقسم إلی أقسام:

العدة الرجعیة.

عدة الوفاة.

عدة البائنة.

الحج و الزوجة فی العدة الرجعیة:

هل المطلقة الرجعیة هی بحکم الزوجة تحتاج للخروج من البیت إلی الاستئذانمطلقاً، إلّاماخرج بالدلیل، کالسفر إلی إتیانحجة الإسلام أم لا؟

کلمات الفقهاء:

ص: ۸۲

قال الشيخ فی الخلاف: يجوز للمرأة أن‌تخرج فی حجهٔ‌الإسلام وإن‌كانت معتدهٔ أیّ عدهٔ كانت. (۱) قال المحقق: وكذا لو كانت فی عدهٔ رجعيهٔ؛ و أضاف صاحب الجواهر وعلل كلام المحقق، بأنّها بحكم الزوجهٔ.

قال السيد اليزدی: المطلقهٔ الرجعيهٔ كالزوجهٔ فی اشتراط إذن الزوج مادامت فی العدهٔ، بخلاف البائنهٔ، والمسألهٔ مورد وفاق بين الفقهاء، ولم‌يُحك خلاف فيها.

المطلقهٔ الرجعيهٔ زوجهٔ حكماً:

يمكن الاستدلال على أنّ‌المطلقهٔ الرجعيهٔ كالزوجهٔ حكماً، ويترتب عليها ما يترتب على الزوجهٔ، ومنها أنّه لايشترط إذن الزوج فی حجهٔ‌الإسلام كما مضى بيانه، وإليك الأدلهٔ:

۱. إلغاء الخصوصيهٔ من المطلقهٔ الرجعيهٔ، بما أنّ‌المطلقهٔ الرجعيهٔ زوجهٔ، إلّاأنّ‌الظاهر من الروايات الخاصهٔ الواردهٔ فی عدم اشتراط إذن الزوج فی حجهٔ‌الإسلام للزوجهٔ، انصرافها عن المطلقهٔ الرجعيهٔ؛ لأنّ‌المتبادر منها إلى الذهن غير المطلقهٔ، إلّاأنّ‌دراسهٔ الروايات الخاصهٔ فی العدهٔ الرجعيهٔ يكشف الستر عن هذا الظهور، ويدفع الانصراف المذكور، ويأتی البيان‌قريباً.

۲. الدليل العام الشامل لكل حج واجب هو المرسلهٔ المعتبرهٔ: «لاطاعهٔ لمخلوق فی معصيهٔ الخالق»، يدل على عدم اشتراط الاستئذان‌فی المطلقهٔ الرجعيهٔ فی حجهٔ‌الإسلام، بما شرحناه فی تماميهٔ الاستدلال بهذاالحديث.

۳. الروايات الخاصهٔ فی المطلقهٔ الرجعيهٔ هی على طوائف:

الأولى: ما تدلّ على أنّ‌المطلقهٔ الرجعيهٔ لاتحج فی عدتها، وهی صحيحهٔ معاويهٔ بن عمار، عن أبی عبد الله (ع) حيث قال: «لاتحج المطلقهٔ فی عدتها». (۲) إنّ‌مقتضى الإطلاق فی الروايهٔ عدم الفرق بين حجهٔ‌الإسلام وغيرها، وكذلك بين إذن الزوج وعدمه، كما أنّ‌مقتضى إطلاقها عدم الفرق بين المطلقهٔ الرجعيهٔ والمطلقهٔ البائنهٔ.

الثانيهٔ: تدل على أنّها تحج فی العدهٔ، وهی صحيحهٔ محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: «المطلقهٔ تحجّ فی عدتها». (۳) هذا الحديث أيضاً ورد على الإطلاق، ويشمل جميع الحالات المذكورهٔ فی الطائفهٔ السابقهٔ من حجهٔ‌الإسلام وغيرها، وعدهٔ الرجعيهٔ والبائنهٔ، وإذن الزوج وعدمه.

الثالثهٔ: تدل على التفصيل، وهی مرسلهٔ منصور بن حازم، قال: سألت أباعبدالله (ع) عن المطلقهٔ، تحج فی عدتها؟ قال (ع): «إن‌كانت صرورهٔ حجّت فی عدتها، وإن‌كانت حجّت، فلاتحج حتى تقضی عدتها». (۴)

۱- الشيخ الطوسی، الخلاف ۴۳۴: ۲.

۲- الوسايل ۸: أبواب وجوب الحج، الباب ۶۰ ح ۳.

۳- الوسائل ۸: أبواب وجوب الحج، الباب ۶۰ ح ۱.

۴- الوسائل ۸: أبواب وجوب الحج، الباب ۶۰، ح ۲.

ص: ۸۳

ولایخفی أنّالروایة مرسلة سنداً؛ لأنّأبا عبدالله البرقی رواها عمّن ذکره، عن منصور بن حازم، عن أبی عبدالله (ع).

وأمّا وصف بعض الفقهاء والمحققین الروایة بالصحة فی کتبهم الفقهیة، فهو غیر تام، کما مضی، ولاوجه له أصلًا، فالروایة غیر معتبرة لإرسالها، إلّاأنه قیل فیها: إنّخبر منصور بن حازم وإنکانضعیفاً سنداً للإرسال، ولکن التفصیل یستفاد من أدلة أخر، والتی دلّت علی أنّحج الإسلام لایعتبر فیه إذن الزوج، و لاطاعة له علی الزوجة؛ وأمّا الخروج من البیت لغیر حج الإسلام فیعتبر فیه الإذن.

الرابعة: والتی تدل علی أنّالمطلقة تحج فی عدتها بإذن زوجها، وهی صحیحة معاویة بن عمار، عن أبی عبدالله (ع) قال: سمعته یقول: «المطلقة تحج فی عدتها إنطابت نفس زوجها». (۱) إنّالتعبیر فی الروایات بالمطلقة فی عدتها، وإنکانت علی حسب ظهورها البدوی تشمل عدة البائنة، لکنها عند التدقیق فیها نجدها لاتشمل البائنة؛ لانقطاع عصمتها منه، وهی فی العرف لاتُعدّ زوجة له؛ وعلیه، لاتحتاج إلی الاستئذانمطلقاً، بل هی أشبه بالمعتدة عدة الوفاة، والتی یجوز لها الحج بلاإشکال فی العدة، کما قال صاحب الجواهر. (۲) بقی احتمال واحد من المطلقة وهی الرجعیة، فالمطلقة فی الروایات متعینة فی الرجعیة.

وأمّا المراد من الحج فی الروایات المذکورة فهو إمّا حج واجب کحجةالإسلام والحج النذری، أو حج مندوب.

أمّا المراد من الحج فهو لایکون إلّاالحج الواجب؛ لأنّالحج الندبی لایجوز إلّامع الاستئذانمن الزوج کما صرّحوا به فی الزوجة غیر المطلقة، مع أنّالخروج من البیت محرم علی المطلقة الرجعیة أیضاً، والحج الندبی لایعارض حرمة الخروج، فحرمة الخروج من البیت متقدم علی الحج الندبی، والحج الندبی لایجوز إلّامع الاستئذانکما أشارت إلیه الطائفة الرابعة بعبارة: «المطلقة تحج فی عدتها إنطابت نفس زوجها»، وکذا یحمل علی الحج الندبی ما یدل علی أنّالمطلقة لاتحج فی عدتها، أی لاتحج حجاً مندوباً فی عدتها.

و أمّا الحج الواجب، فالمطلقة الرجعیة تحجه بلااستئذانفی العدة، کما أنّالزوجة تحج بلا إذن من الزوج، وهذا یستفاد من الجمع العرفی من الروایات الواردة فی الباب، وتوافقه مرسلة منصور بن حازم، حیث نصّت علی التفصیل بین حجةالإسلام وغیرها «إنکانت صرورة حجت فی عدتها، وإنکانت حجت فلاتحج حتی تقضی عدتها». (۳) کلاهما موافقانللقاعدة العامة، وکذلک المرسلة المعتبرة التی تأبی عن التخصیص، حیث تقول: «لاطاعة لمخلوق فی معصیة الخالق» أی أنّالمطلقة الرجعیة لاطاعة لها فی إتیانالحج الواجب الذی یوجب الخروج من بیت الزوجیة؛ لأنّترک الحج معصیة کبیرة قیل لتارکه: «مت یهودیاً أو نصرانیاً»؛ والحج الواجب متقدم علی حرمة الخروج وطاعة المخلوق، لأنّفی طاعته تحقق معصیة الخالق.

۱- الوسائل ۸: أبواب العدد، الباب ۲۲، ح ۲.

۲- النجفی، جواهر الکلام ۳۳۵: ۱۷.

۳- الوسائل ۸: أبواب وجوب الحج، الباب ۶۰، ح ۲.

ص: ۸۴

وأمّا ما قیل: إذا ثبت بالدلیل أنّه لایشترط إذن الزوج فی حجۀالإسلام للزوجۀ فی الخروج من البیت، فعدم اشتراطه فی المطلقۀ الرجعیۀ بطریق أولی؛ لأنّالمطلقۀ الرجعیۀ لیست بأشدّ من الزوجۀ. (۱)فهذا القول غیر تام لعدم الأولویۀ فیها؛ لأنّه یمکن أنیکون نظر الشارع إلی عدم خروج المطلقۀ من البیت مطلقاً و کونها حاضرۀ عنده؛ لیتحقق الرجوع وتعود الزوجیۀ، وهذا بخلاف الزوجۀ. (۲) سلوک آخر فی الجمع العرفی بین الروایات:

إنّالمقتضی بین الطائفۀ الرابعۀ «المطلقۀ تحج فی عدتها إنطابت نفس زوجها» وبین الطائفتین الأولیین «المطلقۀ لاتحج فی عدتها- المطلقۀ تحج فی عدتها» حمل الأُولی علی صورۀ عدم إذن الزوج، وحمل الثانیۀ علی صورۀ الإذن، فاللازم منه القول باشتراط الإذن فی حجۀالإسلام أیضاً، هذا إذا غضضنا الطرف عن مرسلۀ منصور بن حازم التی توافق القاعدۀ، فتصل النوبۀ والدور إلی دراسۀ التعارض بین صحیحۀ (معاویۀ بن عمار) فی الطائفۀ الرابعۀ، وبین المرسلۀ المعتبرۀ المتقدمۀ «لاطاعۀ لمخلوق فی معصیۀالخالق».

إنّالصحیحۀ تدل علی اشتراط الإذن فی الحج الواجب والمندوب، وإتیانالحج الواجب من دون إذن فهو باطل.

والمرسلۀ المعتبرۀ تدل علی أنّإتیانالحج من دون إذن صحیح مطلقاً، وهذا هو التعارض بین مدلولی صحیحۀ (معاویۀ بن عمار) والمرسلۀ المعتبرۀ، لکنّ الظاهر تقدیم المرسلۀ علی الصحیحۀ؛ لکون سیاق المرسلۀ آبیاً عن التخصیص، فالنتیجۀ عدم اشتراط إذن الزوج فیما إذا کانالحج حجۀالإسلام، أو کانالحج الواجب المضیق کالحج النذری. (۳) تذییل:

إنّمقتضی القواعد والروایات الواردۀ فی المطلقۀ الرجعیۀ أنّه لایشترط إذن الزوج فی صحۀ الحج الواجب، إلّاأنّمقتضی صحیحۀ معاویۀ بن عمار والتعبیر الوارد فیها: «المطلقۀ تحج فی عدتها إنطابت نفس زوجها» استحباب کسب الرضا و طیب النفس من الزوج فی الخروج من البیت إلی الحج الواجب، لما فیه مصلحۀ تسمّی بفترۀ رجعیۀ، رجاء عودۀ الزوجیۀ بینهما.

***

۱- السبحانی، جعفر، کتاب الحج ۴۰۹: ۱ والعبارۀ منا.

۲- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعۀ ۳۲۸: ۱.

۳- الفاضل اللنکرانی، محمد، تفصیل الشریعۀ ۳۲۹: ۱، بتصرف و تلخیص.

ص: ۸۵

خلاصة الكلام فى هذا البحث:

أولًا: الاستطاعة

بعد التتبع للاستطاعة فى اللغة والقرآن و الروايات، انتهينا إلى أنّالاستطاعة كسائر العناوين إذا أخذت فى لسانالأدلة القرآنية، وعلى حسب ما تفسرها الروايات الواردة فيها، فلها معنى خاص يسمى بالاستطاعة العرفية.

والاستطاعة العرفية أضيق من الاستطاعة العقلية؛ التى تعنى القدرة على إحداث الفعل بأىّ نحو كان، ولو بالمشقة الشديدة والعسر والحرج؛ وأمّا الاستطاعة العرفية فهى ما يعتبره العرف ويسميه استطاعة، ولايسوّغ إحداث الفعل بأىّ نحو كان، بل بما هو المتعارف فى العرف من دون التفات إلى الآلات.

أمّا الاستطاعة الشرعية فهى أضيق من الاستطاعتين المذكورتين (العرفية والعقلية)؛ لأنّالشارع اعتبر فيها، إضافةً إلى ما يعتبره العرف، قيوداً وشروطاً خاصة مثل الراحلة فى استطاعة السبيل إلى الحج، أو عدم استلزامها ترك واجب أو إتيانفعل حرام فى الشرع؛ فالاستطاعة العرفية أوسع من الاستطاعة الشرعية، وأضيق من الاستطاعة العقلية، والاستطاعة الواردة فى تشريع الحج على حسب ما تتبعنا فى المصادر، فإنّالمراد منها هى استطاعة عرفية، لاعقلية، و لاشرعية.

ثانياً: التزاحم

إنّالكلام فى دراسة التزاحم بين الحج والفرائض ليس على سياق واحد، فقد يقع التزاحم والشارع رجح جانب الحج اهتماماً بالحج ومكانته، كما لوحصل التزاحم بين الحج والنذر، فإنّالحج واجب الأداء، لكنّه إذا أوجب إتيانالمنذور ترك الحج فالحج واجب الإتيانبه، ومقدم على النذر، لفقدانالرجحانفى متعلق النذر؛ وكذا فيما لو حصل التزاحم بين الحج وإطاعة الزوج، فقد رجح الشارع جانب الحج؛ لأنّه لاطاعة لمخلوق فى معصية الخالق؛ فالحج واجب وتركه لمزاحمته بإطاعة الزوج معصية للخالق، ومنطبق عليه الحديث، فالحج مقدم على إطاعة الزوج، وإطاعة الزوج واجب إلّافيما خالف طاعة الله سبحانه وتعالى.

وقد يرجح الشارع جانب الفريضة على الحج، فإنّالاستطاعة لو زاحمت الفريضة لاتتحقق، مثلما إذا وقع التزاحم بين الحج والنكاح، فإنّالنكاح يعتبر من الحاجات الطبيعية للإنسان، والاستطاعة تحصل بعد رفع الحاجات الطبيعية والضرورية، فالنكاح مقدم على الحج؛ وكذا فيما لو وقع التزاحم بين الحج والدَّين؛ فتحصّل أنّرفع التزاحم يكون بترجيح الأهم على المهم بما يستفاد أهميته من كلمات الشارع مباشرة أو بالإيماء والإشارة، ومن القوانين المبيّنة فى الكتاب والسنّة.

***

ص: ۸۶

الأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة (۱)

إنّ من كان له أدنى إلمام بالمعالم الإسلامية، يعلم بأنّ قسماً كبيراً منها يرتبط بالآثار الباقية من رسول الله (ص) وأهل بيته الطيبين (عليهم السلام)، والصالحين؛ و لاشك أنّ الأجيال سواء أكانت المؤمنة أم الأخرى التى تريد الاطلاع والدراسة- التى لم تكن حاضرةً فى تلك العصور- لايمكنها التعرف على هؤلاء القادة السادة إلّا من خلال الاطلاع على آثارهم التى تبين تاريخهم النير، و دورهم الكبير، وعطاءهم المبارك، وتضحياتهم الجسام، حقاً «إنّ آثارهم تدلّ عليهم».

فالآثار خير وسيلة وأنجع طريقة للتعرف على سيرتهم وأخلاقهم، وللتعرف على ما حملوه من قيم ومبادئ، راحت تترك بصماتها على سلوكهم وأخلاقهم، وظلت هذه الآثار تحكى بصدق عظمة جهودهم التى بذلوها فى سبيل رسالة السماء، وهداية الناس، و انقاذهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الحياة الإيمانية، غير مكتفين بأنفسهم وأهليهم ومن حولهم فى عصرهم، بل حتى للذين يأتون بعدهم بما يتركونه من تراث مقروء، أو مسموع، أو مرئى يمكن الاستفادة منه؛ فى الاقتداء بهم، والسير على نهجهم القيم، المنبثق من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص).

فلو علم الإنسان المسلم أنّ رسول الله (ص) الذى وصفه القرآن الكريم بقوله: وإِنَّکَ لَعَلَی خُلُقٍ عَظِیمٍ قد تجسد خلقه هذا، و هو يعيش حياةً متواضعةً مشحونةً بالتواد والتراحم، بعيدةً عن الفظاظة والغلظة؛ تتلمسها فى دار صغيرة بسيطة اتخذها سكناً، و فى مسجد اتخذه مقراً لعبادته وقيادته للأمة والدولة، وهكذا فى كل مواقعه ومواقفه ومنازله وعلاقاته.. فسيتّخذ هذا الإنسان المسلم طريقاً صحيحاً مماثلًا لما عليه رسول الله (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) و الصالحون رضوان الله تعالى عليهم، لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ... (۱) و يقتدى بهم بسبب ما رأى من آثارهم، و يعيش حتماً مثل ما رأى و عرف من كيفية منازلهم، و بساطة عيشهم؛ و بسبب هذا التعرّف على آثارهم يصير ذلک الإنسان أنموذجاً حياً فى عصره، و إن كان عصره بعيداً عنهم بقرون، فضلًا عما يترتب على زيارة هذه المواقع من بركات وأجر وثواب...

و ليس هذا من منافع التعرّف على آثارهم القيّمة فحسب، بل ستكون هذه الآثار معلماً واضحاً، و داعياً قوياً، للتعرف على المنهج المبارک نفسه الذى ساقته السماء والتزم به الصالحون، فيا حبذا لو كانت دار رسول‌الله (ص) وآثاره المباركة باقية فى عصرنا، لتكون داعية حقيقية إلى الإسلام العزيز الحنيف!!

ولكن يا للمصيبة! فقد ابتلى الإسلام و الأمة الإسلامية بفرقة فاسدة حاقدة، بدأوا بتكفير أبناء الأمة الإسلامية، واتهموهم بالشرک و الإلحاد! و لم يكتفوا بهذه الاتهامات الكاذبة، بل بدأوا بهدم كل ما تعلقت به نفوس المؤمنين من الأماكن الإسلامية، و تخريب الآثار المقدسة التى بقيت من عصر الرسول‌الأكرم (ص).

۱- الأحزاب: ۲۱.

ص: ۸۷

إنّ الـذى ارتكبه هؤلاء ضـدّ آثار الرسول ۹ و أهل بيته:، وتكفير المجتمع المسـلم وقتلهم الأبرياء، لايقل بشاعـة مما يرتكبه الصـهاينة، وهو يلبى ما يأمله أعداء الإسلام ويهدفون إليه من إيجاد الخلافات وإثارة النعرات بين الأمة الواحدة...

إنّ الأسـتاذ الـدكتور عبـدالوهاب إبراهيم، قـد بـذل جهـده فى هـذا الكتاب لإثبات قدسـية الأماكن الشـريفة و المعالم الأثرية فى مكة المكرمـة وأهميتها، تلك الآثار التى كانت عامرة منذ قرون و سـنين، قبل أن يقوم الوهابيون الجاهلون بهدمها وتخريبها، فحرموا الناس من منافعها وبركاتها .. إنهم لا يسمعون شيئاً و لايعقلون سوى ما يلبى أهدافهم و اعتقادهم الضال!

إنّ ما قام به الـدكتور لجهـد واسع نافع، مع أنه كان يعيش فى ظروف صـعبة و خطيرة؛ و ليس فى هذه المجلة ما يسع كل ما تفضل به الدكتور من مباحث كتابه القيم، فاقتطفنا من ثمار هذه الروضة الجليلة بحوثاً يستفيد منها القراء الكرام.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يوفقنا لما يحبّ و يرضى، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

*** عناوين رئيسية:

۱. مقدمة المؤلف.

۲. نماذج من مواقف السلف الصالح من الأماكن المأثورة.

۳. المتواتر من الأماكن المأثورة فى مؤلفات السيرة النبوية.

۴. المتواتر من الأماكن المأثورة فى مدونات التاريخ المكى الخاص.

۵. المتواتر من الأماكن المأثورة فى مكة المكرمة استقلالًا المنثور منها.

۱. مقدّمة المؤلف

إنّ الأماكن التاريخية ذاكرة الأمم الحيّة، والشاهد القائم الذى لايكذب، والدليل الناطق الباقى إذا اندثرت الأجيال.

مكة المكرمة مهد الإسـلام، ومبعث النور، ومنطلق خاتمة الرسالات، شـرفت بولادة المصـطفى (ص)، واحتضـنت كبار صـحابته الكرام على أرضها المباركة، شهدت عرصاتها و مرابعها ملحمة الصراع بين الحق والباطل، و زكت تربتها بالدماء الزكية، دماء الشهداء.

ص: ٨٨

فى كلّ شعب منها وزاوية وبقعة أثر خالد، ومنار مضىء يحكى قصصاً من جهادهم، و أمثلة من كفاحهم، تظل وقائعه حية فى نفوس الأجيال المسلمة سماعاً، ومشاهدة، تكتحل بها نواظرهم، و تتردد على أسماعهم مآثرهم، ترسخ بها معانى الإيمان، تتقوى بها عزائمهم، وتتجدد بها هممهم؛ لنشر العقيدة السليمة، والمبادئ، والقيم الصحيحة، يستنطقون من خلال السيرة والمسيرة والآثار القائمة أمجاد التاريخ الإسلامى فى مراحله المبكرة؛ ليبعث حياً فى النفوس.

مكة المكرمة قد ضمت العديد الكثير من تلك الأماكن التاريخية المهمة فى تاريخ الإسلام، حظيت بعناية المسلمين واهتمامهم منذ العصور الإسلامية المبكرة تأليفاً وتدويناً، توقيعاً، ورواية متواترة، علمياً ومحلياً، فهى سجلّ حافل، فى صفحات موثقة، يتوارث معرفتها الخلف عن السلف فى تسلسل تاريخى منتظم، منذ ظهور الرسالة المحمدية، حتى الوقت الحاضر، حرص السلف الصالح: محدثون، وفقهاء، ومؤرخون، و أدباء منذ القرن الأول الهجرى على ترسيم تلك الأماكن، وتوقيعها، وتحديدها تخليداً للحدث، مرتبطاً بمشاهدة المكان، فللمكان إيحاءاته وإشعاعاته، بقيت تراثاً خالداً باقياً عبر الأجيال المتعاقبة فى أمانة وصدق، دون أن تمس بسوء.

إنّ هذا البحث يواصل تلك المسيرة التى ابتدأها سلفنا الصالح فى صياغة تحليلية جديدة، فهو امتداد لتلك الجهود، خصوصاً وأنّ الكثير منها قد اختفى عن الأنظار؛ لغرض توسعة المسجد الحرام، وإعادة تخطيط المدينة المقدسة، مكة المكرمة بحسب ما جد فيها من طرق، وتزايد عدد السكان، وأعداد الحجاج الذين بلغ إحصاؤهم إلى ما يزيد على المليونين، والمستقبل ينبئ بزيادات مضاعفة فى السكان، والحجاج والمعتمرين.

أدى هذا و غيره إلى غياب بعض تلك الأماكن من الوجود، وحتى تظل تلك الشواهد التاريخية التى عاصرت أفضل الخلق، وأعظم أجيال الإسلام محفورة فى الذاكرة- وحتى لا يصبح تاريخنا و ماضينا أسطورة مثل ما حدث لبعض الأمم السابقة- يأتى هذا البحث لرصدها، وما طرأ عليها، استمراراً للتسلسل التاريخى لجزء من أهم خصائص المدرسة التاريخية المكية.

ظهرت العناية بهذه الأماكن المأثورة فى مكة المكرمة عبر القرون الماضية توثيقاً فى مدونات متعددة كثيرة، ومن لدن جهات علمية متنوعة:

فى مدونات السيرة النبوية والمدونات التاريخية، والدراسات الفقهية، يسند هذا التدوين العلمى تواتر محلى تتوارثه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، حرصاً ألا يطويها النسيان، فللمكان إيحاءاته و إشعاعاته الإيمانية، واستذكار الذين أدّوا دوراً مهماً فى نشر الإسلام.

بهذا المفهوم التربوى الراقى، البعيد عن الغلوّ والمجافاة، استحوذ هذا الموضوع على اهتمام علماء الإسلام: محدثين، وفقهاء، ومؤرخين من عصر التابعين حتى العصر الحاضر، فقاموا برصد تلك الأماكن التاريخية تحديداً، وتعييناً، و تاريخاً لما حدث عليها من إحداثات، يدعمهم النقل المتواتر بين الأجيال، بالسماع والمشاهدة، جيلًا بعد جيل، فى حرص وأمانة علمية شديدة، تجلى هذا الاهتمام فى الآتى:

أولًا: مدوّنات السيرة النبوية.

ص: ۸۹

ثانیاً: سیر الصحابة رضوان الله علیهم.

ثالثاً: المصادر التاریخیة العامة، والأخری المتخصصة فی التاریخ المکی.

رابعاً: کتب المناسک ومدوناتها المطولة والمختصرة، فقد أصبح ذکر هذه الأماکن موضوعاً ثابتاً، وباباً مهماً مستقلًا فی معظم کتب المناسک تحت عناوین مختلفة، قلّ أن یخلو منها کتاب من تلک الکتب، بل إنّ بعض العلماء أفردها بکتابات مستقلة، ورسائل مفردة زیادة فی العنایة والاهتمام.

یقتصر العرض لمختارات من المدونات السابقة تفصیلًا إن شاء الله تعالی، توثیقاً صریحاً للتواتر العلمی.

واجب الأمانة العلمیة والتاریخیة یقضی ذکر العناوین التی یضعها المؤلفون فی تقدیمها وعرضها، فإنّ لکل عنوان مدلوله عند المؤلف، وسیکون من مهمة البحث تحلیل تلک العناوین تحلیلًا علمیاً متجرداً.

الواجب العلمی یقضی إنصاف کل ذی رأی فی هذا الموضوع بأدلته، وبالفهم الذی یفهمه، دون تحیز، أو افتئات، فمن ثم اقتضت الدراسة تقسیم البحث إلی الفصول الآتیة ...

أودّ أن أنبه القارئ الکریم إلی أمرین ینبغی أن یکونا فی الحسبان:

أولًا: مهمة البحث أصالة هو العرض المتجرد بما یملیه المنهج العلمی، خصوصاً فیما یتصل بالآراء الفقهیة، فلیس المجال مجال سجال، أو جدال، وکل یؤخذ من قوله ویرد إلّا صاحب الرسالة سیدنا محمد (ص)، وللقارئ أن یرجح ما یشاء، دون غمط، أو تقلیل، أو نبز للآخرین، فهذا لیس من خلق الإسلام.

ثانیاً: جاء الاقتباس من مصادر متعددة متنوعة لقرون مختلفة، فبرغم تکرار أسماء المواضع، لکن یختلف المؤلفون فی أسلوب العرض، وذکر معلومات إضافیة عن الموضع بما حدث له من عمار، أو خراب له فی عصره، کذلک لیتم الاقتناع بالتواتر العلمی فی کل مجموعة من تلک الکتب المنتسبة إلی فنونها علی انفرادها، وفق عصور مختلفة، وبجمیعها مجتمعة، بالإضافة إلی التواتر المحلی فی تعیین هذه الأمکنة، وتحدیدها، وتوارث مواقعها جیلًا بعد جیل، یتجلی هذا من وصف بعض الأمکنة فی ثنایا کتابات بعض المؤلفین، مثل الحدیث عن مکان مولد النبی (ص): «وهو من أصح الآثار عند أهل مکة، یحقق ذلک مشایخهم»، وبهذا یتحقق المعنی الاصطلاحی بین علماء الإسلام لمدلول (التواتر) وهو:

«الخبر الثابت علی ألسنة قوم لایتصور تواطؤهم علی الکذب». (۱) تم العرض علی هذا الأسلوب من أجل قطع الشک بالیقین، وحتی لایسقط القارئ المتأمل فی دائرة الإنکار التی لاتستند إلی دلیل، والذی یروج له البعض من دون علم ومعرفة بالمواقع والأنحاء فی مکة المکرمة، ولأمر ما یشککون فیما جری علیه التواتر العلمی والمحلی فیما لاشک فیه منذ القرون الإسلامیة الأولی، دون علم، أو سند سامحهم الله.

علی أنه ینبغی أن یکون القارئ الکریم علی وعی تام للفرق بین أمرین مختلفین حکماً:

أولًا: المحافظة علی هذه الأماکن من ید العابثین، فهی أمانة الماضی، وأمانة تاریخیة ینبغی أن تبقی دروساً حیة، ناطقة للأجیال القادمة، ینظرون إلی تاریخ الرسالة المحمدیة من خلالها.

۱- الجرجانی، علی بن محمد الشریف، کتاب التعریفات، الطبعة الأولی: ۷۴، بیروت: لبنان، عام ۱۹۶۹ م، التواتر.

ص: ۹۰

ثانیاً: الممارسات المخالفة للعقیدة الصحیحة التی یأباها العقل، وترفضها العقیدة الإسلامیة الصحیحة، وهذا ما ستتم مناقشته والحدیث عنه بشکل تفصیلی.

والله الهادی إلی سواء السبیل، وصلی الله علی سیدنا محمد وعلی آله وصحبه أجمعین.

عبدالوهاب إبراهیم أبوسلیمان- مکهٔ المکرمهٔ

*** ۲. نماذج من مواقف السلف الصالح من الأماکن المأثورة

اهتم کثیر من السلف الصالح الصحابهٔ والتابعین رضوان الله علیهم بالأماکن التی صلی فیها رسول الله (ص)، أو حدث له فیها أمر، أو لأحد من کبار الصحابهٔ رضوان الله علیهم، بما یلیق بها انتساباً للنبی (ص) ولصحابته الکرام، وقد دونها کبار المحدثین والمؤرخین، وخصوها بأبواب مستقلهٔ أمثال الإمام البخاری فی صحیحه معنوناً لها "باب المساجد التی علی طریق المدینهٔ، والمواضع التی صلی فیها النبی (ص؛ ")(۱) ونقلها برمتها العلامهٔ عماد الدین أبو الفداء إسماعیل بن کثیرالقرشی (ت (ع) (ع) ۴ ه-) بعنوان «ذکر الأماکن التی صلّی فیها رسول الله (ص) و هو ذاهب من المدینهٔ إلی مکهٔ فی عمرته وحجته»؛ (۲) لتکون شواهد تاریخیهٔ علی من حلّ بها، أو ما حلّ بها، ذلک أنّ ربط الحدث بمکانه ومکانته، یظل ثابتاً راسخاً فی ذاکرة الأجیال الصاعدة، محفزاً لهم علی الالتزام بالقیم والمبادئ التی جاء بها صاحب الرسالهٔ (ص).

السماع، أو الروایهٔ تصحبه المشاهدة، وخصوصاً فی المراحل التربویهٔ الأولی تحرک فی الشباب نوازع الإیمان، وقیمه الرفیعهٔ.

شواهد هذا من فعل السلف الصالح، ما ذکره محمد بن سعد بن منیع الزهری فی الطبقات الکبری بسنده إلی: «معاذ بن محمد الأنصاری قال: سمعت عطاء الخراسانی فی مجلس فیه عمران بن أبی أنس، یقول وهو فیما بین القبر والمنبر: أدرکت حُجَر أزواج رسول الله (ص) من جرید النخل علی أبوابها المسوح من شعر أسود، فحضرت کتاب الولید بن عبد الملک یقرأ بإدخال حُجر أزواج النبی (ص) فی مسجد رسول الله، فما رأیت یوماً أکثر باکیاً من ذلک الیوم.

قال عطاء: فسمعت سعید بن المسیب یقول یومئذ: والله لوددت أنهم ترکوها علی حالها، ینشأ ناشئ من أهل المدینهٔ، ویقدم القادم من الأفق، فیری ما اکتفی به رسول الله (ص) فی حیاته، فیکون ذلک مما یزهد الناس فی التکاثر والتفاخر، یعنی الدنیا.

۱- أنظر: فتح الباری بشرح صحیح الإمام أبی عبدالله محمد بن إسماعیل البخاری، ۵۶۷: ۱، قرأ أصله تصحیحاً وتحقیقاً عبد العزیزبن عبدالله بن باز، ترقیم محمد فؤاد عبد الباقی، إخراج محب الدین الخطیب، مصر: المطبعهٔ السلفیهٔ ومکتبتها، عام ۱۳۸۰ ه-؛ وانظر: شرح ابن حجر العسقلانی علیه مع تعلیق سماحهٔ الشیخ عبدالعزیزبن باز علی ذلک فی نفس الجزء: ۵۶۹.

۲- حجهٔ الوداع، الطبعهٔ الأولی،: ۱۵۶، تحقیق خالد أبو صالح، الریاض: دار الوطن، عام ۱۴۱۶ ه-/ ۱۹۹۶ م.

ص: ۹۱

قال معاذ: فلمّا فرغ الخراسانی من حدیثه، قال عمران بن أبی أنس: کان منها أربعة أبیات بلبن، لها حُجر من جرید، وکانت خمسة أبیات من جرید مطینة لاحجر لها، علی أبوابها مسوح الشعر، ذرعت الستر فوجدته ثلاثة أذرع فی ذراع والعظم، أو أدنی من العظم؛ فأما ما ذکرت من کثرة البکاء، فلقد رأیتنی فی مجلس فیه نفر من أبناء أصحاب رسول الله (ص) منهم: أبو سلمة بن عبدالرحمن، و أبوأمامة بن سهل بن حفیف، وخارجة بن زید، وإنهم لیبکون حتی أخضل لحاهم الدمع، وقال یومئذ أبو أمامة: لیتها ترکت فلم تهدم حتی یقصر الناس عن البناء، و یروا ما رضی الله لنبیه ومفاتیح خزائن الدنیا بیده.

أخبرنا محمد بن عمر عن عبد الله بن عامر الأسلمی، قال: قال لی أبوبکر بن محمد بن عمرو بن حزم، وهو فی مصلاه، فیما بین الأسطوان التی تلی حرف القبر التی تلی الأخری إلی طریق باب رسول الله (ص): هذا بیت زینب بنت جحش، وکان رسول الله فیه، وهذا الصف کله إلی باب أسماء بنت حسن بن عبد الله بن عبید الله بن عباس الیوم إلی رحبة المسجد، فهذه بیوته، رأیتها بالجرید قد طرت بالطین علیها مسوح الشعر. (۱) وبسند الإمام الأزرقی إلی ابن جریج، عن إسماعیل بن أمیة، أنّ خالد بن مضرس فیما یخص مصلی رسول الله (ص) بمسجد الخیف، أخبره أنه رأی أشیاخاً من الأنصار، یتحرون مصلی النبی (ص) أمام المنارة قریباً منها.

و به إلی الأزرقی قال: قال جدّی: الأحجار التی بین یدی المنارة هو موضع مصلی النبی (ص)، و لم یزل الناس، وأهل العلم یصلون هنالک. (۲) بهذا المفهوم الواضح البعید عن الغلوّ والمبالغة، أو التجافی، والتقصیر والإهمال تعامل المسلمون فی الصدر الأول مع الآثار النبویة، وکل ما یتصل بها، أو بالصحابة الکرام، حافظوا علی تدوین کل أثر یتعلق بهم وبتاریخهم، استشعاراً لأهمیته، ولیبقی ذخراً باقیاً للأجیال القادمة التی لم تحظ بمشاهدتها.

یقول القاضی عیاض (ت ۵۴۴ ه-/ ۱۱۵۹ م) فی کتاب الشفا بتعریف حقوق المصطفی (ص):

«من إعظامه (ص) و إکباره، إعظام جمیع أسبابه، و إکرام جمیع مشاهده، وأمکنته من مکة، والمدینة، ومعاهده، وما لمسه بیده، أو عرف به ...»، (۳) وقد ذکر أدلة وشواهد علی ذلک من عمل الصحابة رضوان الله علیهم، وهو ما دلل علیه عملًا وتطبیقاً سلفنا الصالح رضوان الله علیهم.

یقول شمس الدین محمد بن عبد الرحمن السخاوی فی توجیه هذا الموقف: «إنّ سبب النجاة الاستقامة فی الأحوال والأفعال، ولا یتم ذلک إلّا بسائق وقائد، کصحبة الصالحین، أو سماع أحوالهم،

۱- ابن سعد، محمد بن سعد بن منیع الزهری، الطبقات الکبری، الطبعة الأولی، ۳۳۰: ۸، أعد فهارسها ریاض عبد الله عبد الهادی، بیروت: دار إحیاء التراث العربی، عام ۱۴۱۶ ه-/ ۱۹۹۵ م.

۲- الفاسی، تقی الدین محمد بن أحمد بن علی المکی، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الثانیة، ۵۰۱: ۱، تحقیق و مقابلة أیمن فؤاد سید و مصطفی محمد الذهبی، مکة المکرمة: مکتبة ومطبعة النهضة الحدیثة، عام ۱۹۹۹ م.

۳- استامبول: دار سعادت، مطبعة عثمانیة، عام ۱۳۱۲ ه-، ۴۷: ۲.

ص: ۹۲

والنظر فى آثارهم عند تعذر الصحبة، حيث تتصور النفس أعيانهم، وتتخيل مذاهبهم؛ لأنك لو أبصرت لم يبق عندك إلّا التذكر والتخيل، وكان السمع كالبصر، والعيان كالخبر». (۱) وفى ذكر معنى قوله تعالى:

وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ* قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ. (۲) يقول العلّامة المفسّر أبومحمد عبد الحق بن عطية الأندلسى «ومعنى الآية: سيروا وتلقوا ممن سار، لأنّ تحصيل العبرة بآثار من مضى إنما يستند إلى حس العين». (۳) و ثمت الآيات القرآنية العديدة التى تحث على الوقوف على آثار الأمم، وماحلّ بهم لأخذ دروس عملية مشاهدة من الواقع، واسترجاع موقف الأنبياء والمرسلين صبراً فى الشدائد، وتحمل أذى قومهم لهم، وأنّ الله لأعدائهم بالمرصاد، ونحن فى الوقت الحاضر، وقد تكالبت علينا الأمم أحوج ما نكون إلى دروس الصبر والمصابرة.

تحقيقاً لما ذكره شمس‌الدين السخاوى، والعلامة المفسر ابن عطية الأندلسى، وغيرهما وتطبيقاً لما سار عليه السلف فى هذا الاتجاه، أفرد علماء الأمة ومؤرخوها المؤلفات العديدة عن الآثار النبوية: أماكن، وأدوات، وتحركات، وكل ما يتعلق بالنبى (ص)، وبجيل الصحابة والتابعين، فأصبحت موضوعاً مهماً فى مؤلفات المؤلفين وكتابات الباحثين، تبعاً حيناً، واستقلالًا حيناً آخر.

*** ۳. المتواتر من الأماكن المأثورة فى مؤلفات السيرة النبوية

عرض علماء السيرة النبوية الشريفة للأماكن التاريخية المأثورة فى مكةالمكرمة، مما له علاقة بسيرة النبى (ص)، بعضهم يذكر ما يجزم بالقول به، وبعضهم يذكر كل ما يحكى من أقوال، كما هى عادة المؤرخين، إذ إنّ من وظائف المؤرخ أن يرصد كل ما يقال عن المكان والحدث، بصرف النظر عن صحته، أو عدم صحته؛ لهذا لاينبغى للقارئ الحصيف إذا رأى شيئاً من هذا النوع أن يتشكك فى الحقيقة فيما لو ذكرت

۱- الإعلام بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، الطبعة الأولى: ۴۲، حققه وعلق عليه فرانز روزنثال، ترجمة محمد صالح أحمد العى، بيروت، دارالكتب العلمية، ت. د..

۲- الأنعام: ۱۰- ۱۱.

۳- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى ۱۳۴: ۵، تحقيق و تعليق عبدالله بن إبراهيم الأنصارى، والسيد عبدالعال السيد إبراهيم، قطر: على نفقة الشيخ خليفة بن حمدآل ثانى، عام ۱۴۰۸ ه-/ ۱۹۸۷ م.

ص: ۹۳

روايات ضعيفة لأمر مّا، و لايكون هذا حاملًا له على الأخذ بها، أو حكايتها لتضعيف الرأى القوى الصحيح.

من المؤرخين من يطلق الروايهٔ، ومنهم من يكون أكثر دقهٔ، فيسقط من الاعتبار ما لم تشهد له الشواهد، أو الوقائع بادئ ذى بدء، ومن عرض لها يرتد لها فيزيفها، ويبطلها من اعتباره، ثم يبين فى النهايهٔ الراجح من تلك الأقوال؛ و بهذا يستقيم لهم المنهج التاريخى كاملًا؛ من هذه المدونات:

* كتاب (الاستيعاب فى أسماء الأصحاب)

تأليف: العلامهٔ المحدث أبى عمريوسف بن عبد الله بن‌محمدبن عبدالبرّ (ت ۴۶۳ ه‍/ ۱۰ (ع) ۰ م) جاء فيه فيما يتصل بمكان ولادهٔ رسول الله (ص)؛ «قال الزبير: حملت به أمّه (ص) أيام التشريق فى شعب أبى طالب عند الجمرهٔ الوسطى، وولد (ص) بمكهٔ فى الدار التى كانت تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج». (۱)* كتاب (الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرهٔ النبويهٔ لابن هشام)

تأليف العلامهٔ الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن‌عبد الله السهيلى (ت ۵۸۱ ه‍/ ۱۱۸۵ م)، فقد ذكر «أنّ النبى (ص) ولد بالشعب، وقيل: بالدار التى عند الصفا، وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج، ثم بنتها زبيدهٔ مسجداً حين حجّت ...». (۲) صدّر حديثه عن مكان ولادهٔ الرسول (ص) بالقول الراجح كما هى عادهٔ المؤلفين، ثم ثنّى بالقول الآخر المرجوح، وهو أنه «ولد بالدار التى عند الصفا» فمن ثم أعقبها بقوله: «وقيل»، وهى للتمريض والتضعيف.

من علماء السيرهٔ النبويهٔ من لم يكتف بعرض الأقوال فقط، بل فحص تلك الروايات، ورجح الصحيح منها، ومنهم من لم يتعرض إلى الأقوال الضعيفهٔ بتاتاً، بل أثبت الصحيح الراجح، و لم يلتفت إلى الأقوال الضعيفهٔ، من هؤلاء:

* كتاب (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدهٔ والمتاع)

تأليف: العلامهٔ المؤرخ تقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت ۸۴۵ ه‍/ ۱۴۴۱ م)، وفيه يقول:

«ولد محمد (ص) بمكهٔ فى دار عرفت بدار ابن يوسف من شعب بنى هاشم يوم الإثنين لاثنتى عشرهٔ خلت من ربيع الأول ...». (۳)* كتاب (سبل الهدى والرشاد فى سيرهٔ خير العباد)

تأليف: العلامهٔ الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ۹۴۲ ه‍/ ۱۵۳۵ م)؛ ذكر القول الراجح الذى عليه الجمهور فى «الفصل الثانى: فى مكان ولادته (ص)، هل ولد بمكهٔ، أوغيرها، و الصحيح الذى عليه

۱- الهامش الأسفل من كتاب الإصابهٔ فى تمييز الصحابهٔ، الطبعهٔ الأولى، ۱۳: ۱، مصر: المكتبهٔ الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، عام ۱۳۵۸ ه‍/ ۱۹۳۹ م.

۲- الطبعهٔ الأولى، ۱۰۷: ۱، مصر: مطبعهٔ الجماليهٔ، عام ۱۳۳۲ ه‍/ ۱۹۱۴ م.

۳- الطبعهٔ الأولى، ۳: ۱، تصحيح محمود محمد شاكر، القاهرهٔ: لجنهٔ التأليف والترجمهٔ والنشر، عام ۱۹۴۱ م.

ص: ۹۴

الجمهور هو الأول، ثم ذكر الأقوال الضعيفة عن مكان ولادته (ص) فی مكة، وقدم الصحيح الراجح من تلك الأقوال فی شیء من التفصيل، و لايعدو ذكر الأقوال الأخرى التی ضعّفها جمهور العلماء فيقول: «وعليه فاختلف فی مكانه من مكة على أقوال: أحدها: فی الدار التی فی الزقاق المعروف بزقاق المولد فی شعب مشهور بشعب بنی هاشم، وكانت بيد عقيل، قال ابن الأثير: «قيل: إنّ رسول الله (ص) وهبها عقيل بن أبی طالب، فلم تزل بيده حتى توفی عنها، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخی الحجاج، وقيل: إنّ عقيلًا باعها بعد الهجرة تبعاً لقريش حين باعوا دور المهاجرين.

الثانی: أنّه (ص) ولد فی شعب بنی هاشم. حكاه الزبير.

الثالث: أنه ولد (ص) بالردم.

الرابع: أنه ولد (ص) بعسفان. (۱) فيما يتعلق بالمنهج العلمی فی التعامل مع عرض الأقوال، يقول الدكتورعبدالله بن ضيف الله الرحيلی: «إنّ من التدقيق ما يكون خروجاً عن منهج التدقيق والتمحيص، وذلك حينما يكون التدقيق- مثلًا- اتباعاً للاحتمالات الضعيفة، وإسقاطاً للاحتمالات الراجحة، أو الثابتة بالأدلة والمنهج!

إنّ الأخذ بالاحتمالات الضعيفة اتجاه بغير دليل، وإنّ الحكم للاحتمالات الضعيفة فی مقابل الاحتمالات الراجحة، أو الأدلة الراجحة عدول عن منهج التحقيق والتثبت، ولو بدا ظاهر الأمر أنه تدقيق. (۲)***

۴. المتواتر من الأماكن المأثورة فی مدوّنات التاريخ المكّی الخاص

لم يخل كتاب فی تاريخ مكة المكرمة سواء من تأليف المتقدمين أو المتأخرين إلى القرن الرابع عشر- إلّا ما ندر- من تخصيص فصل خاص بالأماكن المأثورة فی مكة المكرمة، و إنخلت بعض كتب المتأخرين منها فلأسباب فكرية تخيم على الوسط العلمی لا تحبذ مثل هذا، فخلت منها تجنباً لإشكالات فكرية عقدية لا تحمد عقباها، يتحقق التدوين لهذه الأماكن المأثورة فی مجموعة مختارة إجمالًا فی الكتب التالية:

كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار) من تأليف العلامة أبی الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقی (ت ۲۲۳ ه-/ ۸۳ (ع) م)؛ وكتاب (أخبار مكة فی قديم الدهر وحديثه) من تأليف الإمام أبی عبدالله محمد بن إسحاق الفاكهی، من علماء القرن الثالث الهجری/ التاسع الميلادی، وثالثة الأثافی من المؤلفين المكيين فی هذا القرن، الزبير بن بكار، وقد جاء التنويه عن أهمية كتابات هؤلاء المؤرخين؛ يقول الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة:

«عاش فی مكة خلال القرن الثالث الهجری ثلاثة من كبار المؤرخين المكيين هم: الأزرقی، والفاكهی، والزبير بن بكّار؛ و كان للأزرقی فضل السبق والتأصيل، وللفاكهی فضل سعة الجمع والإضافة، وللزبير بن

۱- الطبعة الأولى، ۴۰۸: ۱، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامی، عام ۱۳۹۲ ه-/ ۱۹۷۲ م.

۲- توثيق السنة النبوية و عناية السلف به ملامح عن المنهج و دلائله، ومظاهره، وأثره، الطبعة الأولی: ۸۶ معلومات النشر: د، عام ۱۴۲۸ ه-/ ۲۰۰۷ م.

ص: ۹۵

بكّار فضل تأريخ الحوادث، ودقائق الأخبار، والنوادر، مع كثرة ما كتبه عن أخبار مكة، وأبنائها، وأخبار غيرها؛ وأبو الوليد الأزرقی المحدث المكی روى عن تلاميذ ابن عباس، وعن وهب بن منبه راوی الأخبار، وابن إسحاق صاحب السيرة، كان جده أحمد ابن محمد الأزرق (ت ۲۱۹ ه-، أو ۲۲۲ ه-/ ۸۳۴ أو ۸۳۶) جمع من أخبار مكة كثيراً، استفاد منه حفيده أبو الوليد، وصنف كتابه هذا».

يضيف الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة فی التعريف بكتاب العلامة الأزرقی قوله:

«كتاب تاريخ مكة للأزرقی، هو كتاب جامع بين منهج المحدثين فی الرواية والسند، ومنهج المؤرخين فی عرض الأخبار والفضائل، ووصف المظاهر الحضارية، والعمرانية، وغيرها؛ سبق الأزرقی بوضع أول كتاب جامع لتاريخ مكة، وأخبارها، وفضائلها، وأحوال مبانيها، وخططها، وأحيائها، ومنشآتها المعمارية، والحضارية، ومساجدها، وأسواقها، وآبارها، وعيونها، وجبالها، وأوديتها». (۱) وفی التعريف بكتاب الإمام الفاكهی يقول الأستاذ الدكتور الهيلة:

«يعتبر هذا الكتاب من أهم وأوسع الكتب القديمة التی ألفت فی تاريخ مكة وأخبارها، وفضائلها، فقد سار فيه الفاكهی على منهج موسوعی، كثرت رواياته، وتنوعت مصادره، وسلك مسلك المحدثين فی الرواية من حيث السند، واختيار الرواة، وضبط النصوص، والأمانة فی الرواية مع عزو الأخبار، وذكر المصادر، معتمداً فی رواية أخبار حوادث مكة على روايات أهل مكة ممن يسميهم أحياناً، ومن لايسميهم أحياناً أخرى ... وقد ظل كتاب الفاكهی، مع كتاب الأزرقی من أهم المصادر التی نهلت منها كتب تاريخ مكة، وفضائلها على مرّ الأزمان، ومختلف العصور، ونقلت عنها مباشرة، أو بواسطة تأليف أخرى نقلت عنها ...». (۲) يأتی الآن دور عرض ما احتواهما هذان الكتابان المهمان فيما يتصل بموضوع البحث:

* أولًا: كتاب (أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار)

تأليف: شيخ المؤرخين المكّيين، العلامة أبی الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقی (ت ۲۲۳ ه-/ ۸۳ (ع) م).

ورد لديه موضوع الآثار الإسلامية التاريخية فی مكة المكرمة تحت عنوان:

(ذكر المواضع التی يستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة، وما فيها من آثار النبی (ص)، وما صح من ذلك)، ثم عيّنها، و حدّد أماكن وجودها، وما يتعلق بها من أحداث، مع الكشف عن صحة نسبتها، وهو حين يقدم قائمة هذه الأماكن، يوثقها بأحداثها، والمناسبة التی جعلت من المكان معلماً تاريخياً، ولا يكتفی بهذا، بل يختبر تلك الروايات، ويفحصها فحص المؤرخ الدقيق، بكل ما يمكن أن يكشف الحقيقة، فيؤكد الصحيح، ويزيف الضعيف، ويرفض بعضاً منها.

وفی شرح منهجه يقول الأستاذ الدكتور محمد الحبيب الهيلة:

۱- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجری إلى القرن الثالث عشر، الطبعة الأولى: ۱۶- ۱۵ لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامی، عام ۱۹۹۴ م.

۲- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجری إلى القرن الثالث عشر: ۲۱- ۲۲.

ص: ۹۶

«و كـان كثيراً مـا يعرض الخبر من مصـدرين مختلفين، ثم يجرى على النصين نقـداً داخلياً، فيخرج بالنتيجـة التى يصل إليها عن طريق الاسـتدلال المنطقى، وقد عرض كثيراً من الأسانيد فى إيراد الأحاديث والآثار». (۱) ففى ثبت هذه الأماكن التاريخية، وعلى منهجه فى فحص الروايات يثبت لديه ما لاشک فيه من هذه الأماكن:

۱. مولد النبى (ص).

۲. منزل السيدة خديجة أمّ المؤمنين (س).

۳. دار الأرقم بن أبى الأرقم.

۴. مسجد بأعلى مكة عند الردم، عند بئر جبير بن مطعم.

۵. مسجد الجن.

۶. مسجد الشجرة بأعلى مكة.

(ع). مسجد بأعلى مكة، عند سوق الغنم، عند قرن مسقلة.

۸. مسجد السّرر.

۹. مسجد بعرفة عن يمين الموقف.

۱۰. مسجد الكبش بمنى.

۱۱. مسجد بذى طوى.

۱۲. غار حراء.

۱۳. غار ثور.

۱۴. مسجد البيعة بشعب العقبة.

۱۵. مسجد الجعرانة.

۱۶. مسجد التنعيم.

و قد رفض صـحة بعض الأماكن، ونفى نسـبتها إلى أحداث ومناسبات تاريخية نسبت إلى رسولنا محمد (ص)، أو إلى أحد من الرسل والأنبياء السابقين، كسيدنا إبراهيم، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، من هذه الأماكن:

* مسجد بأجياد يقال له: مسجد المتّكا.

* مسجد على جبل أبى قبيس.

قـد بلغت دقـة الإمام الأزرقى حـداً بعيـداً جعله يذهب إلى أبعد من هذا، إذ إنه يناقش بعض الأمور التاريخية داخل ذلک المكان، مما انتشـر بين عامـة الناس، فيكشف عن حقيقته، من ذلک أنه كان يوجد فى منزل السـيدة خديجة (س)، صـفيحة من الحجارة مبنى عليها فى جـدار البيت الـذى كـان يسـكنه النبى (ص)، وكـان بعض النـاس يقولون: إنّ رسول الله (ص) كـان يجلس تحت تلـک الصـفيحة فيستدرى بها من الرمى بالحجارة إذا

۱- التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجرى إلى القرن الثالث عشر: ۱۲۱.

ص: ۹۷

جاءته من دار أبی‌لهب، و دار عدی بن أبی الحمراء الثقفی؛ فتحری الإمام الأزرقی صحة هذا، وتوصل إلی عدم صحتها.

هـذه الدقّة العلمیـة، والحرص علی توخی صـحة الروایـة، والمکان، والحـدث، نشاهدها فی العرض التاریخی فی کتابه النفیس، مبتدئاً هذه القائمة ب-:

۱. «مولد النبی ۹، أی البیت الـذی ولد فیه النبی ۹: وهو فی دار محمـد بن یوسف أخی الحجـاج بن یوسف، کان عقیل بن أبی طالب أخذه حین هاجر النبی ۹، و فیه وفی غیره یقول رسول الله ۹ عام حجةالوداع، حین قیل له: أین تنزل یا رسول الله؟ قال ۹: وهل ترک لنا عقیل من ظلّ! فلم یزل بیـده وبید ولده حتی باعه ولده من محمد بن یوسف، فأدخله فی داره التی یقال لها البیضاء، وتعرف الیوم بابن یوسف، فلم یزل ذلـک البیت فی الـدار حتی حجّت الخیزران أمّ الخلیفتین موسـی وهـارون، فجعلته مسـجداً یصـلی فیه، وأخرجته من الدار، وأشرعته فی الزقاق الذی فی أصل تلک الدار، یقال له زقاق المولد.

حدثنا أبو الولید، قال: سمعت جدی ویوسف بن محمد یثبتان أمر المولد، وأنّه ذلک البیت لا اختلاف فیه عند أهل مکة.

حـدثنا أبو الولیـد، قال: حدثنی رجل من أهل مکة، یقال له سـلیمان بن أبی مرحب، مولی بنی‌خیثم، قال: حدثنی ناس کانوا یسـکنون ذلـک البیت، قبـل أن تشـرعه الخیزران من الـدار، ثم انتقلوا عنه حین جعـل مسـجداً، قـالوا: لاـ والله ما أصابتنا فیه جائحـة، ولا حاجـة، فأخرجنا منه فاشـتد الزمان علینا». (۱) و من فضل الله أنّ هـذا المنزل المبارک قد وظف توظیفاً شـرعیاً، فأصـبح منارة علمیة یأوی إلیها العلماء والباحثون، بحیث أصـبح یضم أنفس المکتبات الخاصـة لعلماء البلـد الحرام، تجمع نفائس المخطوطات والمطبوعات، وسـیأتی الکلام عن هذا بالتفصیل.

۲. «ومنزل خدیجـة ابنـة خویلد زوج النبی (ص)، وهو البیت الذی کان یسـکنه رسول الله (ص) وخدیجة، وفیه ابتنی بخدیجة، وولدت فیه خدیجـة أولادها جمیعاً، وفیه توفیت خدیجـة فلم یزل النبی (ص) ساکناً فیه، حتی خرج إلی المدینـة مهاجراً، فأخـذه عقیل بن أبی طالب، ثم اشتراه منه معاویة، و هو خلیفة، فجعله مسجداً یصلی فیه، و بناه بناءه هذا، وحدّ الحدود التی کانت لبیت خدیجة لم تغیر فیما ذکر عن من یوثق به من المکیین، وفتح معاویة فیه باباً من دار أبی سفیان بن حرب، وهو قائم إلی الیوم، وهی الدار التی قال رسول الله (ص) یوم الفتح: «من دخل دار أبی سـفیان فهو آمن»، وهی الدار التی یقال لها الیوم: دار ریطة بنت أبی العباس أمیر المؤمنین». (۲) ۳. ومسـجد فی دار الأـرقم بن أبی الأرقم المخزومی التی عنـد الصـفا، یقال لها دار الخیزران، کان بیتاً، وکان رسول الله (ص) مختبیاً فیه، وفیه أسلم عمر بن الخطاب. (۳)

۱- أخبار مکـة وما جاء فیها من الآثار، الطبعـة الثالثة، دراسة وتحقیق رشدی ملحس ۱۹۹: ۲ مکةالمکرمة، مطابع دار الثقافة ۱۳۹۸ ه‍/ ۱۹۷۸ م.

۲- أخبار مکة و ما جاء فیها من الآثار، ۱۹۹: ۲.

۳- المصدر السابق، ۲۰۰: ۲.

ص: ۹۸

یستمرّ الإمام أبوالولید الأزرقی فی سرد حدیثه عن الأماکن التاریخیة المأثورة فی عصره، وقد بلغت ثمانیة عشر موقعاً یتم سردها علی النحو التالی:

۴. مسجد بأعلی مکة عند الردم، عند بئر جبیر بن مطعم، یقال: إنّ النبی (ص)، صلی فیه، وقد بناه عبد الله بن عبید الله بن العباس بن محمد بن علی بن عبد الله بن عباس، وبنی عنده جنبذاً، (۱) یسقی فیه الماء.

۵. و مسجد بأعلی مکّة أیضاً، یقال له: مسجد الجن، وهو الذی یسمیه أهل مکة مسجد الحرس، وإنما سمّی مسجد الحرس: أنّ صاحب الحرس کان یطوف بمکة حتی إذا انتهی إلیه، وقف عنده ولم یجزه، حتی یتوافی عنده عرفاؤه وحرسه، یأتونه من شعب بنی عامر، ومن ثنیة المدنیین، فإذا توافوا عنده رجع منحدراً إلی مکة، وهو فیما یقال له: موضع الخط الذی خط رسول الله (ص) لابن مسعود لیلة استمع إلیه الجن، وهو یسمی مسجد البیعة، یقال إنّ الجن بایعوا رسول الله (ص) فی ذلک الموضع.

۶. ومسجد یقال له مسجد الشجرة، بأعلی مکة فی دبر دار منارة، بحذاء هذا المسجد، مسجد الجن؛ یقال: إنّ النبی (ص) دعا شجرة کانت فی موضعه، وهو فی مسجد الجن، فسألها عن شیء، فأقبلت تخطّ بأصلها وعروقها الأرض، حتی وقفت بین یدیه، فسألها عما یرید، ثم أمرها فرجعت، حتی انتهت إلی موضعها.

(ع). ومسجد بأعلی مکة عند سوق الغنم عند قرن مسقلة، (۲) ویزعمون أنّ عنده بایع النبی (ص) الناس بمکة یوم الفتح.

حدثنا أبو الولید قال: حدثنی جدی عن الزنجی، عن ابن جریج، حدثنا عبد الله بن عثمان خیثم أنّ محمد بن الأسود ابن خلف الخزاعی أخبره أنّ أباه الأسود حضر رسول الله (ص) عند قرن مسقلة بالمعلاة، قال: فرأیت النبی (ص) جاءه الرجال والنساء والصغار والکبار، فبایعهم علی الإسلام والشهادة، قال: قلت: وما الشهادة؟ قال محمد بن الأسود: شهادة أن لا إله إلا الله، و أنّ محمداً عبده و رسوله.

۸. و مسجد السّرَر: وهو المسجد الذی یسمیه أهل مکة: مسجد عبدالصمد بن علی، کان بناه.

۹. و مسجد بعرفة، عن یمین الموقف، یقال له مسجد إبراهیم، ولیس بمسجد عرفة الذی یصلی فیه الإمام.

۱۰. ومسجد الکبش بمنی.

۱۱. ومسجد بأجیاد، وموضع فیه یقال له (المتّکا)، سمعت جدی أحمد بن محمد، ویوسف بن محمد بن إبراهیم یسألان عن المتکا، وهل یصح عندهما أنّ النبی (ص) اتکی فیه؟

۱- معنی الجنبذ کما یذکره الزبیدی الجنبذة، وقد تفتح الباء أی مع ضم الجیم علی کل حال، أو هو لحن، وقد حکی الجوهری الفتح من العامة، وهو: ما ارتفع من الشیء واستدار کالقبة. قلت و هو فارسی معرب، وأصله: گنبد، وفی المحکم: والجنبذة: المرتفع من کل شیء، وما علا من الأرض، واستدار، ومکان مجنبذ: مرتفع، وهی صفة الجنة، ووسطها جنابذ من ذهب وفضة یسکنها قوم أهل الجنة کالأعراب فی البادیة ...، الزبیدی، محمد مرتضی الحسینی، تاج العروس، دراسة وتحقیق علی شیری ۳۵۳: ۵ بیروت: دارالفکر للطباعة والنشر والتوزیع، عام ۱۴۱۴ ه-/ ۱۹۹۴ م، مادة جنبذ.

۲- «بین شعب ابن عامر و حرف دار رائعة فی أصله، قال ابن ظهیرة: وهذا المسجد لایعرف الآن» رشدی ملحس، تحقیق کتاب أخبار مکة للأزرقی، ۲۰۱: ۲، هامش ۵.

ص: ۹۹

فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان: لم نسمع به من ثبت؛ قال لی جدی: سمعت الزنجی مسلم بن خالد، وسعيد بن سالم القداح وغيرهما من أهل العلم يقولون: إنّ أمر المتّكا ليس بالقوی عندهم، بل يضعفونه، غير أنه يثبتون أنّ النبی (ص) صلی بأجياد الصغير، لايثبت ذلك الموضع، ولا يوقف عليه، قال: و لم أسمع أحداً من أهل مكة يثبت أمر المتّكا.

۱۲. مسجد علی جبل أبی قبيس، يقال له: مسجد إبراهيم، سمعت يوسف بن محمد بن إبراهيم يسأل عنه: هل هو مسجد إبراهيم خليل الرحمن؟ فرأيته ينكر ذلك، ويقول:

إنما قيل هذا حديثاً من الدهر، لم أسمع أحداً من أهل العلم يثبته.

قال أبو الوليد: وسألت جدی عنه فقال لی: متی بنی هذا المسجد؟ إنما بنی حديثاً من الدهر، ولقد سمعت بعض أهل العلم من أهل مكة يسأل عنه: أهذا المسجد مسجد إبراهيم خليل الرحمن؟ فينكر ذلك، ويقول: بل هو مسجد إبراهيم القبيسی، لإنسان كان فی جبل أبی قبيس ساسی يسأل عنده.

فقلت لجدی: فإنی سمعت بعض الناس يقول: إنّ إبراهيم خليل الرحمن حين أمر بالأذان فی الناس بالحج، صعد علی جبل أبی قبيس فأذن فوقه، فأنكر ذلك، وقال: لا لعمری ما بين أصحابنا اختلاف، إنّ إبراهيم خليل الرحمن حين أمر بالأذان فی الناس بالحج، قام علی مقام إبراهيم، فارتفع به المقام حتی صار أطول من الجبال، وأشرف علی ما تحته، فقال: أيها الناس أجيبوا ربّكم، قال: وقد كنت ذكرت ذلك عند موضع ذكر المقام مفسراً.

۱۳. مسجد بذی طوی: بين ثنية المدنيين المشرفة علی مقبرة مكة، وبين الثنية التی تهبط علی الحصحاص، وذلك المسجد بنته زبيدة بأزج.

حدثنا أبو الوليد قال: حدثنی جدی، أخبرنا الزنجی عن ابن جريج، عن موسی بن عقبة أنّ نافعاً حدثه أنّ عبدالله بن عمر أخبره أنّ رسول الله (ص)، كان ينزل بذی طوی حين يعتمر، وفی حجته حين حج (ص) تحت سمرة فی موضع المسجد.

حدثنا أبو الوليد قال: وحدثنی جدی، أخبرنا مسلم، عن ابن جريج، قال: وحدثنی نافع أنّ ابن عمر حدثه أنّ رسول الله (ص) كان ينزل بذی طوی، فيبيت به حتی يصلی الصبح حين يقدم مكة، ومصلّی رسول الله (ص) ذلك علی أكمة غليظة ليس بالمسجد الذی بنی ثم، ولكنه أسفل من الجبل الطويل الذی قبل باب الكعبة، يجعل المسجد الذی بنی بيسار المسجد بطرف الأكمة، ومصلّی رسول الله (ص) أسفل منه علی الأكمة السوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع، أو نحوها بيمين، ثم يصلی مستقبل الفرضين من الجبل الطويل الذی بينه وبين الكعبة.

۱۴. ذكر حراء وما جاء فيه: حدثنا أبو الوليد قال: حدثنی مهدی بن أبی المهدی، حدثنا عبد الله بن معاذ الصنعانی، عن معمر، أخبرنی الزهری عن عروة عن عائشة، أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله (ص) من الوحی الرؤيا الصادقة فی النوم، فكان لايری رؤيا إلّا جاءته مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يأتی حراء فيتحنث فيه- وهو التعبد والتبرر الليالی ذوات العدد- و يتزود لذلك، ثم يرجع إلی خديجة ابنة خويلد، فيتزود بمثلها حتی فجأه الحق، وهو فی غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: إقرأ، قال:

ص: ۱۰۰

فقلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: إقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذنى فغطنى الثانية، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: إقرأ، فقلت: ما أقرأ؟ فقال:

إقْرَأ بِاسْمِ ربِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ* إقْرَأ وَربُّکَ الأکْرَمُ* الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَم ...، حتى بلغ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

۱۵. ذکر (ثور) وما جاء فيه: حدثنا أبو الوليد: حدثنى محمد بن أبى عمر العدنى، عن سعيد بن سالم القداح، عن عمر بن جميل الجمحى، عن ابن أبى مليكة: أنّ النبى (ص) لما خرج هو وأبو بكر إلى ثور، جعل أبوبكر يكون أمام النبى (ص) مرة، وخلفه مرة، قال: فسأله النبى (ص) عن ذلک فقال: إذا كنت أمامک خشيت أن تؤتى من خلفک، وإذا كنت خلفک خشيت أن توتى من أمامک حتى انتهينا إلى الغار، وهو فى ثور، قال أبوبكر: كما أنت، حتى أدخل يدى فأجسه، فإن كان فيه دابة أصابتنى قبلک، قال: وبلغنى أنه كان فى الغار جحر، فألقم أبوبكر رجله ذلک الجحر، فرَقا أن يخرج منه دابة، أو شيء يؤذى رسول الله (ص).

۱۶. ذکر مسجد البيعة: قال حدثنا أبو الوليد قال: حدثنى جدى، قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن عبد الله بن عثمان بن خيثم، عن أبى الزبير محمد بن مسلم، أنّه حدثه جابر بن عبد الله الأنصارى: أنّ رسول الله (ص) لبث بمكة عشر سنين، يتبع الحاج فى منازلهم فى الموسم بمجنة، وعكاظ، ومنازلهم بمنى يقول: من يؤوينى، وينصرنى حتى أبلغ رسالة ربى وله الجنة، فلا يجد أحداً يؤويه حتى إنّ الرجل يرحل صاحبه من مضر، أو اليمن فيأتيه قومه، أو ذو رحمه فيقولون: إحذر فتى قريش، لايفتنک يمشى بين رجالهم، يدعوهم إلى الله، يشيرون إليه بأصابعهم، حتى بعثنا الله له من يثرب، فيأتيه الرجل منا فيؤمن به، ويقرئه القرآن، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه، حتى لم يبق دار من دور يثرب، إلّا وفيها منا رهط من المسلمين يظهرون الإسلام، ثم بعثنا الله له فأتمرنا، واجتمعنا سبعين رجلًا منا، فقلنا: حتى متى ندع رسول‌الله (ص)، يُطرد فى جبال مكة ويخاف!؟

فرحلنا حتى قدمنا عليه فى الموسم، فتواعدنا شعب العقبة، واجتمعنا فيه من رجل، ورجلين حتى توافينا عنده، وقلنا: يا رسول الله على ما نبايعک؟ قال: تبايعونى على السمع والطاعة فى النشاط والكسل، وعلى النفقة فى العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وعلى أن تقوموا فى الله لا تأخذكم فى الله لومة لائم، وعلى أن تنصرونى إذا قدمت عليكم يثرب، فتمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم، وأبناءكم، وأزواجكم، ولكم الجنة.

فقمنا إليه نبايعه، فأخذ بيده أسعد بن زرارة، وهو أصغر السبعين رجلًا إلّا أنا، فقال: رويداً يا أهل يثرب، إنا لم نضرب إليه أكباد المطى إلّا ونحن نعلم أنه رسول الله (ص) إنّ إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة، وقتل خياركم، وأن تعضكم السيوف، فإما أنتم قوم تصبرون على عض السيوف إذا مستكم، وعلى قتل خياركم، ومفارقة العرب كافة، فخذوه وأجركم على الله، وإما أنتم قوم تخافون على أنفسكم خيفة فذروه، فهو أعذر لكم عند الله.

قالوا: أمط عنا يدک يا أسعد بن زرارة، فوالله لا نذر هذه البيعة، ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلًا رجلًا، يأخذ علينا شرطه، ويعطينا على ذلک الجنة.

ص: ۱۰۱

۱ (ع). مسجد الجعرانة: جاء عند الأزرقی: حدثنا عمرو بن دینار، عن عکرمة عن ابن عباس، أنّ رسول الله (ص) اعتمر أربع عمر: عمرة الحدیبیة، وعمرة القضاء من قابل، والثالثة من الجعرانة، والرابعة التی مع حجته.

قال: حدثنا أبو الولید، قال: حدثنی جدی عن الزنجی، عن ابن جریج، قال: أخبرنی زیاد أنّ محمد بن طارق أخبره أنه اعتمر مع مجاهد من الجعرانة، وأحرم من وراء الوادی حیث الحجارة المنصوبة، قال: من هاهنا أحرم النبی (ص) وإنی لأعرف أول من اتخذ هذا المسجد علی الأکمة، بناه رجل من قریش سمّاه، واشتری مالًا عنده نخلًا، فبنی المسجد؛ قال ابن جریج: فلقیت أنا محمد بن طارق، فسألته فقال: اتفقت أنا ومجاهد بالجعرانة فأخبرنی أنّ المسجد القصی الذی من وراء الوادی بالعدوة القصوی، مصلّی النبی (ص) ما کان بالجعرانة، قال: فأما هذا المسجد الأدنی، فإنما بناه رجل من قریش، واتخذ ذلک الحائط ...

۱۸. مسجد التنعیم: حدثنا أبو الولید، قال: حدثنی جدی، قال: حدثنا داود بن عبد الرحمن العطار، عن ابن خیثم، عن یوسف بن ماهک، عن حفصة بنت عبد الرحمن بن أبی بکر، أنّ رسول الله (ص) قال لعبدالرحمن: أردف أختک- یعنی عائشة- فأعمرها من التنعیم، فإذا هبطت بها الأکمة فمرها فلتحرم، فإنها عمرة متقبلة.

قال حدثنا أبو الولید، حدثنی جدی، قال: حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن جریج، قال: رأیت عطاء یصف الموضع الذی اعتمرت منه عائشة: قال: فأشار إلی الموضع الذی ابتنی فیه محمد بن علی الشافعی المسجد الذی وراء الأکمة، وهو المسجد الخراب.

قال الخزاعی: ثم عمّره أبوالعباس عبد الله بن محمد بن داود، وجعل علی بئره قبة، وهو أمیر مکة، ثم بنته العجوز وجودته، وأحسنت بناءه فی سنة. (۱) یلاحظ فی السیاق السابق دقة الإمام الأزرقی العلمیة، وتحقیقه الصحیح من الروایات، وبیان ما تصح نسبته إلی التاریخ النبوی الشریف، والتثبت منه کما هو مشهور، ومعروف عنه؛ فقد انتشر کتابه هذا بین الناس بسبب دقته، وتنوع أخباره، وصحة أسانیده؛ فمن ثم بقی مصدراً رئیساً للمؤرخین والرحالة، وأصحاب المناسک، وکتب الفضائل، حتی إنّ القارئ لایکاد یجد واحداً من المؤلفین فی الموضوع لم یعتمده فی النقل، والإحالة علیه مباشرة فی أغلب الأحیان، وبواسطة الناقلین عنه أحیاناً أخری. (۲)* ثانیاً: کتاب (أخبار مکة فی قدیم الدهر وحدیثه)

تألیف: أبو عبد الله محمد ابن إسحاق الفاکهی، المتوفی (عام ۲۴۵ ه-/ ۸۵۹ م). (۳) خصص باباً بعنوان: (المواضع التی یستحب فیها الصلاة بمکة وآثار النبی (ص) فیها وتفسیر ذلک).

۱- أخبار مکة وما جاء فیها من الآثار، ۱۹۸: ۲- ۲۰۹.

۲- الهیلة، محمدالحبیب، التاریخ والمؤرخون بمکة: ۱۶.

۳- الطبعة الأولی، دراسة وتحقیق عبدالملک بن عبدالله بن دهیش، مکة المکرمة: مطبعة النهضة الحدیثة، عام ۱۴۰۷ ه-/ ۱۹۸۷ م ۵: ۴- ۳۶.

ص: ۱۰۲

ذكر تسعة عشر موضعاً وافق فی بعضها سلفه العلامة الأزرقی، وزاد علیه مواضع أخری، جاء ذكر هذه المواضع كالتالی:

۱. البیت الذی ولد فیه رسول الله (ص) فی دار أبی یوسف، ولم یزل هذا البیت فی الدار حتی قدمت الخیزران أمّ الخلیفتین: موسی وهارون، فجعلته مسجداً یصلی فیه، وأخرجته من الدار، وزعم بعض المكیین أنّ رجلًا من أهل مكة یقال له: سلیمان بن أبی مرحب كان یذكر: أنّ ناساً سكنوا هذا البیت، ثم انتقلوا منه، قالوا: (والله ما أصابتنا فیه حاجة، ولاجائحة قط، فلما خرجنا منه اشتد علینا الزمان). وهو من أصحّ الآثار عند أهل مكة، یحقق ذلك مشایخهم.

۲. بیت النبی (ص): وهو المنزل الذی كانت تنزله خدیجة بنت خویلد (س) و فیه كان مسكن رسول الله (ص)، وفیه ابتنی (ص) بها، وولدت فیه خدیجة (س) أولادها جمیعاً، وفیه توفیت رضی الله عنها، فلم یزل رسول الله (ص) ساكناً فیه حتی خرج زمن الهجرة، فأخذه عقیل بن أبی طالب رضی الله عنه، فیما أخذه، فاشتراه معاویة وهو خلیفة، فاتخذه مسجداً یصلی فیه وبناه بناءاً جیّداً.

وحدوده الحدود التی كانت لبیت خدیجة (س) لم تغیر، غیر أن معاویة بن أبی سفیان، لما بناه فتح فیه باباً من دار أبی سفیان بن حرب بن أمیة، و هی الدار التی قال رسول الله (ص) فیها یوم الفتح: «من دخل دار أبی سفیان فهو آمن»، وهی التی عرفت فی زمن الفاكهی برائطة بنت أبی العباس ...

۳. الموضع الذی بأجیاد الصغیر، وهو الذی كان یقال له (المتّكا).

۴. مسجد دار الأرقم بن أبی الأرقم المخزومی: عند الصفا فی الدار التی تعرف بالخیزران، كان رسول الله (ص) مختفیاً فیها، وفیه أسلم عمر بن الخطاب، وكان النبی (ص) یدعو فیها إلی الإسلام.

۵. مسجد بعرفة عن یمین الإمام فی الموقف، یقال له: مسجد إبراهیم، و لیس بمسجد عرفة؛ حدثنا علی بن المنذر الكوفی قال: ثنا ابن فضیل، قال: ثنا یزید بن أبی زیاد، قال: خرجنا مع مجاهد نسیر حتی إذا خرجنا من الحرم نحو عرفات، قال: هل لكم فی مسجد كان ابن عمر یستحب أن یصلی فیه؟ قال: قلنا: نعم، فصلینا فیه، ثم قال: لقد صلّی فیه سبعون نبیاً كلّهم یؤم الخیف.

۶. مسجد الكبش الذی بمنی: وإنّما سمی مسجد الكبش، لأنّ الكبش الذی ذبح إبراهیم فداء إسماعیل صلوات الله علی محمد وعلیهما وسلم، نزل علیه فی موضع المسجد.

(ع). مسجد بأعلی مكة، عند الردم الأعلی عند بئر جبیر بن مطعم بن عدی بن نوفل، ویقال لها: البئر العلیا، یقول: إنّ النبی (ص) صلّی فیه.

عن عبد الرحمن بن كیسان قال: حدثنی أبی: قال: رأیت النبی (ص) یصلی الظهر والعصر، متلبساً بثوب عند البئر العلیا.

وقد بنی هذا المسجد عبد الله بن عبید الله بن العباس بن محمد، وبنی جنیبذاً، إلی جنبه حوضاً یسقی فیه الماء.

وسمعت بعض أهل مكة من الفقهاء یقول: كان الناس لا یجاوزون فی السكن فی قدیم الدهر هذه البئر، إنما كان الناس فیما دونها إلی المسجد، وما فوق ذلك خال من الناس.

ص: ۱۰۳

۸. مسجد بأعلی مکة، یقال له: مسجد الحرس، وهو الذی یعرف به الیوم، وإنّما سمی مسجد الحرس، لأنّ صاحب الحرس بمکة کان یطوف، فیجتمع إلیه أعوانه من شعاب مکة، وأرباعها عند ذلک المسجد، فسمی مسجد الحرس، وهو فی طرف الحجون، وهو مسجد الجن الذی خط فیه رسول‌الله (ص) لعبد الله بن مسعود رضی الله عنه خطاً ...، أما الجن الذین لقوه (ص) بنخلة فجن نینوی، وأما الجن الذین لقوه (ص) بمکة فجن نُصَیَبین.

۹. مسجد البیعة: بیعة الأنصار لیلة العقبة، عقبة منی.

۱۰. مسجد بذی طوی: عند مفترق الطریقین، طریق التنعیم، وطریق جدّة، یقال له: مسجدالنبی (ص).

۱۱. مسجد یقال له: مسجد الشجرة، بأعلی مکة فی دبر دار منارة البیضاء، التی عند سفح الجبل مقابل الحجون، بحذاء مسجد الحرس، کانت فیه شجرة، وأنّ النبی (ص) دعاها من موضعها فجاءته.

۱۲. مسجد یقال له السّرَر: وهو الذی بناه عبدالصمد بن علی؛ عن محمد بن عمران الأنصاری، عن أبیه أنه قال: عدل إلیّ عبد الله بن عمر و أنا نازل تحت سرحة بطریق مکة، فقال: ما أتی بک تحت هذه الشجرة؟ قلت: أردت ظلّها؛ قال: فهل غیر هذا؟ قلت: لا، ما أنزلنی إلّا ذلک؛ قال عبد الله: قال رسول الله (ص): «إذا کنت بین الأخشبین من منی- ونفح بیده نحو المشرق- فإنّ هناک وادیاً یقال له: السّرر، به سرحة نزل تحتها سبعون نبیاً».

۱۳. مسجد عند البرّامین: إلی الجدر الذی یلی دار عمر بن عبدالعزیز، مقابل جدار أبی سفیان، یزعم بعض المکیین أنّ النبی (ص) کان کثیراً مّا یجلس فیه، وکان لبیت خدیجة (س) طریق إلیه إلی جنب دار أبی سفیان.

۱۴. مسجد عند شعب علی بن أبی طالب (ع): یقال: إنه دخل فی دار الحارث بن عبد المطلب، وإنّ النبی (ص) کان یصلی فیه، ویجلس فیه، فالله أعلم کیف ذلک.

۱۵. مسجد بذی طوی: عند ثنیة المدنیین المشرفة علی مقبرة مکة، وبین الثنیة التی تهبط علی الحصحاص، وذلک المسجد بنته زبیدة بأزج. (۱) ۱۶. مسجد الشجرة، حدثنی عبدالله بن أحمد قال حدثنی إبراهیم بن عمرو، قال أخبرنی عبد المجید بن أبی داود عن أبیه قال: زعموا أنّ النبی (ص) صلی فی مسجد الشجرة، یعنی المسجد الذی دون یأجج.

۱ (ع). مسجد فی جبل ثور، فی طریق عرنة علی یسارک، وهو الغار الذی ذکره الله عزّوجلّ فی کتابه یقول:

إِذْ همَا فِي الغارِ إِذْ یقولُ لِصَاحِبه لَا تحَزنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ....

۱۸. مسجد فی جبل حراء، کان رسول الله (ص) یأتیه ویعتکف فیه الأیام. (۲) الدراسة المقارنة:

۱- یذکر المحقق: وهذا المسجد علی یمینک وأنت متجه إلی بئر طوی عند مفترق الطریقین، وقد أزیل فی توسعة الشارع المذکور، الفاکهی، أخبار مکة فی قدیم الدهر و حدیثه، ۲۷: ۴، وانظر لهذا المسجد فی الجزء نفسه: ۳۳.

۲- أخبار مکة فی قدیم الدهر و حدیثه، ۵: ۴- ۳۶.

ص: ۱۰۴

بالمقارنـة بين قائمـة الأمـاكن الإسـلامية التاريخيـة عنـد الأزرقى، والإمام الفاكهى، نجـد أنّ بينهما اتفاقاً على تسـمية بعض الأماكن، و صلتها بالنبى (ص) و التاريخ الإسلامى و هى:

البيت الذى ولد فيه رسول الله (ص).

بيت النبى (ص): وهو المنزل الذى كانت تنزله أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد (س).

دارالأرقم بن أبى الأرقم المخزومى.

مسجد بعرفة عن يمين الإمام فى الموقف، يقال له مسجد إبراهيم وليس بمسجد نمرة.

مسجد الحرس (مسجد الجن) بأعلى مكة.

مسجد البيعة.

مسجد بذى طوى، عند مفترق الطريقين: طريق التنعيم، وطريق جدّة.

مسجد الشجرة بأعلى مكة.

مسجد السرر.

۱۰. جبل ثور.

۱۱. جبل حراء.

هـذه مجموعـة من الأمـاكن، متفق على أنهـا مـأثورة متواترة، لم يحـك فيهـا اختلاـف بين العلمـاء حتى القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى.

و احتوت القائمـة عنـد الإمـام الفاكهى إضافات جديـدة، زيادة على ما هو موجود لـدى الإمام الأزرقى، فـذكر عناوين لبعض الأماكن الإسلامية التى أصبحت مساجد، لعلاقتها التاريخية بالنبى (ص)، و هى:

۱. مسجد عند شعب على بن أبى طالب (ع).

۲. مسجد البرّامين.

يقتضى البحث التاريخى بعد هذا، استقراء هذه الأماكن الإسلامية المأثورة فى مكة المكرمة عبر القرون التالية.

* ثالثاً: كتاب (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام):

للحافـظ أبى الطيب تقى الـدين محمـد بن أحمـد بن على الفاسـى المكى المالكى ((ع) (ع) ۵- ۸۳۲ ه-/ ۱۳ (ع) ۳- ۱۴۲۸ م). (۱)

خصّ الباب الحادى و العشـرين: (فى ذكر الأماكن المباركـة التى ينبغى زيارتها، الكائنـة بمكـة المشـرفة وحرمها وقربه)، و قـد صـنفها أقساماً: مساجد، و دوراً، و جبالًا، و مقابر.

و مما تجـدر الإشارة إليه أنّ الإمام تقى الـدين الفاسـى، جـدد المعلومات عن هـذه الأمكنة، و وصـفها وصـفاً دقيقاً على ما كانت عليه حالها فى زمنه، فقـد جاء فى ثنايا كتابته عن بعضـها فى أكثر من موضع هـذه العبارة: «و كان تحرير ما ذكرناه بحضورى»، مما يقدر له تمام الاهتمام و التحرير و التدقيق.

۱- الطبعة الثانية، تحقيق و مقابلة أيمن فؤاد سيد ومصطفى محمد الذهبى، مكة المكرمة: مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، عام ۱۹۹۹ م.

ص: ۱۰۵

ليس هـذا فحسب، بل إنه يصـحّح الصـحيح منها، ويؤكـده بتحقيقه بالوسائل العلميـة، والنقول المتوافرة لديه، ويضـعّف الضـعيف منها بأسلوب علمى موضوعى، الأمر الـذى يقوى الثقـة فى اعتمـاد كتابـاته، والتسـليم بهـا، ليس غريبـاً من الإمام تقى الـدين الفاسـى، فهو محـدث، فقيه، تولى القضاء بمكـة المكرمة، دوّن فى كتابه ما دوّن من حقائق، بحاسة العالم الذى يحمل أمانة علمية، ينبغى أن يؤديها على وجهها الأكمل، وقد فعل رحمه الله تعالى، فأدى الأمانة بكل صدق وإخلاص.

تجلى هـذا فيمـا ذكره تحت العنوان السـابق فى صـفحات عديـدة يصـعب نقلها كاملـة هنا، و لكن يتمّ الاقتباس لأجزاء منها بما يتفق و أهداف هذا البحث؛ لتقديم صورة واضحة عن هذه الأماكن المأثورة المتواترة لاحقاً عن سابق، فى تواتر علمى سليم، بل إنّ هذا يعدّ من خصائص المدرسة التاريخية المكيّة بالتسلسل من الإمام الأزرقى، نزولًا إلى الإمام تقى الدين الفاسى، و قد جاء العرض على النحو التالى:

«هـذه الأماكن مساجـد، و دور، و جبال، و مقابر، و المساجد أكثر من غيرها، إلّا أنّ بعضـها مشـتهر باسم المولد، و بعضـها باسم الدار، والمقصود ذكره هنا ما اشتهر من ذلك بالمساجد ... فمن ذلك:

۱. مسـجد بقرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الهابط إلى مكـة، ويسار الصاعـد منها، يقال: إنّ النبى (ص) صـلّى فيه المغرب على ما وجدت بحجرين فيه:

أحـدهما بخط عبـد الرحمن بن أبى حرمى، وفيه: أنه عمر فى رجب سـنة ثمان وثمانين وخمسـمائة؛ و فى الآخر أنه عمر فى سـنة سـبع وأربعين وستمائة.

ثم ذكر مساحـة هذا المسـجد، والمسافة بينه وبين جدار باب بنى شـيبة، ثم أردف ذلك بقوله ":وحدّد ذلك بحضورى أيضاً، "..وفى تحقيق هذا الموقع يرد على من يقول: إنه الموقع الذى بايع النبى (ص) الناس عنده يوم الفتح فيقول:

«ويوهم بعض أهل العصـر أنّ هذا المسجد هو المسجد الذى ذكر الأزرقى أنّ عنده قرن مسقلة عند موقف الغنم، وأنّ النبى (ص) بايع الناس عنـده يوم فتـح مكة، على ما يقال، وسـبب هذا التوهم أنّ المسـجد الذى ذكرنا ذرعه، وشـيئاً من خبره يلحق بجبل، و عنده الآن سوق الغنم، وليس هذا التوهم صـحيحاً؛ لأنّ الجبل الذى عنده هذا المسـجد، هو المشـرف على المروة، ويسمى جبل الديلمى، على ما ذكره الأزرقى، وهو فى شق معلَّى مكة الشامى، وقرن مسقلة الذى أشار إليه الأزرقى، ذكره الأزرقى فى شق معلَّى مكة اليمانى.

۲. و من ذلك مسـجد فوقه يقال له: مسـجد الرايـة: وعرفه بـذلك المحب الطبرى فى (القرى)، وهو من المساجد التى صـلى فيها النبى (ص) على مـا يقـال، كما ذكر الأزرقى، وذكر أنّ عبـد الله بن العباس بن محمـد بن على بن عبـد الله بن العباس بناه، و كان فيه لوحان مكتوبان: أحدهما كوفى لايعرف، والآخر فيه أنّ المستعصم العباسـى أمر بعمله فى شـعبان سـنة أربعين وستمائة، وعمره فى أوائل سنة إحـدى وثمانمائـة الأمير قطلبك الحسامى المنجكى، ثم ذكر مساحته ثم عـددها إلى أن قال ":وكان تحرير ذلك بحضورى. "(۱) ۳. ومن ذلـك مسـجد بسوق الليل قرب مولـد النبى (ص) يقال له المختبا: يزوره الناس كثيراً فى صبيحـة اليوم الثانى عشـر من شـهر ربيع الأول من كل سنة، ولم أر من ذكره، ولا عرفت شيئاً من خبره.

۱- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ۴۹۳: ۱.

ص: ۱۰۶

۴. ومن ذلک مسجد بأسفل مکة ینسب لأبی بکر، ویقال: إنه من التی هاجر منها إلی المدینة، والله أعلم.. وهو مکان مشهور بالموضع المشهور بالحجاریة، براء مهملة، بأسفل مکة بالقرب من باب ماجن.

ومن ذلک مساجد خارج مکة من أعلاها منها:

۵. المسجد الذی یقال له مسجد الإجابة علی یسار الذاهب إلی منی، فی شعب بقرب ثنیة أذاخر، وهو مسجد مشهور، یقال: إنّ النبی (ص) صلی فیه، وقد ذکره الأزرقی، وذکر شیئاً من خبر الشعب الذی هو به؛ لأنه قال فیما رویناه عنه بالسند المتقدم: شعب آل قنفذ بن زهیر من بنی أسد بن خزیمة، وهو الشعب الذی علی یسارک، وأنت ذاهب إلی منی من مکة، فوق حائط خرمان، وفیه الیوم دار الخلیفتین من بنی مخزوم، وفی هذا الشعب مسجد مبنی یقال: إنّ النبی (ص) صلّی فیه، وینزله الیوم فی الموسم الحضارمة. انتهی.

وهذا المسجد الآن متخرب جداً، وجدرانه ساقطة إلّا القبلی، وفیه حجر مکتوب فیه أنه مسجد الإجابة، وأنّ عبد الله بن محمد عمّره فی سنة عشرین وسبعمائة..، ثم ذکر مساحة المسجد، وأنّه «حرّر ذلک بحضوری». (۱) ۶. مسجد البیعة: وهی البیعة التی بایع رسول الله (ص) فیها الأنصار، بحضرة عمّه العباس بن عبدالمطلب ... وهذا المسجد بقرب العقبة التی هی حدّ منی من جهة مکة، وهو وراء العقبة بیسیر إلی مکة فی شعب علی یسار الداخل إلی منی؛ ثم تحدث عن الحجارة المکتوبة، ثم وصفه وصفاً دقیقاً، و ذکر مساحته، و کرّر عبارة «وکان تحریر ما ذکرناه بحضوری». (۲) (ع). مسجد بمنی، عند الدار المعروفة بدار المنحر، بین الجمرة الأولی والوسطی، علی یمین الصاعد إلی عرفة، وهذا المسجد ینسب إلی النبی (ص) علی ما یقال؛ لأنّ فیه حجراً مکتوباً فیه ":هذا مسجد سیّد الأولین والآخرین صلّی فیه الضحی، ونحر هدیه "...وذکر مساحته ووصفه، وأنه کان "تحریر ذلک بحضوری. " (۳) ۸. مسجد الکبش بمنی، علی یسار الذاهب إلی عرفة: وهو مشهور بمنی، والکبش المشار إلیه هو الذی فدی الله تعالی به نبیّه إسماعیل بن إبراهیم (علیهما السلام)، و هذا المنحر هو الدار المعروفة بدار المنحر بمنی بین الجمرتین: الأولی والوسطی، بقرب المسجد الذی سبق ذکره قبل هذا، وهی مشهورة بذلک عند الناس، وعندها ینحر هدی صاحب الیمن ...، (۴) ثم تطرق إلی وصفه، وذکر مساحته.

۹. مسجد الخیف بمنی: وهو مسجد عظیم الفضل؛ لأحادیث وأخبار وردت فی ذلک ... ومنها ما رویناه فی معجم الطبرانی الکبیر من حدیث ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص): «صلّی فی مسجد الخیف سبعون نبیاً منهم موسی».

۱- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ۴۹۶: ۱.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق: ۴۹۷.

۴- المصدر السابق،: ۴۹۸.

ص: ۱۰۷

وبه إلى ابن جريج عن إسماعيل بن أمية أنّ خالد بن مضرس أخبره أنه رأى أشياخاً من الأنصار، يتحرّون مصلّى النبى (ص) أمام المنارة قريباً منها، وبه إلى الأزرقى قال: قال جدّى: الأحجار التى بين يدى المنارة هو موضع مصلّى النبى (ص) ولم يزل الناس وأهل العلم يصلّون هنالك. (۱) وقد أسهب العلامة الفاسى فى الحديث عن مسجدالخيف، واستحباب زيارته، والأحاديث الواردة فى ذلك، ثم تطرق للحديث عنه من الناحية المعمارية، وامتداد مساحته، وتحديد مصلّى النبى (ص) به، كما تكلم عن بعض المعالم الحضارية به: المنارة، والسقاية، والذين تولّوا عمارته من الولاة والتجّار؛ واقترح فى نهاية عرضه بعض المقترحات المعمارية فيما يخص بابه. (۲)

۱۰. المسجد الذى اعتمرت منه عائشة، بعد حجّها فى حجة الوداع، و هذا المسجد بالتنعيم، تحدث الفاسى هنا عن من قام بتعميره من الخلفاء والملوك، والأعيان، كما حرّر مساحته. (۳) ۱۱. مسجد الفتح بالقرب من الجموم، من وادى مر الظهران، يقال: إنّه من المساجد التى صلّى فيها النبى (ص) بين مكة والمدينة، ذكره شيخنا القاضى زين الدين بن حسين المراغى المدنى فى تاريخه للمدينة المنورة، فى المساجد التى نقل أنّ النبى (ص) صلّى فيها بين مكة والمدينة، ونص كلامه:

«ومسجد فى المسيل الذى بوادى مر الظهران، حين يهبط من الصفراوات عن يسار الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ومرّ الظهران هو بطن مر، المعروف الآن بمسجد الفتح».

أخيراً اختتم هذا الجزء من هذا الباب بقوله: «فهذه الأماكن المباركة بمكة وحرمها، وقربه، المعروفة الآن بالمساجد، وقد ذكر الأزرقى مساجد أخر لا يعرف موضعها الآن..». (۴) ثم انتقل إلى عنوان جديد آخر: (ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد)، بدأها بقوله:

«هذه المواضع هى مساجد، وإنما هى معروفة عند الناس ب- (المواليد) و لذلك أفردناها عن المساجد بالذكر، فمنها:

۱. المولد الذى يقال له: مولد النبى (ص) بالموضع الذى يقال له: سوق الليل، وهو مشهور عند أهل مكة، وذكر السهيلى ما يستغرب فى تعيين الموضع الذى ولد فيه النبى (ص) وفيمن بناه؛ لأنه قال: و ولد بالشعب، وقيل: بالدار التى عند الصفا، وكانت بيد محمد بن يوسف أخى الحجّاج، ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجّت، وذكر الحافظ علاء الدين مغلطاى فى سيرته ما يستغرب أيضاً فى تعيين الموضع الذى ولد فيه النبى (ص)؛ لأنه قال: فيما أنبئت به عنه، ولد بمكة، ثم قال: فى الدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجّاج بن يوسف، ويقال: بالشعب، ويقال: بالردم، وقيل: بعسفان، (انتهى).

والمستغرب من ذلك ما قيل من أنّ النبى (ص) ولد بالردم، وقيل بعسفان، والقول بأنه ولد بالردم، رواه أبوحفص بن شاهين فى الناسخ والمنسوخ؛ لأنه قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن جراد قال: ولد رسول الله (ص)

۱- المصدر السابق ۵۰۱: ۱.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق ۵۰۶: ۱.

۴- المصدر السابق ۵۰۸: ۱.

ص: ۱۰۸

بالردم، وختن بالردم، واستبعث من الردم، وحمل من الردم، قال البکری: ردم بنی جمح بمکة، کانت فیه حرب بینهم وبین بنی محارب بن فهر، فقتلت بنو محارب من بنی جمح أشد القتل، فسمی ذلک الموضع بما ردم علیه من القتل؛ انتهی. (۱) ثم تحدث فیما بعد عن الموضوعات التالیة فیما یخصّ هذا المکان الشریف: ما ورد فی برکة الموضع، وصفته علی ما أدرکه الفاسی وتحدید مساحته، وأخیراً ذکر أسماء الخلفاء الذین تولّوا عمارته.

۲. ومنها الموضع الذی یقال له: مولد فاطمة (س): هذا المکان من دار أمها خدیجة بنت خویلد (س)، فی الزقاق المعروف بزقاق الحجر بمکة المشرفة. (۲) وقد تکلم عن هذا الموقع مرة أخری فی (ذکر الدور المبارکة فی مکة المشرفة)، فقال: «منها دار خدیجة بنت خویلد أمّ المؤمنین (س)، وتعرف هذه الدار ب- (مولد فاطمة (س))، لکونها ولدت فیه هی وإخوتها، أولاد خدیجة من النبی (ص) وغالب هذه الدار الآن علی صفة المسجد؛ لأنّ فیها رواقاً، و سبعة عقود علی ثمانیة أساطین فی وسط جداره القبلی ثلاث محاریب ..، وهی ثلاثة مواضع:

الأول: الموضع الذی یقال له: مولد فاطمة.

والثانی: الموضع الذی یقال له: قبة الوحی، وهو ملاصق لمولد فاطمة.

والثالث: الموضع الذی یقال له: المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحی، وهذه الدار أفضل الأماکن بمکة بعد المسجدالحرام، علی ما ذکر المحب الطبری، ولعلّ ذلک لسکنی النبی (ص) فیها سنین کثیرة، من حین تزوج خدیجة، وإلی حین هاجر؛ ولکثرة نزول الوحی علیه فیها، وفیها بنی النبی (ص) بخدیجة، وفیها ولدت أولادها منه، وفیها ماتت (س). (۳) ۳. ومنها الموضع الذی یقال له: مولد علی بن أبی طالب (ع) قریباً من مولد النبی (ص) من أعلاه مما یلی الجبل، وهو مشهور عند أهل مکة بذلک، لا اختلاف بینهم فیه، ولم یذکره الأزرقی، وذکره ابن جبیر، وعلی بابه مکتوب: هذا مولد أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (ع) وفیه ربی رسول الله (ص)؛ أمر بعمله سیدنا ومولانا أبوالعباس أحمد بن الناصر لدین الله أمیرالمؤمنین فی سنة ثمان وستمائة. (۴) ثم تکلم علی صفة المکان، وذرعه، یذکر العلامة عفیف الدین عبد الله المیرغنی الرأی الآخر، بأنّ علیاً (ع) «ولد فی جوف الکعبة، وضعفه النووی، (۵) وهو یشیر بهذا إلی موقف آخر یتبناه علماء الشیعة وهو أنّ ولادة أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب کرم الله وجهه کان بالکعبة المشرفة، ومن المؤلفات الجامعة لهذا الموقف کتاب (ولید الکعبة). (۶)

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق، ۵۱۱: ۱.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق،: ۵۱۲.

۵- عدة الإنابة فی أماکن الإجابة: ۲۱۰، الطبعة الأولی، تحقیق عبدالله نذیر أحمد مزی، مکةالمکرمة: المکتبة المکیة، عام ۱۴۲۹ ه-/ ۲۰۰۸ م، فی التعریف بهذا المکان یقول المحقق: «وهو بالمحل المعروف بشعب علی، وهو مقابل لمولد النبی ۹ من أعلاه مما یلی الجبل، مشهور عند أهل مکة، لا اختلاف فیه، جامع اللطیف: ۲۸۷».

۶- من إعداد وتقدیم السید محمدرضا الحسینی الجلالی، الطبعة الأولی، إیران: مطبعة شریعت، عام ۱۳۸۳/ ۱۴۲۵ ه-.

ص: ۱۰۹

«ولا أثر له الآن، فأصبح مواقف سیارات علی یسار المولد النبوی للمتجه إلی الحرم». (۱) ۴. ومنها الموضع الـذی یقال له مولد جعفر الصادق (ع) بالـدار المعروفـة بـدار أبی سـعید بقرب دارالعجلة؛ لأنّ علی بابه حجراً مکتوباً فیه: (هذا مولد جعفر الصادق، ودخله النبی (ص)، (۲) ثم ذکر مساحته، ومن قام بعمارته.

ثم وضع تحت عنوان: (ذکر الدور المبارکة بمکة المشرفة) فجاءت منتظمة حسب الترتیب التالی:

دار أمّ المؤمنین السیدة خدیجة (س)، وقد سبق الحدیث عنه.

۵. ومنهـا علی مایقـال: دار لأبی بکر، بهـذا الزقاق، وهی مشـهورة فیه، وعلی بابها حجر مکتوب فیه: هـذه الـدار دار صاحب رسول الله (ص) فی الغار، ورفیقه فی الأسفار. (۳) ثم تناول الجانب التاریخی لهذه الدار، ووصف المسجد الذی بها.

۶. ومنها دار الأرقم المخزومی، وهی الـدار المعروفـة بـدار الخیزران عنـد الصـفا؛ والمقصود بالزیارة منها هو المسـجد الذی فیها، وهو مشـهور من المساجـد التی ذکرها الأزرقی ... ولعل هـذا الموضع أفضل الأماکن بمکة بعد دار خدیجة بنت خویلد (س)، لکثرة مکث النبی (ص) فیه یـدعو الناس للإسـلام مسـتخفیاً، وإقامته (ص) بهـذا الموضع دون إقامته بـدار خدیجـة، ولـذلک کانت أفضل من هذا الموضع، والله أعلم. (۴) وقد تکلم عن وصف هذا المسجد، ومساحته، والکتابة الموجودة علی اللوحة الموجودة فیه.

(ع). ومن الـدور المبارکـة بمکـة، دار العبـاس بن عبـدالمطلب بالمسعی؛ وفیها العلم الأخضـر وهی الآن رباط للفقراء. (۵) هذه جملة الأماکن الإسلامیة المأثورة فی مکة المکرمة، علی ما وصل إلیه تعدادها مصنفة لدی تقی الدین الفاسی.

و ذکر، بعد ما تقدم عنواناً آخر، هو: (ذکر الجبال المبارکة بمکة وحرمها)، وضمن ما جاء فیه:

۸. مسـجد المرسـلات؛ وهو یمـانی مسـجد الخیف، وذکر المحب الطبری فی کتـابه (القری) فی الباب الثلاثین: ما جاء فی الغار الـذی أنزلت فیه سورة (المرسـلات) عن عبـد الله بن مسـعود، قـال: بینما نحن مع النبی (ص) فی غار بمنی، إذ نزلت علیه: وَالْمُرْسَـلاتِ عُرفاً، وإنه لیتلوهـا، وإنی لألقاهـا من فیه، وإنّ فـاه لرطب بهـا، إذ وثبت علینا حیـة، فقال النبی (ص): أقتلوها، فابتـدرناها فـذهبت، فقال النبی (ص): وقیت شـرکم، کما وقیتم شرها (أخرجه البخاری، فی باب: ما یقتل المحرم من الدواب)، وهذا الغار مشهور بمنی، خلف مسجد الخیف نحو الجبل مما یلی الیمن، کذلک یأثره الخلف عن السلف، والله أعلم. (۶)

۱- عدة الإنابة فی أماکن الإجابة،: ۲۱۰.

۲- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ۵۱۴: ۱.

۳- المصدر السابق ۵۱۶: ۱.

۴- المصدر السابق ۵۱۸: ۱.

۵- المصدر السابق، ۵۱۹: ۱.

۶- المصدر السابق، ۵۳۱: ۱.

ص: ۱۱۰

ومن تصنیفات الفاسی المهمة فی هذا الموضوع، ما ذکره فی الباب الثانی والعشرین: (فی ذکر أماکن بمکة المشرفة التی لها تعلق بالمناسک، وهی ستة وعشرون موضعاً، مرتبة علی ترتیب حروف المعجم)، تکلم عنها بالتفصیل. (۱)* رابعاً، کتاب: (الجامع اللطیف فی فضل مکة وأهلها وبناء البیت الشریف)

تألیف العلامة جمال الدین محمد جار الله بن محمد نور الدین بن أبی بکر بن علی بن ظهیرة القرشی المخزومی (ت ۹۸۶ ه-/ ۱۵ (ع) ۸ م). (۲) خصّ الخاتمة (فی ذکر الأماکن المعظمة والمشاهد المکرمة التی تقصد زیارتها المشهورة بالفضل بمکة شرفها الله تعالی، وحرمها، وضواحیها، من الموالید، والدور، والمساجد، والجبال، والمقابر، وما أشبه ذلک).

بدأ أول ما بدأ بذکر الموالید فقال:

۱. فمنها، وهو من أجلّها مولد سیدنا رسول الله (ص)، فنبدأ به وهو بمکة فی المکان المعروف بسوق اللیل، مشهور بمولد النبی (ص) إلی أن یقول:

"وکون هذا المکان مولده (ص) مشهور، متوارث، یأثره الخلف عن السلف، وجرت العادة بمکة فی لیلة الثانی عشر من ربیع الأول فی کل عام، أنّ قاضی مکة الشافعی یتهیأ لزیارة هذا المحل الشریف بعد صلاة المغرب، فی جمع عظیم، منهم الثلاثة القضاة، وأکثر الأعیان من الفقهاء، والفضلاء، وذوی البیوت، بفوانیس کثیرة، وشموع عظیمة، وزحام عظیم. "(۳) ثم استمر فی عرض هذه الأماکن بالتفصیل، یرد ذکرها هنا مجملة کالتالی:

۲ ".مولد السیدة فاطمة (س) ابنة سیدنا رسول الله (ص، ")وهو فی دار أمّها خدیجة (س)، بمکة فی الزقاق المعروف بزقاق الحجر، وسماها الطبری: دارخزیمة، وغالب هذه الدار کانت فی زمن المؤلف، علی صفة المسجد، وکانت بها قبة یقال لها: قبة الوحی، إلی جنبها موضع یزوره الناس یسمی المختبأ، زعموا أنّ النبی (ص) کان یختبئ فیه من الحجارة التی یرمیه بها المشرکون، ولا ـ أصل لذلک.

۳. ومنها مولد سیدنا علی بن أبی طالب، کرم الله وجهه، وهو بالمحل المعروف بشعب علی، وهو مقابل لمولد النبی (ص) من أعلاه، مما یلی الجبل، مشهور عند أهل مکة لا اختلاف فیه، وعلی بابه حجر مکتوب علیه (هذا مولد أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب، وفی هذا المحل تربی رسول‌الله (ص) وقیل: إنّ مولد سیدنا علی (ع) فی جوف الکعبة، وضعّفه النووی فی (تهذیب الأسماء واللغات).

۱- المصدر السابق،: ۵۳۹.

۲- الطبعة الثالثة، مکة المکرمة: توزیع مکتبة الثقافة عام ۱۳۹۲ ه-/ ۱۹۳۲ م.

۳- الجامع اللطیف فی فضل مکة وأهلها وبناء البیت الشریف،: ۳۲۵.

ص: ۱۱۱

۴. ومنها فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب، عم النبی (ص)، وهو بأسفل مكة على طريق الذاهب إلى بركة الماجن، (بالنون)، وأهل مكة يقولون: ماجد (بالدال)، وهو خطأ، قال الفاسی: ولم أر شيئاً يدل على صحة ذلك، بل فی صحته نظر؛ لأنّ هذا الموضع ليس محلًا لبنی هاشم، والله أعلم.

۵. مكان يذكر أنه موضع ولادة عمر بن الخطاب، وقد ضعفه الفاسی فيقول: «ولا أعلم فی ذلك شيئا يستأنس به ...»

۶. ومنها موضع .. يقال له مولد جعفر الصادق (ع) ... (۱) ثم استمر فی ذكر الدور المباركة، فأعاد ذكر ما قد سبق ذكره منها، باعتبار أنها مساجد، وذكر من هذه الدور (دار الأرقم بن أبی الأرقم المخزومی المعروفة (فی عهده) بدار الخيزران المجاورة للصفا، والمقصود بالزيارة المسجد الذی فيها، لأنّ النبی ٩ كان مستتراً فيه مبدأ الإسلام، وفيه أسلم عمر بن الخطاب، وحمزة بن عبدالمطلب وغيرهما، ومنه ظهر الإسلام، وبه كان اجتماع الصحابة، فله فضل كبير، وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدی العباسی ...

و ذكر هنا أيضاً: دار العباس بن عبد المطلب، التی أصبحت فيما بعد رباط للفقراء بالمسعى المعظم، وكان فی جدارها الميلان الأخضران اللذان يسنّ الجری بينهما حالة السعی. (۲) ثم ذكر المساجد المأثورة فی منى وجهتها فقال: منها ما هو موجود معروف إلى يومنا هذا، ومنها ما هو داثر لايعرف بمكة وخارجها، ثم ذكر المساجد المعروفة فی وقته، فعدّدها وذكر منها: مسجد البيعة، ومسجد الجن، ومسجد الإجابة المعروفة فی وقتنا الحاضر.

أخيراً استعرض (المساجد التی فی منى وجهتها) وذكر منها: مسجد البيعة، مسجد النحر بين الجمرتين: الجمرة الأولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة، ومنها: مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير، ومنها: مسجد عائشة، وهو بسفح ثبير أيضاً، ومنها: مسجد الخيف، ومنها: بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمى بالضب (بمعجمة موحدة) نقله الصغانی، وبالصفايح أيضاً (بصاد مهملة، آخره تحتية ومهملة)، وقيل: الصابح ... ويعرف بغار المرسلات، وهو مشهور به إلى هذا الوقت، وفی (صحيح البخاری) فی (باب ما يقتله المحرم من الدواب) من رواية ابن مسعود أنه قال: بينما نحن مع النبی (ص) فی غار بمنى إذ نزلت عليه: والمُرْسَلاتِ عُرْفاً، وإنه ليتلوها، وإنی لأتلقاها من فيه، وإنّ فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبی (ص): أقتلوها، فابتدرناها فذهبت، فقال النبی (ص): وقيت شركم، كما وقيتم شرها. ومنها: مسجد عرفة الذی يصلی فيه الإمام، وهو مشهور.. ومنها: مسجد التنعيم التی اعتمرت منها عائشة بعد حجها عام حجة الوداع ...، ومنها: مسجد الجعرانة وهو الذی أحرم منه النبی (ص) بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة ... (۳)

۱- الجامع اللطيف فی فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف،: ۳۲۵- ۳۲۸.

۲- المصدر السابق،: ۳۲۹- ۳۳۱.

۳- المصدر السابق،: ۳۳۳- ۳۳۸.

ص: ۱۱۲

وقـد تعقب العلامـة جمال الـدين محمد بن ظهيرة المساجد التى ذكرها الإمام الأزرقى، ولم تعرف فى وقته فقال ":وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى، ولم تعرف الآن فخمسة مساجد:

الأول: مسجد بأعلى مكة، بين شعب ابن عامر المعروف الآن بشعب عامر.

الثـانى: مسـجد بأجيـاد، يقـال: إنّ النبى (ص) اتكـأ هنـاك فى موضع منه، قـال الأزرقى: إنّ أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلّى بأجياد الصغير، و لايوقف على موضع مصلاه أيضاً تحقيقاً بل حدساً بغير أصل.

الثالث: مسـجد بأعلى مكة يقابل مسـجد الحرس، يقال له: مسجد الشجرة قيل: إنّ النبى ۹ كان بمسـجد الحرس، فدعا شجرة كانت فى هذا المسجد، فأقبلت عليه، فسألها عن شىء، ثم أمرها بالرجوع فرجعت إلى موضعها، وقد دثر.

الرابع: مسجد بذى طوى، فى علومكة بين الثنيتين اللتين يدخل منهما الحاج.

الخامس: مسجد السرر .. غير أنّ تعيين محله يقيناً لايوقف عليه الآن بل جهته.

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له: مسجد إبراهيم، وليس بمسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام.

فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن ... (۱)* خامساً: كتاب (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام فى تاريخ مكة المشرفة).

تأليف الإمام محمـد قطب الـدين بن أحمد علاء الدين بن محمد النهروالى المكى الشـهير بالقطبى (۹۱ (ع)- ۹۹۰ ه-/ ۱۵۱۱- ۱۵۸۲ م).

جعل الحديث عن الأماكن التاريخية المأثورة خاتمة كتابه بعنوان:

(خاتمـة فى ذكر المواضع المباركـة والأماكن المأثورة بمكـة المشـرفة)، وقـد عرض لها بشـكل مفصل، وتتبع تاريخى منتظم، بدءاً من المواضع التى وردت فى رسالة الإمام الحسن البصرى، ثم ذكر الزيادات التى ذكرها النقاش فيما يتصل بهذه الأمكنة، جاء فى مقدمتها: «دار السيدة خديجة (س)، ثم مولد النبى (ص)، ثم دار الأرقم المخزومى»، ثم ذكر بقية الأمكنة، وما يتصل بتاريخها، وعمارتها.

اقتصر الإمام القطبى النهروالى .. على المعروف منها فى عصره، وهو ما أنهى مقالته بقوله: «فاقتصرنا على المعروف منها». (۲)* سادساً: كتاب (الأرج المسكى فى التاريخ المكى وتراجم الملوك والخلفاء)

۱- المصدر السابق،: ۳۳۸- ۳۳۹.

۲- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام فى تاريخ مكة المشرفة: ۳۵۳.

ص: ۱۱۳

تألیف: علی بن عبد القادر الطبری (ت ۱۰ (ع) ۰ ه-/ ۱۶۵۹ م). (۱) عقد (الفصل الثالث: فی الأماکن المشهورة فیها [مکة]، وفی المساجد) فقال: «بمکة ونواحیها أماکن مشهورة یستحب زیارتها، ومساجد متعددة غیر المسجد الحرام، و رُبط کثیرة ذکرها المتقدمون، فما نبّه المتقدمون علیه من المساجد المأثورة، نتبّه علیه عند ذکره، ونذکر الجمیع باعتبار ما هو موجود فی زمننا، والموالید التی ذکروها صارت فی زمننا کلها مساجد». (۲) فبدأ أول ما بدأ بذکر مکان ولادة النبی (ص) قائلًا: «بفم شعب علی، وهو معروف وقد ذکروه، وکان عمّره الناصر العباسی (۵۵۳– ۶۲۲ ه-/ ۱۱۵۸ – ۱۲۲۵ م)، ثم الأشرف شعبان صاحب مصر، ثم الناصر فرج بن برقوق، ثم الملک المظفر الغسانی صاحب الیمن، ثم السلطان سلیمان خان، فعمّره قبة ومسجداً یصلی فیه، وذلک فی عام خمسة وثلاثین وتسعمائة، ثم عمّره سلطان الإسلام ومرجع الخاص والعام مولانا السلطان الغازی محمد خان ابن مولانا المقدس السلطان مراد خان، وذلک فی سنة تسع بعد الألف، وکانت هذه العمارة علی ید شخص من أکابر الدولة العثمانیة یقال له: غضنفیر أغا، وأنفق علی ذلک أموالًا عظیمة، ورفع جدران المحل المذکور، وجعل علیه قبة عظیمة، ومنارة، وأوقف علیه وقفاً بالدیار الرومیة، ورتب له مؤذناً، وخادماً، وإماماً، وجعل لکلٍ فی کل عام شیئاً معیناً، یحمل من مغلات الوقف المذکور، ویقسم علیهم، ثم جعلت له السلطنة الشریفة مدرساً بمعلوم، یدرس فی یومین من أیام الأسبوع بالمحل المذکور.

ومنها: مولد السیدة فاطمة (س)، وهو بزقاق الحجر علی یمین الذاهب إلی المسجد الحرام.

ومنها دارخدیجة: وهو بجانب مولد السیدة فاطمة (س)، ودار خدیجة (س)، أفضل محل بالحرم بعد المسجد الحرام.

ومنها دار الخیزران: و هی الصفا معروفة، وقد ذکروها، و فیها مسجد یقال له: (المختبأ)، لأنّ النبی (ص) کان مستتراً فیه فی مبدأ الاسلام، و صار لفظها بالمسجد یطلق علیها کلها، و لها إمام وخادم ... (۳) هکذا یستمر المؤرخون المکیون فی تتابع وتواتر علمی فی توثیق هذه الأمکنة، وبیان ما طرأ علیها من إصلاحات، واهتمام الملوک والولاة المسلمین بها، حتی العصر الحاضر من هؤلاء.

* سابعاً: کتاب (منائح الکرم فی أخبار مکة و البیت و ولاة الحرم)

تألیف: علی بن تاج الدین بن تقی الدین السنجاری، (۱۰۵ (ع)- ۱۱۲۵ ه-/ ۱۶۴ (ع)- ۱ (ع) ۱۳ م). (۴) ذکر: (أماکن مکة و مزاراتها) فجاء تحت هذا العنوان العبارة التالیة: «و بمکة أماکن کثیرة، ومزارات مشهورة، وقد ذکرها المؤرخون فی مطولاتهم، وسیأتی ذکر بعضها فی محل الحاجة ..». (۵)

۱- الطبعة الأولی، تحقیق و تقدیم أشرف أحمد جمال، مکة المکرمة: المکتبة التجاریة، مصطفی باز، عام ۱۴۱۶ ه-/ ۱۹۹۶ م.

۲- الأرج المسکی فی التاریخ المکی و تراجم الملوک و الخلفاء،: ۶۸.

۳- الأرج المسکی فی التاریخ المکی و تراجم الملوک والخلفاء: ۷۰.

۴- الطبعة الأولی دراسة وتحقیق: جمیل عبدالله محمد المصری، مکة المکرمة: جامعة أم القری، عام ۱۴۱۹ ه-/ ۱۹۹۸ م، ۱:.

۵- منائح الکرم فی أخبار مکة والبیت و ولاة الحرم، ۲۲۶: ۱.

ص: ۱۱۴

* ثامناً: کتاب: (تحصیل المرام فی أخبار البیت الحرام و المشاعر العظام و مکة و الحرم و ولاتها الفخام)

تألیف: العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن عمر المکی المالکی، المعروف بابن الصباغ (ت ۱۳۲۱ ه-/ ۱۹۰۳ م). (۱) عقد الفصل الثالث فی (الأماکن التی یستجاب فیها الدعاء بمکة المشرفة وحرمها، وما قاربها ...)، ثم قال ":و ذکر القاضی مجد الدین الشیرازی فی کتابه: (الوصل والمنی) مواضع أخر بمکة وحرمها یستجاب فیها الدعاء؛ لأنه نقل عن النقاش المفسر أنه قال فی منسکه: ویستجاب الدعاء علی ثبیر، وفی مسجد الکبش، زاد غیره وفی مسجد الخیف ..» إلی أن قال: وفی دار خدیجة زوج النبی (ص) لیلة الجمعة، وفی مولد النبی (ص) یوم الاثنین عند الزوال، وفی دار الخیزران عند المختبأ بعد العشاءین. "(۲)* تاسعاً: (سالنامة العربیة فی شأن الدولة العثمانیة) الصادرة عام ۱۳۰۳ ه-/ ۱۸۸۵ م. (۳) ذکرت (المواضع المبارکة المأثورة بمکة شرفها الله تعالی) بإسهاب، وذکرت ما جری علیها من إصلاحات وتطویر. (۴)* عاشراً: أحمد بن محمد الحضراوی (۱۲۵۲- ۱۳۲ (ع) ه-) فی کتابه:

(العقد الثمین فی فضائل البلد الأمین).

خص الفصل الثالث (فی مآثرها [مکة المکرمة] المشتملة علیها)، وصلت لدیه إلی واحد وثلاثین موضعاً، لم یکن عرضه مقصوراً علی ما هو منسوب منها للنبی (ص) بل سرد ما یتصل ببعض الصحابة الکرام رضوان الله علیهم أجمعین، عرض لکل ما ذکره السابقون، صحح منها الصحیح، وزیف منها ما لیس صحیحاً.

* حادی عشر: عبد الله غازی، (۱۲۹۰- ۱۳۶۵ ه-/ ۱۸ (ع) ۳- ۱۹۴۵) فی کتابه الموسوعی: (إفادة الأنام بذکر أخبار بلد الله الحرام). (۵) عقد عدة فصول لهذا الموضوع بشکل تفصیلی، وعرض لمعظم ما دونه المؤلفون المکیون السابقون، یأتی البحث هنا إلی عناوین تلک الفصول:

الفصل الثالث: فی ذکر المساجد المأثورة المبارکة. (۶)

۱- الطبعة الأولی دراسة وتحقیق عبد الملک بن عبد الله بن دهیش، مکة المکرمة: مکتبة الأسدی، عام ۱۴۲۴ ه-/ ۲۰۰۴ م.

۲- تحصیل المرام فی أخبار البیت الحرام والمشاعر العظام ومکة والحرم وولاتها الفخام، ۵۸۶: ۲.

۳- الطبعة الثانیة، مکة المکرمة: المطبعة المیریة، عام ۱۳۰۳ ه-.

۴- سالنامة العربیة فی شأن الدولة العثمانیة، : ۱۴۸.

۵- مرقوم بالکومبیوتر، دراسة وتحقیق عبد الملک بن عبد الله بن دهیش.

۶- إفادة الأنام بذکر أخبار بلد الله الحرام، ۳۷: ۲- ۶۷.

ص: ۱۱۵

الفصل الرابع: فی ذکر المواضع المعروفة بمکة بالموالید.

استعرضها تفصیلًا، وتتبع تواریخ عمارتها، واهتمام الملوک والأمراء بها. (۱) الفصل الخامس: فی ذکر الأماکن المشهورة التی لها تعلق بالمناسک. (۲) الفصل السادس: فی ذکر بعض الأماکن التی لیس لها تعلق بالمناسک، ولکنها اشتهرت بین الناس). (۳) إلی غیر ذلک من المؤلفات التاریخیة العدیدة.

تستمر سلسلة التواتر العلمی المکتوب فی عصرنا الحاضر- فیما أحاط به العلم-.

* ثانی عشر: ملخص مناسک الحج، ویلیه دلیل الآثار المطلوبة فی مکة المحبوبة

تألیف: المربی العلامة الشیخ عبدالمالک بن عبد القادر بن علی المعروف بالطرابلسی (ت ۱۴۱۸ ه-/ ۱۹۹ (ع) م).

عدّ منها ثلاثین موضعاً، شمل المشاعر المقدسة؛ وقد رسم خریطة لمکة المکرمة، وضح علیها مواقع الأماکن الإسلامیة التاریخیة المأثورة المعروفة فی الوقت الحاضر. (۴)* ثالث عشر: معالم مکة التاریخیة والأثریة. (۵) تألیف: المؤرخ الشیخ عاتق بن غیث البلادی حفظه الله.

و هو أشمل کتاب فی موضوعه، کما یتضح هذا من العنوان والمضمون، وسیأتی الحدیث عنه مفصلًا إن شاء الله.

لاشک أنّ هذه المجموعة من المؤلفین الثقات، ومعظمهم من المحدثین والفقهاء، والقضاة ورجال العلم حدیثهم عما صح من الأماکن المأثورة بمعناه الاصطلاحی، یحقق التواتر فی أجلی صوره، وأدق معانیه.

*** ۵. المتواتر من الأماکن المأثورة فی مکة المکرمة استقلالًا المنثور منها

ألّف عدد من العلماء المکیین المؤلفات المستقلة فی الأماکن المأثورة المتواترة فی مکة المکرمة، المتوافر منها فیما تم الاطلاع علیه فی الوقت الحاضر مطبوعاً:

۱- المصدر السابق ۶۷: ۲- ۸۵.

۲- المصدر السابق ۸۶: ۲- ۱۳۱.

۳- المصدر السابق ۱۳۱: ۲- ۱۴۴.

۴- مکة المکرمة: مکتبة ومطبعة النهضة الحدیثة، عام ۱۴۰۷ ه-/ ۱۹۸۷ م.

۵- الطبعة الثانیة مکة المکرمة: دار مکة للنشر والتوزیع، عام ۱۴۰۳ ه-/ ۱۹۸۳ م.

ص: ۱۱۶

* ۱. کتاب: (عدة الإنابة فی أماکن الإجابة).

تألیف السید عفیف الدین عبد الله بن إبراهیم میرغنی الحسینی، المتقی المکی، الطائفی، الحنفی (الملقب بالمحجوب). (۱) ذکر المؤلف فی مقدمة الکتاب: «لما طالعت بعض شرح العالم العلامة الشیخ إدریس الشماع الشافعی علی منظومة الشیخ عبد الملک العصامی، المسمی ب-: (الإنابة فی أماکن الإجابة)، وکانت تلک منظومة مقیدة بأوقات معینة، کما ذکره الإمام أبو بکر بن محمد بن الحسن بن النقاش، وقد ذکره کثیر من علمائنا غیر مقیدة، کما رواه الشیخ الجلیل سید التابعین الحسن البصری، عن النبی (ص) کما ذکره الشیخ عبد الملک فی آخر نظمه، وقد کنت رأیت بیتین فی ذلک غیر مقیدین للشیخ الإمام والعالم الهمام عمر بن إبراهیم بن نجیم صاحب النهر الفایق شرح کنز الدقایق، خطر لی أن أجمع علیهما بعض الفوائد، وأذکر کل فایدة فی محلها اللائق بها لیسهل به إدراکها، وحفظها؛ لکنی رأیت عدة ما فیها خمسة عشر موضعاً، وقد أنهاها غیره من علمائنا إلی عشرین، فنظمت الزیادة فی بیت، وألحقته بهما، وشرحت الکل؛ والبیتان والزیادة هما هذان:

دعاء البرایا یستجاب بکعبة و ملتزم و الموقفین، کذا الحجر

طواف، وسعی، مروتین، وزمزم مقام، و میزاب، جمارک تعتبر

منی، و یمان، رؤیة البیت حجره لدی سدرة عشرون تمت غرر

وسمیت ما جمعته بالکتاب: (عدة الإنابة فی أماکن الإجابة)، لکونی أذکر فی کل محل بعض ما یناسبه من مسائل فقهیة، وأدعیة مأثورة ومرویة، تتمیماً للفواید، وتحصیلًا للعواید .. (۲)* ۲. (تحفة الأنام فی مآثر البلد الحرام).

العلامة السید عبد الله بن السید محمد صالح الزواوی المکی (۱۲۶۶- ۱۳۴۳ ه-/ ۱۸۴۹- ۱۹۲۴ م):

جاء فی مقدمة الرسالة قوله:

«مکة المکرمة هی بلد الله، وفیها بیته المعظم الذی هو أول بیت وضع للناس فی الأرض، الموصوف بکونه مبارکاً، وهدًی للعالمین، وبکونه فیه آیاتٌ بیناتٌ، وبکونه من دخله کان آمناً، وجعله الله قبلةً لجمیع الأمة المحمدیة فی جمیع العالم..» إلی أن یقول: «وکلها مبارکة یستجاب فیها الدعاء، ولکن لاشک أنّ بعضها یترجح علی بعض بمزایا اختصت بها، لکونه علیه الصلاة والسلام ولد فیها، أو تعبد فیها، أو لوجود أثر منه، أو عنه (ص)، أو عن أصحابه الکرام، وذلک البعض المرجح کثیر، ومختلف فیه، ولکن المشهور من ذلک الذی یعتاد الأماثل التردد علیه، ویزورونه، ویدلون الحجاج علیه، هو ما هو معلوم

۱- الطبعة الأولی، تحقیق عبد الله نذیر أحمد مزی، مکة المکرمة: المکتبة المکیة، عام ۱۴۲۹ ه-/ ۲۰۰۸ م.

۲- عدة الإنابة فی أماکن الإجابة: ۲۶.

ص: ١١٧

عند أكثر أفاضل المطوفين من العارفين، وذلك البعض جبال، ومساجد، وموالد، وهی الدور التی ولد فيها الأماثل، وسكنوها، وزاد فضلها بهم ...». (١) ثم خص كلًا من تلك الأماكن بالعرض المفصل وقال عندما جاء العرض ل- (الموالد) معرفاً بها: «وهی الدور التی ولد فيهاالأماثل الكرام، وسكنوها وزاد بهم فضلها، منها الموضع الذی يقال له: مولد النبی (ص) بسوق الليل وهو على الصحيح البيت الذی ولد فيه رسول الله (ص)، وتربى فيه، وموضع مسقط رأسه الشريف فی نفس المحل معروف إلى الآن». (٢)* ٣. معالم مكة التاريخية والأثرية

تأليف: عاتق بن غيث البلادی، حفظه الله.

كتاب موسوعی يدل عليه عنوانه، حيث يتطرق لكافة الأماكن التاريخية، والأثرية فی مكة المكرمة، وما حولها، مرتباً ترتيباً هجائياً، يتميز بأنه يقدم معلومات تاريخية مفيدة عن الموقع الذی يتحدث عنه، ويزيد عليه إضافة معلومات جديدة لما استحدث على الموقع فی تعبير واضح، وبهذا يكون المؤلف حفظه الله أوصل الحاضر بالماضی، وهذه ميزة التاريخ والمؤرخين فی المدرسة التاريخية المكية حتى العصر الحاضر، يقدم البحث أنموذجاً للإضافات المفيدة فی هذا الكتاب.

يقول المؤرخ الشيخ عاتق البلادی- حفظه الله- عن مكان المولد النبوی الشريف:

«المولد النبوی الشريف: هو المكان الذی ولد فيه رسول الله (ص)، وهو الشعب الذی كان يسكنه بنو هاشم، وفيه حاصرتهم قريش عند بعثته؛ وكان هذا المكان اتخذ مسجداً، ثم هدم لكثرة تبرك الناس به، ثم بنيت فی المكان عمارة حسنة جعلت مقراً لمكتبة مكة، وهی مكتبة عامة يرتادها طلبة العلم، بناها الشيخ عباس قطان سنة ١٣ (ع) ٠ ه- عمرها من ماله الخاص، واشترى مكتبة الشيخ ماجد كردی من أولاده، فجعلها أساس مكتبة مكة اليوم، ثم سلمها لوزارة الإعلام (كانت مديرية الإعلام) ثم سلمتها إدارة الإعلام للأوقاف. (٣)***

١- الطبعة الأولى، مكة المكرمة: مطبعة الترقی الماجدية، عام ١٣٢٩ ه-: ٢- ٣.

٢- تحفة الأنام فی مآثر البلد الحرام،: ۶.

٣- معالم مكة التاريخية والأثرية: ٢٩۴، انتهى الأمر بالمكتبة أخيراً إلى أن تكون تحت مظلة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

ص: ۱۱۸

شخصیات من الحرمین الشریفین (۲۶)

قیس بن عبادة الأنصاری

قیس بن سعد بن عبادة بن دلیم بن حارثة بن أبی خزیمة بن طریف بن الخزرج بن ساعدة بن کعب بن الخزرج الأنصاری الخزرجی الساعدی.

ویکنی: أبا الفضل، وقیل: أبو عبدالملک. (۱) کان أبوه سعد بن عبادة زعیماً للخزرج، و له ستة أولاد کلهم نصروا الإسلام ونبیه (ص) وقد ضمته مدرسة الصحبة لرسول الله (ص) بعد إسلامه، فجعلت منه صحابیاً جلیلًا، ذا مواقف کبیرة فی عهد رسول الله (ص) ومعه سعد بن معاذ زعیم الأوس، وکأنهما أبیا إلّا أن یکونا شریکین فاعلین فی کل معروف قدم للرسالة والرسول (ص) و للمهاجرین وفی کل موقف برّ وصدق وإخلاص، بدءاً بالسکن والطعام، ومروراً ببناء علاقات اجتماعیة مع المهاجرین کالزواج والعمل وحتی نصل إلی المشارکات الفعلیة فی المعارک والغزوات التی خاضها المسلمون ضد أعدائهم، فلا تجد شیئاً من ذلک إلّا ورأیت الأنصار بشقیهم الأوس والخزرج قد احتلوا مواقعهم المؤثرة والمثمرة والفاعلة.. ولا- یسعنی أن أتحدث عن أنصاری حتی أتحدث شیئاً ولو کان مختصراً عن هذه الجماعة وساحتها المعطاء، بما تحمله من مناقب کبیرة ورفیعة ومواقف جلیلة، ووفاء بما عاهدوا الله تعالی علیه حین بایعوا رسوله (ص).

أذکرمن مواقفهم:

* موقفاً شهد به القرآن الکریم، وقد تضافرت جهود الفریقین الخزرج و الأوس- بعد أن استجابت کل من القبیلتین للإیمان ولنداء التوحید، و لمشروع التآخی الذی جاء به رسول الله (ص)- لحمایة رسول الله (ص) و دعوته مما یحمون منه أنفسهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم، ولاستقبال المهاجرین من مکة وإیوائهم ونصرهم، فکان بحق إیواءاً عظیماً، یتضمن إنفاقاً کبیراً، وجهاداً لامثیل له، ویکفیهم شهادةً وتکریماً قوله تعالی:

والَّذِینَ آوَوْا ونَصَرُوا أولئِکَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ثمن ذلک لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ورِزْقٌ کَرِیمٌ إنها شهادة قرآنیة عظیمة، وجائزتها مغفرة من الله تعالی ورزق کریم، وهی جائزة ما أعظمها! وحتی وصفهم الله تعالی فی آیة أخری وَالَّذِینَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ والإیمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ یُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَیْهِمْ ولَا یجِدُونَ فِی صُدُورِهِمْ حَاجَةً ممَّا أوْتُوا ویُؤْثِرُونَ عَلیَ أنْفُسِهِمْ ولَوْ کَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ یُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (۲) وهنا أکتفی بما یقوله صاحب تفسیر (فی ظلال القرآن) فهو أدق وأجمل ما رأیت وهو یعرض هذه الصورة القرآنیة الرائعة، وهی تصف ما هم علیه من مناقب وعطاء، حین یتعرض لتفسیر هذه الآیة:

وهذه کذلک صورة وضیئة صادقة تبرز أهم الملامح الممیزة للأنصار؛ هذه المجموعة التی تفردت بصفات، وبلغت إلی آفاق، لولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً طائرة، ورؤیً مجنحة، ومثلًا

۱- هکذا ورد فی مختصر تاریخ دمشق ۱۰۲: ۲۱؛ أسد الغابة: حرف القاف.

۲- الحشر: ۹.

ص: ١١٩

عليا قـد صاغها خيال محلق. وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الـدَّارَ والإيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ أى دار الهجرة، يثرب مدينة الرسول (ص) وقد تبوأها الأنصار قبل المهـاجرين، كمـا تبوأوا فيهـا الإيمـان، وكأنه منزل لهم ودار، وهو تعبير ذوظلال، وهو أقرب ما يصور موقف الأنصار من الإيمان، لقد كـان دارهم ونزلهم ووطنهم الـذى تعيش فيه قلوبهم، وتسكن إليه أرواحهم، ويثوبون إليه ويطمئنون له، كما يثوب المرء ويطمئن إلى الدار.

يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إلَيْهِمْ ولَا يجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ممَّا أوُتوُا ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين بهذا الحب الكريم، وبهذا البذل السخى، وبهذه المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء واحتمال الأعباء، حتى ليروى أنه لم ينزل مهاجر فى دار أنصارى إلّا بقرعة، لأنّ عدد الراغبين فى الإيواء المتزاحمين عليه أكثر من عدد المهاجرين!

ولَا يجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً ممَّا أوُتوُا

مما يناله المهاجرون من مقام مفضل فى بعض المواضع، ومن مال يختصـمون به كهـذا الفيء، فلا يجـدون فى أنفسـهم شـيئاً من هذا، ولايقول: حسداً ولا ضيقاً، إنما يقول ":شيئاً "مما يلقى ظلال النظافة الكاملة لصدورهم والبراءة المطلقة لقلوبهم، فلا تجد شيئاً أصلًا.

ويُؤْثِرُونَ عَلىَ أنْفُسِهِمْ ولَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

والإيثار على النفس مع الحاجة قمة عليا، وقد بلغ إليها الأنصار بما لم تشهد البشرية له نظيراً، وكانوا كذلك فى كل مرة وفى كل حالة بصورة خارقة لمألوف البشر قديماً وحديثاً.

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأولئِک هُمُ الْمُفْلِحُونَ

فهـذا الشـحّ، شـحّ النفس، هو المعوق عن كـل خير؛ لأنّ الخير بـذل فى صورة من الصور، بـذل فى المال، بـذل فى العاطفـة، بـذل فى الجهـد، وبـذل فى الحيـاة عنـد الاقتضاء، وما يمكن أن يصـنع الخير شـحيح يهم دائماً أن يأخـذ ولا يهم مرةً أن يعطى، ومن يوق شـح نفسه، فقـد وقى هـذا المعوق عن الخير، فانطلق إليه معطياً باذلًا كريماً، وهذا هو الفلاح فى حقيقة معناه. "(١) وفعلًا بذل الأنصار المال والعاطفة والجهد والحياة .. فنالوا منزلة الفلاح كما شهدت بذلك السماء.

* موقفاً شهدت به الأخبار، حين تعاضدت فيه كلمته وكلمة زعيم الأوس الصحابى الجليل سعد بن معاذ الأنصارى حينما عرض عليهما رسول الله (ص) ما توصـلت إليه المفاوضات مع كل من عيينـة بن حصن بن حذيفـة بن بدر والحارث بن عوف بن أبى حارثة المرى، وهما قائـدا غطفان، التى شاركت مشاركةً فعالةً مع مشـركى قبائل قريش فى غزوة الخندق، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهمـا عنه وعن أصـحابه، فجرى بينه وبينهمـا الصـلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشـهادة ولا عزيمـة الصـلح، إلّا المراوضـة فى ذلـك، فلمـا أراد رسول الله (ص) أن يفعـل، بعث إلى سـعد بن معاذ وسـعد بن عبادة، فـذكر ذلك لهما، واسـتشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله! أمراً تحبه فنصـنعه، أم شـيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شـيئاً تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلّا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسرعنكم شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ:

١- سيد قطب «فى ظلال القرآن» تفسير سورة الحشر: ٩.

ص: ۱۲۰

يا رسول الله! قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لايطمعون أن يأكلوا منها ثمرةً إلّا قرًى أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطهم أموالنا، والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلّا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم.

قال رسول الله (ص): فأنت وذاك فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا. (۱) نشأته وإسلامه:

فی هكذا بيت كريم وعريق ولد قيس بن سعد، ونشأ وتربى، صحيح أننى لم أجد مصدراً يؤرخ لولادة قيس، إلّا أنّ عمره حين هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة لعله كان قرابة ستة عشر عاماً.

صار قيس بعد إسلامه- حين جاء به أبوه إلى رسول الله (ص)- نقيباً من نقباء الأنصار، وحظى بصحبة مباركة لرسول الله (ص)، ونال شرف خدمته عشر سنوات، وكان صاحب لوائه فی بعض غزواته، واستعمله على الصدقة ..

صفاته:

كان أديباً شاعراً وخطيباً محاوراً جريئاً لا يفوته شيء .. يظهر هذا كله فی حواراته، و ردوده على معاوية وغيره كما سيأتی.

كما كان رجلًا شجاعاً مقداماً، زاده الله تعالى قوةً فی الجسم، وبسطةً فی الطول حتى أنه فاق الناس طولًا، تشاهد رجلاه يخطان الأرض وهو على فرسه، وقد ذكر ابن عساكر فی تاريخه خبراً: أنّ ملك الروم أرسل إلى معاوية أن ابعث إلىّ بسراويل أطول رجل من العرب، فقال لقيس بن سعد: ما نظننا إلّا قد احتجنا إلى سراويلك؛ فقام، فتنحى، فجاء بها، فألقاها إلى معاوية، فقال: يرحمك الله، وما أردت إلى هذا؟ ألّا ذهبت إلى بيتك، فبعثت بها؟! فقال قيس من الطويل:

أردت بها أن يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

و ألا يقولوا: غاب قيس وهذه سراويل عادیّ نمته ثمود

و إنی من الحی اليمانی لسيد و ما الناس إلّا سيد ومسود

فكدهم بمثلی إنّ مثلی عليهم شديدوخلقی فیالرجالشديد

فأمر معاوية بأطول رجل فی الجيش، فوضعها على أنفه، فوقعت فی الأرض؛ فدعا له بسراويل، فلما جاء بها، قال له قيس: نح عنك ثيابك هذه.

فقال معاوية من البسيط:

۱- أنظر السيرة النبوية لابن هشام ۲۳۴: ۳، وغيرها.

ص: ١٢١

أما قريش فأقوام مسرولة و اليثربيون أصحاب التبابين

فقال قيس من البسيط:

تلك اليهود التى- يعنى- ببلدتنا كما قريش هم أهل السياخين. (١)

* وقد بانت عليه قدرات الزعامة وهو بعد صبياً، وظل قومه ينظرون إليه ويتعاملون معه كقائد وزعيم رغم حداثة سنه، حتى نقل قولهم المشهور: «لو استطعنا أن نشترى لقيس لحيةً بأموالنا لفعلنا» وهو قول يحكى لنا ما عليه الرجل من مقومات قيادية توفرت فيه، ولا ينقصه شيء منها إلّا اللحية فى أعرافهم، وقد علت وجوه رجالهم، ولهذا صدر منهم قولهم المذكور، الذى يتضمن اعترافهم بملاكاته تلك، وهو اعتراف من الصعب أن يصدر منهم إذا ما عرفنا طبيعتهم وشموخهم وتعاليهم ..

* وقد نسب إلى رسول الله (ص) أنه قال:

«إنّ الجود شيمة أهل هذا البيت»، «أما أنه فى بيت جود»!

يا لها من شهادة عظيمة!

وافق قيس أهله بصفات جميلة "جود وسخاء ومروءة "حتى أصبح مثلًا بالجود والكرم؛ نعم هناك صفات جليلة، الجود والكرم والسخاء طغت كلها على سلوكه وسيرته وسيرة أبيه سعد بن عبادة، وجده من قبل، واشتهر بينهم بها، فقد غدا قيس منزلًا للقرى، فكانوا يجدون عنده المأوى الذى يؤوى إليه، فيقرى الضيف، ويشبع الجائع، ويكسى العريان، وتقضى حاجة المحتاج، وكان الناس يقولون: «من أحب الشحم واللحم فليأت أطم دليم بن حارثة» وهو الجد الثانى لقيس؛ وكان ينادى له مناد من فوق مرتفع: هلموا إلى اللحم والثريد، هلم إليه أيها الغريب .. حتى كان يوقد ناره ليلًا وهى عادة الكرام يومذاك، ليهتدى إليها الغريب السارى ليلًا والضال، والذى يبحث عما يجد عنده أمانه وزاده .. وكان بهذا يفعل كما كان أبوه وجده يفعلان.

ومما جاء فى سخائه وكرمه أنّ قيساً اشترك مع ثلاثمائة صحابى فى غزوة سيف البحر بقيادة أبى عبيدة بن الجراح، فأصابهم فيها جوع شديد وفنى ما معهم من زاد، فقام قيس فذبح ثلاثة جمال له، وبعد مدة ذبح ثلاثة أخرى، ثم ذبح لهم ثلاثة أخرى، حتى نهاه أبوعبيدة عن ذلك حين رزق الله الجيش بحوت كبير، ظلوا يأكلون منه ثمانية عشر يوماً، وعندما عادوا للنبى (ص) و ذكروا له ذلك، قال عن قيس: «أما أنه فى بيت جود».

ولهذا ولكثرة ما عرف به قيس من السخاء والكرم، حتى ورد أنه كان يستدين ويطعم المجاهدين فى سبيل الله تعالى، دفع ذلك بعض الصحابة كأبى بكر وعمر، أو أنهما تحدثا يوماً عن سخائه وكرمه، إلى القول ":لو تركنا هذا الفتى لسخائه لأهلك مال أبيه "فلما سمع سعد ذلك قام عند النبى (ص) فقال ":من يعذرنى من ابن أبى قحافة وابن الخطاب يبخلان على ابنى "ولما اشتكى لأبيه ما زعمه بعضهم أنه لا مال لى

١- أنظر مختصر تاريخ دمشق ١١٣: ٢١- ١١۴ ترجمته. التبان: بالضم والتشديد، سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة. ومن طريق آخر أورده الحافظ: «السخاخين» السخينة: حساء يؤكل فى الجدب، وكانت قريش تعير به.

ص: ۱۲۲

وإنما المال لأبی، قال لهم: أبی یقضی عن الأباعد، ویحمل الکل، ویطعم فی المجاعة ولا یصنع هذا بی، فلما سمع أبوه هذا منه قال له: فلک أربع حوائط (بساتین) وکتب بذلک کتاباً وأشهد علیه ..

وعرف قیس بأنه کان یطعم الناس فی أسفاره مع النبی (ص)، وکانت لقیس بن سعد صحفة یدار بها حیث دار وکان إذا نفد ما معه تدین، وکان ینادی فی کل یوم: هلموا إلی اللحم والثرید.

و وقفت علی قیس بن سعد عجوز، فقالت: أشکو إلیک قلة الجرذان، فقال قیس: ما أحسن هذه الکنایة! املؤوا بیتها خبزاً ولحماً وسمناً وتمراً.

و فی روایة ابن عبد البر فی الاستیعاب قال لها: ما أحسن ما سألت! أما والله لأکثرن جرذان بیتک، فملأ بیتها طعاماً وودکاً (دسماً) ..

و کان قیس إذا جاءه من یرد له دینه یقول له: إنا لا نعود فی شیء أعطیناه؛ أو إنا قوم إذا أعطینا شیئاً لم نرجع فیه، وذلک لما أقرض رجلًا ثلاثین ألفاً فجاء یقضیه.

وفی روایة أنّ قیس بن سعد باع أرضاً من معاویة بتسعین ألفاً، فقدم المدینة فنادی منادیه: من أراد القرض فلیأت، فأقرض منها خمسین ألفاً وأطلق الباقی، ثم مرض بعد ذلک فقل عواده، فقال لزوجته: قریبة بنت عتیق أخت أبی بکر: إنی أری قلة من عادنی فی مرضی هذا، و إنی لأری ذلک من أجل مالی علی الناس من القرض، فبعث إلی کل رجل ممن کان له علیه دین بصکه المکتوب علیه، فوهبهم ماله علیهم؛ وقیل: إنه أمر منادیه فنادی: من کان لقیس بن سعد علیه دین فهو منه فی حل، فما أمسی حتی کسرت عتبة بابه من کثرة العواد.

و فی خبر لما مرض قیس فاستبطأ إخوانه عن عیادته، سأل عنهم، فقیل: إنهم یستحون مما لک علیهم من الدین، فقال: أخزی الله مالًا یمنع الأخوان من الزیارة، ثم أمرمنادیاً لینادی: من کان لقیس علیه دین، فهو فی حل منه، فکسرت درجته بالعشی لکثرة من عاده.

و قد عرف جمع من الأشراف بالکرم، فغدا الناس یتحدثون بسخائهم و جودهم، و کل فریق یبالغ فی وصف من یراه الأکرم والأسخی، فعن خبر الهیثم بن عدی أنه اختلف ثلاثة عند الکعبة فی أکرم أهل زمنهم، فقال أحدهم: عبد الله بن جعفر، وقال الآخر: قیس بن سعد، وقال الآخر: عرابة الأوسی، فتماروا فی ذلک حتی ارتفع ضجیجهم عند الکعبة؛ فقال لهم رجل: فلیذهب کل رجل منکم إلی صاحبه الذی یزعم أنه أکرم من غیره، فلینظر ما یعطیه و لیحکم علی العیان.

فذهب صاحب عبد الله بن جعفر إلیه، فوجده قد وضع رجله فی الغرز لیذهب إلی ضیعة له، فقال له: یابن عم رسول الله ابن سبیل ومنقطع به؛ قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلک واستو علیها فهی لک بما علیها، وخذ ما فی الحقیبة، و لا تخدعن عن السیف فإنه من سیوف علی، فرجع إلی أصحابه بناقة عظیمة، وإذا فی الحقیبة أربعة آلاف دینار، ومطرف من خز وغیر ذلک، وأجل ذلک سیف علی بن أبی طالب.

و مضی صاحب قیس إلیه فوجده نائماً، فقالت له الجاریة: ما حاجتک إلیه؟ قال: ابن سبیل ومنقطع به. قالت: فحاجتک أیسر من إیقاظه، هذا کیس فیه سبعمائة دینار ما فی دار قیس مال غیره الیوم، واذهب إلی مولانا بغلامینا فی معاطن الإبل فخذ لک ناقةً وعبداً، واذهب راشداً. فلما استیقظ قیس من نومه،

ص: ۱۲۳

أخبرته الجارية بما صنعت، فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك. وقال: هلا أيقظتنى حتى أعطيه ما يكفيه أبداً، فلعل الذى أعطيته لايقع منه موقع حاجته.

و ذهب صاحب عرابة الأوسى إليه فوجده وقد خرج عن منزله يريد الصلاة وهو متوكئ على عبدين له- وقد كف بصره- فقال له: يا عرابة! فقال له: قل، فقال: ابن سبيل ومنقطع به. فخلى عن العبدين ثم صفق بيديه، باليمنى على اليسرى، ثم قال: أوه أوه، والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئاً، ولكن خذ هذين العبدين، قال: ما كنت لأفعل. فقال: إن لم تأخذهما فهما حران، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيده. فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه.

فحكم الناس على أنّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم، وأنّ ذلك ليس بمستنكر له، إلّا أنّ السيف أجلّها؛ وأنّ قيساً أحد الأجواد؛ حكم مملوكته فى ماله بغير علمه، واستحسن فعلها واعتقها شكراً لها على ما فعلت؛ وأجمعوا على أنّ أسخى الثلاثة عرابة الأوسى؛ لأنه جاد بجميع ما يملكك، وذلك جهد من مقل. (۱) ومثل هذه الروايات كثيرة فى تراثنا، ولعل القارئ يرى فى هذه الأخبار- وهى على ذمة أصحابها- التى تحكى لنا قصص الكرام، مبالغةً قد تصل إلى حد الخيال، ولكن تبقى صفات الكرم والسخاء والمروءة، من أروع ما اتصف به الإنسان العربى!

و حتى كتب الواقدى أنه كان من كرام أصحاب رسول الله (ص) و أسخيائهم، وحتى كتب الذهبى: جود قيس يضرب به المثل ..

وكيف لايكون قيس كذلك جواداً كريماً و ذا مروءة، وهو الذى طالما كان يدعو ربه، وقد عرف بكثرة الدعاء، ويقول: أللهم ارزقنى مالًا وفعالًا، فإنه لايصلح الفعال إلّا بالمال! أللهم إنه لايصلحنى القليل، ولا أصلح عليه! أللهم هب لى حمدا ومجداً، فإنه لامجد إلّا بفعال، ولا فعال إلّا بمال، أللهم لايصلحنى القليل، ولا أصلح عليه!

وهو الذى كان حبّ صفات الكرام ويتغنى بها، حيث يقول: تمنيت أن أكون فى حال رجل رأيته! أقبلنا من الشام، فإذا نحن بخباء، فقلنا: لو نزلنا هاهنا، فإذا امرأة فى الخباء، فلم تلبث أن جاء رجل بذود (القطيع من الإبل الثلاث إلى التسع) له، فقال لامرأته: من هؤلاء؟ قالت: قوم نزلوا بك. فجاء بناقة فضرب عرقوبيها، ثم قال: دونكم ... فنحرناها. فلما كان من الغد جاءنا بأخرى ... فقلنا: اللحم عندنا كما هو. قال: إنا لانطعم أضيافنا الغاب (اللحم البائت). قال قيس: فقلت لأصحابى: إنّ هذا الرجل إن أقمنا عنده لميبق عنده بعير، فارتحلوا بنا. فقلت لقيمى: اجمع ما عندك، قال: ليس إلّا أربعمائة درهم. قلت: هاتها، وهات كسوتى ... فدفعناه إلى امرأته، ثم سرنا، فلم نلبث أن رأينا شخصاً ... فقلت: واسوأتاه! استقل والله ما أعطيناه ... فقال: دونكم متاعكم، فخذوه، فقلت: والله ما كان إلّا مارأيت، ولقد جمعنا ما كان عندنا، قال: إنى والله لم أذهب حيث تذهبون، فخذوه، قلنا: فلانأخذه، قال: والله لأميلن عليكم برمحى ما بقى منكم رجل أو تأخذونه، قال: فأخذناه، فولى وقال: إنا لانبيع القرى.

هذا من شيم الكرام فالقرى لايباع، يا له من موقف ما أروعه وأجمله!

۱- أنظر فى هذا مختصر تاريخ دمشق ۱۰۹: ۲۱- ۱۱۰.

ص: ۱۲۴

وتفرد بأخرى عن أهل بيته، فقد عرف قيس بذكاء ودهاء وفطنة، و بالتالى مكر وكيد وخداع.

لقد كان الرجل يتمتع بهذه القدرات الخاصة، وقد لانجد مثيلًا لها إلّا عند القلة من البشر، وهو أمر لمسه من يعيشون معه، فكانوا يحسبون له ولما يحمله من تلك القدرات ألف حساب، فقد كان يعرف بدهاء عجيب، وذكاء حاد، وفطنة قلّ نظيرها، ظهرت على سيرته ومن خلال تعامله مع من حوله، حتى صاروا يحذرونه فى تعاملاتهم، وفيما يطرحونه من آراء، وفيما يتفوهون به من أقوال، وما يتخذونه من مواقف، فردوده تتسم بالسرعة والدقة واللباقة بل بالمخادعة والمكر .. وقد عرف بأنه واحد ممن هم لايتجاوزون أصابع اليد بالدهاء والمكر والكيد، حتى اشتهروا بأنهم من دهاة العرب، يقال لهم ذوو رأى العرب فى مكيدتهم: معاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعى، وقيس بن سعد؛ و كان قيس و ابن بديل مع على (ع)، فيما وقف الأول والثانى ضد الإمام على (ع)، وظلّ المغيرة معتزلًا بالطائف وأرضها إلى حين. (۱) كلّ هذا كان وقيس يعيش الجاهلية بكل ما تحمله، أى قبل إسلامه، لكنه ما أن أعلن إسلامه حين أخذه أبوه سعد بن عبادة إلى رسول الله (ص) قائلًا: هذا خادمك يا رسول الله! فأسلم على يديه، وصدق فيه حتى تغيرت حياته، وغدا يتعامل تعاملًا آخر يتناسب وإسلامه وأخلاق الدين الجديد وقيمه ومبادئه، حيث تغير تغيراً جذرياً وكلياً، وهو ما جعل قيس يضحك ويقول حين يتذكر تلك الأيام والمواقف والأحداث المتصفة بدهائه عبر مكره وخداعه وكيده ":لولا ـ الإسلام لمكرت مكراً لا ـ تطيقه العرب "ويقول أيضاً ":لولا ـ أنى سمعت الرسول (ص) يقول: «المكر والخديعة فى النار»، لكنت من أمكر هذه الأمة."

إنّ أروع ما قرأته عن الرجل قدرته على الدهاء وعلى الإمساك به فى الوقت ذاته، فالدهاء الذى يتمتع به لم يترك قيس له العنان، ويجعله مطلقاً كما هو حال معاوية وابن العاص اللذين لم يتقيدا بشرع، فيما قيده قيس بالشرع، نعم كما كانت له قدرة على الدهاء كانت له القدرة على ضبطه بضوابط دينه.

كتب الشيخ عبدالحسين الأمينى فى الغديرعن قيس: شهرته بالدهاء مع تقيده بالدين وكلاءته حمى الشريعة والتزامه البالغ فى إعمال الرأى بمايوافق رضا مولاه سبحانه، وكفه عما يخالف ربه، نثبت لقيس الأولوية والتقدم والبروز بين دهاة العرب، ولا يعادله من الدهاة الخمسة المشهورين أحد إلّا عبد الله بن بديل؛ وذلك لاشتراكهما فى المبدإ، والتزامهما بالدين الحنيف، والكفّ عن الهوى، والوقوف عند مضلات الفتن ..

أقول: إنّ لقيس و ابن بديل أسوة بالإمام على (ع) حين يقول فى معاوية: «والله، ما معاوية بأدهى منى، ولكنه يغدر ويفجر؛ و لولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة؛ والله ما أستغفل بالمكيدة، ولا أستغمز بالشديدة». (۲) وفعلًا اعترف الناس بذلك وبمؤامراته التى كان يحيكها، والتى تبين قدرته على الخديعة والكيد والمكر، وهم عاجزون عن ردها والتغلب عليها، ولكنهم وقفوا مبهورين بما رأوه منه بعد إسلامه، وكيف حوله من

۱- أنظر مختصر تاریخ دمشق ۱۰۸: ۲۱- ۱۱۰، قیس، بتصرف.

۲- نهج البلاغة، صبحی الصالح: ۳۱۸.

ص: ۱۲۵

ذاك الـذى عرف به بينهم وفى أوساطهم إلى مؤمن يتسم بالأمان والاسـتقامة والصـدق والوديعـة والطمأنينـة .. وصار عند النبى (ص) حسن التـدبير وذا فكر سـليم إضافـةً إلى شـجاعته وبسالته وإقدامه، وظلّ قريباً للنبى (ص) وملازماً له حتى قال عنه أنس: كان قيس بن سعـد بن عبادة من النبى (ص) بمنزلـة صاحب الشـرطة من الأمير، وظلّ حاملًا لواء الأنصار مع رسول الله (ص) وشـهد معه غزواته حتى أنّ رسول الله (ص) أخـذ الرايـة من أبيه سـعد يوم فتـح مكـة وأعطاهـا لابنه قيس لبطولته وفروسـيته .. وبقى هكـذا أميناً وصاحب عهد وميثاق، ورجلًا وفياً بارزاً طيلة حياته، حتى وافاه أجله رضوان الله تعالى عليه.

نصرته للحق:

وهناك صـفة أخرى تألقت فيه حتى غدت علامةً واضـحةً رافقته طيلة حياته المليئة إيماناً وجهاداً ومواقف ثمينةً، إنها نصـرة الحق، ولا تأخذه فى ذلك لومة لائم، إنها الشـجاعة توأم الجود، إنه الإقدام المنبثق من الحق وللحق، الحاضر فى جميع مشاهده، التى استبسل بها تحت رايـة رسول الله (ص) وحتى بعـد رحيله (ص) إلى الملكوت الأعلى، قـد تجلت شـجاعته مواقف عظيمـةً واعيةً يضـعها بين يدى الإمام على (ع)، لما علم أنّ علياً مع الحق والحق مع على.

فحين نقضت طائفـة عهـد البيعـة للإمـام على (ع)، وحينمـا أعلن معاويـة تمرده على الإمام على (ع) وحربه، وحين مرقت أخرى، وقف قيس مع الجـانب الـذى تمثـل فيه الحق والعـدل، فنهض إلى جـانب الإمـام على (ع) قوياً عزيزاً لا ـ يلين، متيقناً لاينتابه شك فى ذلك ولاـريب، متوثباً لايخشـى لومـة لائم، وإذا به يتألق فى كل معارك الحق ضـد الباطل يقاتل الناكثين والقاسـطين والمارقين فى معركة الجمل ومعركة صفين فالنهروان، وهو يحمل لواء الأنصار وصوته يعلو سماء المعارك هذه:

هذا اللواء الذى كنا نحفّ به مع النبى، وجبريل لنا مدد

ما ضر من كانت الأنصار عيبته ألا يكون له من غيرهم أحد

قوم إذا حاربوا طالت أكفهم بالمشرفية حتى تفتح البلد. (۱)

يـذكرنى وعيه الرسالى هـذا بموقف الصـحابى الجليل عمار بن ياسـر، وذلك لما وقف عمار يرشـد من جاءه مسترشـداً، فقال له: «هل تعرف صاحب الرايـة السوداء المقابلـة لى؟ فإنها رايـة عمروبن‌العاص، قاتلتها مع رسول الله (ص) ثلاث مرات، وهـذه الراية ما بخيرهن ولا أبرهن، بل هى أشرهن وأفجرهن! أشهدت بدراً وأحداً وحنيناً، أو شهـدها لك أب يخبرك عنها؟ قال: لا.

قـال: فـإنّ مراكزنـا على مراكز رايـات رسول الله (ص) يوم بـدر ويوم أحـد ويوم حنين، وإنّ هؤلاـء على مراكز رايـات المشـركين من الأحزاب."

وفى رواية مشابهة أنّ عماراً قال: والذى نفسى بيده، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعرفت أنّ مصلحتنا على الحق، وأنهم على الضلالة (على الباطل). (۲)

۱- أنظر كتاب الجمل ۳۴۲- ۳۴۳.

۲- أنظر مختصر تاريخ دمشق ۲۰۶: ۱۸ وغيره.

ص: ۱۲۶

فإن دل هـذا علی شیء وهو یـدل قطعاً، فإنه یدل علی وعی دقیق بالوضع القائم والأحداث التی حصلت، وعلی إلمام بالرؤیۀ الرسالیۀ فی الأحـداث الجاریـۀ وبصـیرۀ بهـا، مهمـا تلبست بأغطیـۀ هـدفها أن تعمی الرؤیـۀ عن الحقیقـۀ .. وهو وعی افتقـدته طائفـۀ کـبیرۀ من المسـلمین، فیمـا عمت أخری وصـمت غیرهـا، فـآلت الأـمور إلی فتنـۀ ترکت آثارها السـیئۀ علی الساحـۀ یومـذاک، بل وعلی الأجیال المتعاقبۀ ..

إذن فهو صـاحب بصیرۀ فی الأـمور، ونظرۀ بعیـدۀ، وذو حزم وحنکـۀ، و قـد حظی بهـذا باتفـاق المؤرخین وإطبـاقهم، ومن ذلک قوله للإمام علی (ع):

یا أمیرالمؤمنین ما علی الأرض أحد أحب إلینا أن یقم فینا منک، لأنک نجمنا الذی نهتدی به، ومفزعنا الذی نصیر إلیه، ولکن والله لو خلیت معاویـۀ للمکر، لیرومن مصـر، ولیفسـدن الیمن، ولیطمعن فی العراق، ومعه قوم یمانیون قد أشـربوا قتل عثمان، وقد اکتفوا بالظن عن العلم، وبالشک عن الیقین، و بالهوی عن الخیر، فسر بأهل الحجاز وأهل العراق، ثم أرمه بأمر یضیق فیه خناقه، ویقصر له من نفسه. فقال: أحسنت والله یا قیس ..

وحین دعـاه معاویـۀ لمفارقـۀ علی (ع) و منـاه حین تفرق عنه النـاس، فکتب إلیه کمـا ینقل الزمخشـری: یا وثن ابن وثن! تـدعونی إلی مفارقـۀ علی بن أبی طالب والـدخول فی طاعتک، وتخوفنی بتفرق أصـحابه عنه، وانثیال الناس علیک وإجفالهم إلیک، فوالله الـذی لا إله غیره، لاسالمتـک أبـداً وأنت حربه، ولاـ دخلت فی طاعتـک وأنت عـدوه، ولا اخترت عـدو الله علی ولیه، و لاحزب الشـیطان علی حزبه.

ویروی أنه بعد محاججۀ طویلۀ جرت بین قیس ومعاویۀ، وقعت بعد اسـتتباب الأمر لمعاویۀ، قال قیس فی جملتها: ولعمری ما لأحد من الأنصار ولا لقریش، ولا لأحـد من العرب والعجم فی الخلافـۀ حق مع علی (ع) وولده من بعده، فغضب معاویۀ وقال: یابن سـعد، عمن أخـذت هـذا وعمن رویته وعمن سـمعته؟ أبوک أخبرک وعنه أخذته؟ فقال قیس: سـمعته ممن هو خیر من أبی، وأعظم علی حقاً من أبی، قال: من؟ قال: علی بن أبی طالب (ع) عالم هذه الأمۀ وصدیقها..

قالوا فی ولائه:

عرف قیس بحبه وولائه لأهل البیت (علیهم السلام)، وهو الذی کان فی غدیرخم یهتف قائلًا:

و علی إمامنا و إمام لسوانا أتی به التنزیل

حین قال النبی من کنت مو لاه فهذا مولاه خطب جلیل

إنّ ما قاله النبی علی الأمۀ حتم ما فیه قال و قیل

وهذا بعض ما قالوه فی ذلک:

یقول المیرداماد: هو من خلص أنصار رسول الله (ص) ومن العشرۀ الذین نصروه .. ومن أصفیاء أولیاء أمیرالمؤمنین (ع).

فیما قال الفضل بن شاذان: هو من السابقین الذین رجعوا إلی أمیرالمؤمنین (ع) وذکر العلامۀ هذا وأضاف: وهو مشـکور، وذکر أنه لم یبایع غیر إمامه فیما عرفه إبراهیم الثقفی فی کتابه الغارات أنه: من شیعۀ علی.

ص: ۱۲۷

أمّا ابن أبی الحدید فیصفه بأنه: من كبار شیعة أمیر المؤمنین (ع)، وقائل بمحبته و ولائه .. و مخلص فی اعتقاده.

و ذكره السید الخوئی فی معجمه: عده الشیخ تارةً فی أصحاب رسول الله (ص) وأخری فی أصحاب علی (ع) قائلًا: قیس بن سعد بن عبادة وهو ممن لم یبایع أبا بكر؛ وثالثة فی أصحاب الحسن (ع) ...

و عده البرقی فی آخر رجاله من المنكرین علی أبی بكر، وهم اثنا عشر رجلًا وقال: ثم قام قیس بن سعد بن عبادة فقال: یا معشر قریش قد علم خیاركم أنّ أهل بیت رسول الله (ص) أحق بمكانه فی سبق سابقة وحسن عناء، وقد جعل الله هذا الأمر لعلی بمحضر منكم وسماع أذنیكم، فلا ترجعوا ضلالًا فتنقلبوا خاسرین.

وفی ترجمة البراء بن مالك أنه من السابقین الذین رجعوا إلی أمیرالمؤمنین (ع).

و فی ترجمة البراء بن عازب: أنه ممن شهد بسماعه من رسول الله (ص) قوله یوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلی مولاه.

وتقدم فی ترجمة عبید الله بن العباس خطبته فی ذم عبید الله ونصرة الحسن (ع) وكتابه إلی الحسن (ع) بعد لحوق عبید الله بمعاویة.

وله خطبة جمیلة یحرض فیها الإمام أمیر المؤمنین (ع) علی قتال معاویة حین بلغ علیاً (ع) مسیر طلحة والزبیر، فقال له أمیر المؤمنین (ع): أحسنت یا قیس وأجملت. (۱) ذكر یونس بن عبد الرحمن فی بعض كتبه: أنه كان لسعد بن عبادة ستة أولاد، كلهم قد نصر رسول الله (ص) وفیهم قیس بن سعد بن عبادة، وكان قیس أحد العشرة الذین لحقوا النبی (ص) من العصر الأول ممن كان طولهم عشرة أشبار بأشبار أنفسهم، وكان شبر الرجل منهم یقال إنه مثل ذراع أحدنا، وكان قیس وسعد أبوه طولهما عشرة أشبار بأشبارهما، ویقال إنه كان من العشرة: خمسة من الأنصار، أربعة من الخزرج كلها، ورجل من الأوس؛ و سعد لم یزل سیداً فی الجاهلیة والإسلام، و أبوه وجدّه وجدّ جدّه لم یزل فیهم الشرف، وكان سعد یجیر فیجار له وذلك لسؤدده، ولم یزل هو وأبوه أصحاب إطعام فی الجاهلیة والإسلام، وقیس ابنه بعده علی مثل ذلك. (۲) وأقوال أخری فیه:

جمع فضائل أخری من مكارم الأخلاق ومحاسنها، راح عدد من المؤرخین وعلماء الرجال یذكرونها له، وهذه أقوال بعضهم:

أبوعمر: كان قیس أحد الفضلاء الجلة، وأحد دهاة العرب، وأهل الرأی والمكیدة فی الحروب، مع النجدة والبسالة والسخاء والكرم، وكان شریف قومه غیر مدافع هو وأبوه.

المبرد: كان قیس بن سعد شجاعاً جواداً.

ابن كثیر: كان سیداً مطاعاً، ممدوحاً شجاعاً، و كانت له صفة یدار بها حین یدار.

۱- كما فی أمالی الشیخ الطوسی ۲: فی مجلس یوم الجمعة/ ۲۳ ذی الحجة/ سنة ۴۵۷.

۲- أنظر: اختیار معرفة الرجال، الشیخ الطوسی ۳۲۷: ۱؛ معجم رجال الحدیث للسید الخوئی ۱۵: ترجمة قیس بن سعد؛ أعیان الشیعة للسید محسن الأمین: ترجمته.

ص: ۱۲۸

و جمع الخطیب البغدادی لقیس الشجاعة مع البطولة والسخاء مع الکرم ...

فیما قال الزرکلی: هو أحد الأجواد المشهورین وکان شریف قومه ...

ابن شهاب کما أخرج البغوی: کان قیس حاملًا رایة الأنصار، مع رسول الله ۹ وکان من ذوی الرأی من الناس ..

و أیضاً قال عنه ابن کثیر: کان قیس یقادم بدهائه وسیاسته معاویة وعمرو بن العاص .. وکتب الحلبی فی سیرته: من وقف علی ما وقع بینه وبین معاویة لرأی العجب ...

قیس مبعوثاً:

لمکانته الکبیرة وقدرته، کان یسجل حضوراً فی بعوث رسول الله (ص) و الإمام علی (ع) إلی بعض المناطق والبلدان، فقد کانت لرسول الله (ص) سرایا و بعوث عدیدة بقیادة علی (ع) أو صحابی من الصحابة، فحظی قیس ببعضها، فقد ذکر محمد بن سعد فی الطبقات: أخبرنا محمد بن عمر الأسلمی حدثنی شیخ من المصطلق عن أبیه أنّ رسول الله (ص) لما انصرف من الجعرانة سنة ثمان، بعث قیس بن سعد بن عبادة إلی ناحیة الیمن وأمره أن یطأ صداء (قبیلة من الیمن) فعسکر بناحیة قناة فی أربعمائة من المسلمین، وقدم رجل من صداء فسأل عن ذلک البعث، فأخبروه، فخرج سریعاً حتی ورد علی رسول الله (ص) فقال: جئتک وافداً علی من ورائی فأردد الجیش وأنا لک بقومی، فردهم رسول الله (ص) فقدم منهم بعد ذلک علی رسول الله (ص) خمسة عشر رجلًا فأسلموا و رجعوا إلی بلادهم ففشا فیهم الإسلام، فوافی النبی (ص) مائة رجل منهم فی حجة الوداع.

ولعله البعث نفسه لکن بعبارة أخری أو هو غیره حین ذکروا أنه (ص) أرسل قیس بن سعد فی أربعمائة نفر إلی قبیلة صداء من قبائل مذحج، التی تسکن نجران وما یجاورها؛ لأنّ نجران کانت تشکل منطقة استراتیجیة، و طریقاً آمناً بین الحجاز والیمن، وقبائل مذحج لم تسلم إلّا بعد أن حاربها أمیرالمؤمنین (ع)..

لما تمت البیعة للإمام علی (ع) بالخلافة، کان واحداً من ثلاثة بعثهم الإمام علی (ع) إلی الکوفة، لخلع أبی موسی الأشعری عنها؛ لما بلغه أنه یخذل أهل الکوفة عن اللحاق به نحو البصرة: «... وقد بعثت إلیک الحسن وعماراً وقیساً، فأخل لهم المصر وأهله، واعتزل عملنا مذؤوماً مدحوراً ...». (۱) ولما نکث کل من الزبیر وطلحة بیعتهما للإمام، وتوجها إلی البصرة وقد اصطحبا معهما عائشة، کما جاء فی کتاب قثم بن عباس- الذی استخلفه علی المدینة- إلی علی یخبره أنّ طلحة والزبیر وعائشة قد خرجوا من مکة، یریدون البصرة، و قد استنفروا الناس فلم یخف معهم إلّا من لا یعتد بمسیره، ومن خلفت بعدک فعلی ما تحب.

فلما قدم علی علی (ع) کتابه غمه ذلک، وأعظمه الناس، وسقط فی أیدیهم. وکما جاء- أیضاً- بکتاب أخیه عقیل بن أبی طالب: ... وإنی خرجت معتمراً، فلقیت عائشة معها طلحة والزبیر وذووهما، وهم متوجهون إلی البصرة، فقد أظهروا الخلاف و نکثوا البیعة ...

کان لقیس موقف یشخص فیه أموراً مهمةً، ویدعو الإمام علیاً (ع) لمواجهة هؤلاء الناکثین، فقال: یا أمیرالمؤمنین، إنه والله ما غمنا بهذین الرجلین کغمنا بعائشة؛ لأنّ هذین الرجلین حلالا الدم عندنا،

۱- الإمامة والسیاسة، لابن قتیبة الدینوری ۸۱: ۱.

ص: ۱۲۹

لبیعتهما و نکثهما، ولأنّ عائشة من علمت مقامها فی الإسلام، و مکانها من رسول الله (ص)، مع فضلها ودینها وأمومتها منا ومنک، ولکنهما یقدمان البصرة، ولیس کل أهلها لهما، وتقدم الکوفة، وکل أهلها لک، وتسیر بحقک إلی باطلهم، و لقد کنا نخاف أن یسیرا إلی الشام، فیقال: صاحبا رسول الله وأم المؤمنین، فیشتد البلاء، وتعظم الفتنة، فأما إذا أتیا البصرة وقد سبقت إلی طاعتک، وسبقوا إلی بیعتک، وحکم علیهم عاملک، ولا ـ والله ما معهما مثل ما معک، ولا یقدمان علی مثل ما تقدم علیه، فسر فإنّ الله معک، وتتابعت الأنصار فقالوا وأحسنوا. (۱) و بعد کلامه هذا کان واحداً من وفد ضم ثلاثة فی خبر أو أربعة فی خبر آخر: الحسن بن علی (ع) وعبد الله بن عباس وعماربن یاسر وقیس بن سعد بن عبادة حین نزلوا الکوفة، و معهم کتاب أمیرالمؤمنین (ع).

و قد خطب الإمام الحسن (ع) یستنفر أهلها لمعرکة الجمل، وبعد خطبة عمار، قام قیس خطیباً فقال:

«أیها الناس! إنّ هذا الأمر، لو استقبلنا فی الشوری، لکان أمیرالمؤمنین (ع) أحق الناس به، لمکانه من رسول الله (ص) وکان قتال من أبی ذلک حلالًا، فکیف فی الحجة علی طلحة والزبیر، وقد بایعاه طوعاً، ثم خلعاه حسداً وبغیاً، وقد جاءکم علی فی المهاجرین والأنصار»، ثم أنشأ یقول:

رضینا بقسم الله إذ کان قسمنا علیاً و أبناء الرسول محمد

وقلنالهم أهلًا وسهلًا ومرحباً بمد یدینا من هدًی وتودّد

فما للزبیر الناقض العهد حرمة و لا لأخیه طلحة الیوم من ید

أتاکم سلیل المصطفی ووصیه و أنتم بحمد الله عارضة الندی

فمن قائم یرجی بخیل إلی الوغی و ضم العوالی و الصفیح المهند

یسود من أدناه غیر مدافع وإن کان ما تقضیه غیر مسود

فإن یأت ما نهوی فذاک نریده و إن تخط ما نهوی فغیر تعمد. (۲)

ولایة مصر:

فی هذه الفقرة نتناول أمراً مهماً فی ملف حیاة هذا الصحابی الجلیل، یعد الأکثر إثارةً فی سیرته و جدلًا، فقد دعاه الإمام علی (ع) وأرسله والیاً له علی مصر، فی شهر صفر سنة ست وثلاثین هجریة، حین عین عماله وهو فی المدینة المنورة، بعد بیعته بالخلافة یوم الجمعة لخمس بقین من ذی الحجة سنة خمس وثلاثین، و قبل توجهه إلی معرکة الجمل فی جمادی الآخرة سنة ۳۶ هجریة قائلًا:

سر إلی مصر فقد ولیتکها، و اخرج إلی رحلک، و اجمع إلیک ثقاتک، و من أحببت أن یصحبک، حتی تأتیها ومعک جند، فإنّ ذلک أرعب لعدوک وأعز لولیک، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله، فأحسن إلی المحسن، واشتد علی المریب، و ارفق بالعامة والخاصة، فإنّ الرفق یمن.

۱- کتاب الجمل للشیخ المفید: ۲۴۶- ۲۴۷؛ کتاب وقعة صفین: ۱۵؛ الإمامة والسیاسة، لابن قتیبة الدینوری ۸۷: ۱.

۲- تاریخ الطبری ۳: أحداث سنة ۳۶.

ص: ۱۳۰

فقال له قیس بن سعد: رحمک الله یا أمیرالمؤمنین! فقد فهمت ما قلت، أما قولک: أخرج إلیها بجند، فوالله لئن لم أدخلها إلّا بجند آتیها به من المدینة لا ـ أدخلها أبداً، فأنا أدع ذلک الجند لک، فإن أنت احتجت إلیهم کانوا منک قریباً، وإن أردت أن تبعثهم إلی وجه من وجوهک کانوا عدةً لک، و أنا أصیر إلیها بنفسی وأهل بیتی؛ و أما ما أوصیتنی به من الرفق والإحسان، فإنّ الله عزّوجلّ هو المستعان علی ذلک.

فخرج فی سبعة نفر من أصحابه حتی دخل مصر، فصعد المنبر فجلس علیه، و أمر بکتاب معه من أمیر المؤمنین فقرئ علی أهل مصر، ... ومما جاء فیه: و قد بعثت إلیکم قیس بن سعد بن عبادة أمیراً، فوازروه، وکانفوه، و أعینوه علی الحق، و قد أمرته بالإحسان إلی محسنکم، والشدة علی مریبکم، و الرفق بعوامکم وخواصکم، و هو ممن أرضی هدیه، و أرجو صلاحه و نصیحته ...

ثم إنّ قیس بن سعد قام خطیباً، یدعو الناس للبیعة قائلًا بعد أن حمد الله وأثنی علیه وصلی علی محمد (ص): ألحمد لله الذی جاء بالحق، وأمات الباطل، وکبت الظالمین؛ أیها الناس! قد بایعنا خیر من نعلم بعد محمد نبینا (ص)، فقوموا أیها الناس فبایعوا علی کتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ص) فإن نحن لم نعمل لکم بذلک فلا بیعة لنا علیکم.

فقام الناس فبایعوا واستقامت له مصر وبعث علیها عماله، إلّا قریة خربتا (خرنبا، عند ابن الأثیر) من قری مصر لم تبایع، وأهلها کانوا یومئذ عشرة آلاف، قد أعظموا قتل عثمان، فبعث بعض رجالهم إلی قیس: إنّا لانقاتلک فابعث عمالک، فالأرض أرضک، ولکن أقرنا علی حالنا حتی ننظر إلی ما یصیر أمر الناس.

و وثب مسلمة بن مخلد الأنصاری وهو من رهط قیس، فنعی عثمان و دعا إلی الطلب بدمه.

فأرسل إلیه قیس: ویحک، علی تثب؟! فوالله ما أحب أن لی ملک الشام إلی مصر و أنی أقتلک؛ فبعث إلیه مسلمة: إنی کاف عنک ما دمت أنت والی مصر.

و بما أنّ قیساً کان له حزم و رأی، فبعث إلی الذین بخربتا: أنی لا أکرهکم علی البیعة، و أن أدعکم و أکف عنکم، فهادنهم وهادن مسلمة بن مخلد، و جبی الخراج، لیس أحد من الناس ینازعه. (۱) والذی یستظهر من الأخبار أنّ مصر لم تکن واحدةً فی موقفها من ولایة قیس، بل من خلافة أمیر المؤمنین (ع)، فهی ساحة قلقة تفرق أهلها بین مواقف شتی، وهو ما نراه جلیاً فیما جاء فی تاریخ الطبری: و أما قیس بن سعد، فإنه لما انتهی إلی أیلة لقیته خیل، فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة عثمان، فأنا أطلب من آوی إلیه وأنتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قیس بن سعد، قالوا: امض، فمضی حتی دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت فی الجماعة وکانوا معه، وفرقة وقفت واعتزلت إلی خربتا وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معکم، وإلّا فنحن علی جدیلتنا حتی نحرک أو نصیب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علی (ع) ما لم یقد إخواننا، وهم فی ذلک مع الجماعة؛ وکتب قیس إلی أمیر المؤمنین (ع) بذلک. (۲) فهی وإن کان أغلب الثائرین علی الخلیفة عثمان منها، إلّا أنّ هذا لایعنی أنها بلد یطمأن إلیه، والأوضاع مستقرة فیه، بل هو کما أوجد معارضین للخلیفة الثالث، یمکن أن یوجد معارضین أیضاً لخلافة الإمام علی (ع)،

۱- المصدر السابق ۵۵۱: ۳.

۲- المصدر السابق، أحداث سنة ۳۶.

ص: ۱۳۱

ونظراً لأهمیـة موقعهـا ودورهـا الـذی لعبته فی الثورة علی الخلیفـة الثـالث عثمان، قـد تلعب غیره فی أی نزاع یحصل، مما یجعلها بؤرة أزمـة، ومحـل نظرالآـخرین ومطامعهم، وبالتالی تحتاج إلی أمیر یمسک العصا من وسـطها ولو إلی حین، ویـدیر شؤونها بلباقـة وحنکة وصبر وسـعة أفق، وبعـد نظر، وهو ما تمتع به قیس بن سـعد، حتی أنّ الإمام علیاً (ع) لما بلغه اضـطراب أمرها بعد قیس علی محمد بن أبی بکر، قـال: لایصـلح لمصـر إلّـا قیس أو الأشتر، وکان الأشتر بعـد صـفین قـد عاد إلی عمله بالجزیرة، وقال لقیس: أقم عنـدی علی شرطتی حتی تنقضی الحکومة، ثم تسیر إلی أذربیجان، وأرسل إلی الأشتر وهو بنصیبین فاستدعاه، وولّاه مصر وکتب له عهداً مشهوراً. فهذه شهادة من الإمام علی ما یتمتع به قیس من قدرات قیادیة تنفع فی مواطن الأزمات ..

وقد أبان قیس حقیقة موقفه وخطورته برسالتیه للإمام (ع)؛ الأولی حیث قال:

بسم الله الرحمن الرحیم، أمـا بعـد فـإنی أخبر أمیرالمؤمنین أکرمه الله أن قبلی رجالًـا معتزلین، قـد سـألونی أن أکف عنهم، وأن أدعهم علی حـالهم حتی یسـتقیم أمر النـاس، فنری ویروا رأیهم، فقـد رأیت أن أکف عنهم، وألّا أتعجل حربهم، وأن أتألفهم فیما بین ذلک، لعل الله عزّوجلّ أن یقبل بقلوبهم، ویفرقهم عن ضلالتهم، إن شاء الله.

والرسالة الثانیة- لما وصل إلیه کتاب الإمام (ع):

«بسم الله الرحمن الرحیم، أما بعـد، فسر إلی القوم الذین ذکرت، فإن دخلوا فیما دخل فیه المسـلمون وإلّا فناجزهم إن شاء الله»- کتب إلیه: أمـا بعـد یـا أمیرالمؤمنین! فقـد عجبت لأمرک، أتأمرنی بقتال قوم کافین، مفرغیک لقتال عـدوک! وإنک متی حاربتهم ساعـدوا علیک عدوک، فأطعنی یا أمیرالمؤمنین! واکفف عنهم، فإنّ الرأی ترکهم، والسلام.

وقیس بموقفه هذا- کما فی مواقفه الأخری- کان بحق من المخلصـین لأمیرالمؤمنین (ع) ومناصـحیه، والصادقین فی ولائهم الواعی له کما هو واضح فی رسالته الجوابیة الثانیة لمعاویة والتی تأتینا، فقد اسـتطاع أن یهدئ هذه الجبهة، ویشـکل بموقعه هذا خطراً کبیراً علی معاویـة، حتی ذکر الطبری فی تـاریخه أنه کان أثقل خلق الله علی معاویـة؛ لقربه من الشام مخافـة أن یقبل علی فی أهل العراق، ویقبل إلیه قیس بن سـعد فی أهل البصرة، فیقع معاویة بینهما؛ وهذا الذی یبدو أنه دفع معاویة إلی مراسلة قیس یمنیه، لاستمالته أو علی الأقل لتهدئة الأمر بینه وبین قیس، وتطییب الأجواء بعیداً عن الإمام علی (ع) وهو یومئذ بالکوفة وقبل أن یسیر إلی صفین.

وهی تـدل علی شـدة خوف معاویة من تولی قیس ولایة مصـر، خصوصاً أنّ الحرب لابدّ منها بینه وبین الإمام علی (ع)، فتقدم بخطوته هذه إلی قیس فلعله یحقق شیئاً ینفعه.

رسالة معاویة:

من معاویـة بن أبی سـفیان إلی قیس بن سـعد، أما بعـد، فإنکم إن کنتم نقمتم علی عثمان بن عفان فی أثرة رأیتموها، أو ضـربة سوط ضربها، أو فی شتیمة رجل، أو فی تسـییره آخر، أو فی استعماله الفتی، فإنکم قد علمتم- إن کنتم تعلمون- أنّ دمه لم یکن یحل لکم، فقد رکبتم عظیماً من الأمر، وجئتم

ص: ۱۳۲

شیئاً إدّاً، فتب إلی الله عزّوجلّ یا قیس بن سعد! فإنک کنت فی المجلبین علی عثمان بن عفان- إن کانت التوبة من قتل المؤمن تغنی شیئاً- فأما صاحبک فإنا استیقنا أنه الذی أغری به الناس، وحملهم علی قتله حتی قتلوه، وأنه لم یسلم من دمه عظم قومک، فإن استطعت یا قیس أن تکون ممن یطلب بدم عثمان فافعل، تابعنا علی أمرنا، ولک سلطان العراقین إذا ظهرت ما بقیت، ولمن أحببت من أهل بیتک سلطان الحجاز ما دام لی سلطان، وسلنی غیر هذا مما تحب، فإنک لا تسألنی شیئاً إلا أوتیته، واکتب لی برأیک فیما کتبت به إلیک، والسلام.

فلما جاءه کتاب معاویة، کتب إلیه: أما بعد، فقد بلغنی کتابک وفهمت ما ذکرت فیه من قتل عثمان، وذلک أمر لم أقارفه، ولم أطف به. وذکرت أنّ صاحبی هو أغوی الناس بعثمان، و دسهم إلیه حتی قتلوه، وهذا ما لم أطلع علیه، وذکرت أنّ عظم عشیرتی لم تسلم من دم عثمان، فأول الناس کان فیه قیاماً عشیرتی، وأما ما سألتنی من متابعتک، وعرضت علی من الجزاء به، فقد فهمته، وهذا أمر لی فیه نظر وفکرة، ولیس هذا مما یسرع إلیه، وأنا کاف عنک، ولن یأتیک من قبلی شیء تکرهه حتی تری ونری إن شاء الله، والمستجار الله عزّوجلّ، والسلام علیک ورحمة الله وبرکاته.

هذه الإجابة الهادئة کما یراها القارئ، والتی لاتخلو من فنّ السیاسة لمصلحة یراها الرجل، أو هو «أحب أن یدافعه ولایبدی له أمره، ولایعجل له حربه» أو أنه «لم یره إلّا مقارباً مباعداً، ولم یأمن أن یکون له فی ذلک مباعداً مکایداً»، کما صرح به فی تاریخ الطبری؛ فیما جعلت معاویة متحیراً فی فهم مراد قیس حتی عدها خدیعةً یبتغی من ورائها تحقیق أغراض له، وهو یعرف قیساً جیداً فی دهائه، ویری نفسه أنه لایصانع بالخداع ولا یخادع بالمکائد، لهذا کتب إلیه ثانیةً: أما بعد، فقد قرأت کتابک، فلم أرک تدنو فأعدک سلماً، ولم أرک تباعد فأعدک حرباً، أنت فیما هاهنا کحنک الجزور، ولیس مثلی یصانع المخادع، ولا ینتزع للمکاید، ومعه عدد الرجال، وبیده أعنة الخیل، والسلام علیک.

فلما قرأ قیس کتاب معاویة هذا ورأه أنه لایقبل معه المدافعة والمماطلة، أظهر له ذات نفسه، فکتب إلیه:

بسم الله الرحمن الرحیم؛ من قیس بن سعد إلی معاویة بن أبی سفیان، أما بعد، فإنّ العجب من اغترارک بی، وطمعک فی، واستسقاطک رأیی؛ أتسومنی الخروج من طاعة أولی الناس بالإمرة، وأقولهم للحق، وأهداهم سبیلًا، وأقربهم من رسول الله (ص) وسیلةً، وتأمرنی بالدخول فی طاعتک، طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلهم سبیلًا، وأبعدهم من الله عزّوجلّ ورسوله (ص) وسیلةً، ولد ضالین مضلین، طاغوت من طواغیت إبلیس! وأما قولک إنی مالئ علیک مصرخیلًا ورجلًا، فوالله إن لم أشغلک بنفسک حتی تکون نفسک أهم إلیک، إنک لذو جد؛ والسلام.

فلما بلغ معاویة کتاب قیس آیس منه وثقل علیه مکانه. (۱) المکیدة!

۱- المصدر السابق.

ص: ۱۳۳

وردت الأخبار، وراحت الأقوال تختلف فی سبب عزله، وهی بلا شک تحتاج الی تدقیق وإعمال نظر فیها، تبین أنّ قیساً قام بعمل لم ینل قبول بعض رفاق دربه، فیما فسره آخرون لصالحه، وفریق ثالث اتخذ منه وسیلة لتشویه شخصیته خصوصاً عند الإمام علی (ع)، فیکون مبرراً لعزله عن ولایة مصر، التی تقض مضاجعهم مادام قیس علیها، وأبطال هذا الفریق هم معاویة وعمرو بن العاص، غایتهم منها إبعاد قیس عن ولایة مصر وهو ما یریده معاویة "فکل من ولی یکون أهون علینا من قیس "وإن استطاعوا التفریق بینه وبین الإمام علی (ع) فهو أقر لعیونهم، وأسلم لتحقیق آمالهم وأهدافهم ..

ذکر الخبر کما فی تاریخ دمشق لابن عساکر وفی غیره أیضاً أنّ عمرو بن العاص ومعاویة بن أبی سفیان کان قد شق علیهما وعلی أهل الشام ما یصنع قیس بن سعد من مناصحة علی، وما ضیق علی أهل الشام، فلا یحمل إلیهم طعام؛ فکان عمرو بن العاص ومعاویة جاهدین أن یخرجا قیساً من مصر، ویغلبا علیهما، وکان قیس قد امتنع منهما بالمکیدة والدهاء، فمکرا بعلی (ع) فی أمره، فکتب معاویة کتاباً فی قیس إلیه یذکر فیه ما أتی إلی عثمان من الأمر العظیم، وأنه علی السمع والطاعة. ثم نادی معاویة: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فی السلاح، فحمد الله وأثنی علیه، وقال: یا أهل الشام إنّ الله ینصر خلیفته المظلوم، ویخذل عدوه، أبشروا، هذا قیس بن سعد، ناب (سیدهم وکبیرهم) العرب، قد أبصر الأمر، وعرفه علی نفسه، ورجع إلی ما علیه من السمع والطاعة، والطلب بدم خلیفتکم. وکتب إلی بذلک کتاباً، وأمر بالکتاب فقرئ، وقد أمر بحمل الطعام إلیکم، فادعوا الله لقیس بن سعد، وارفعوا أیدیکم، وابتهلوا له فی الدعاء بالبقاء والصلاح. فعجّوا وعجّ معاویة وعمرو! ورفعوا أیدیهم ساعة، ثم افترقوا، فأخذ معاویة بید عمروبن العاص، فقال: تحین خروج العیون الیوم إلی علی (ع)، یسیر الخبر إلیه سبعاً أو ثمانیاً فیکون أول من یعزل قیس بن سعد، فکل من ولی یکون أهون علینا من قیس، فتحینوا خبر علی، فلما ورد الخبر کان أول من حمله إلیه محمد بن أبی بکر، فأخبره بما صنع، ورفده الأشتر، ونالا من قیس، وقالا: ألا استعملت رجلًا له حق، فجعل علی لا یقبل هذا القول علی قیس بن سعد، ویقول (ع): «إنّ قیساً فی سر (فی سر قومه، أی فی أفضلهم ...) وشرف فی جاهلیة وإسلام، وقیس رجل العرب. فیأبی محمد بن أبی بکر أن یقصر عنه، فعزله علی (ع). (۱) والمکیدة کما تذکر عن الزهری فی تاریخ الطبری أنه قال: کانت مصر من حین علی (ع)، علیها قیس بن سعد بن عبادة، وکان صاحب رایة رسول الله (ص) وکان من ذوی الرأی والبأس، وکان معاویة بن أبی سفیان وعمرو بن العاص جاهدین علی أن یخرجاه من مصر لیغلبا علیها، فکان قد امتنع فیها بالدهاء والمکایدة، فلم یقدرا علیه، ولا علی أن یفتتحا مصر، حتی کاد معاویة قیس بن سعد من قبل علی، وکان معاویة یحدث رجالًا من ذوی الرأی من قریش یقول: ما ابتدعت مکایدةً قط کانت أعجب عندی من مکایدة کدت بها قیساً من قبل علی وهو بالعراق حین امتنع منی قیس.

قلت لأهل الشام: لا تسبّوا قیس بن سعد، ولا تدعوا إلی غزوه، فإنه لنا شیعة، یأتینا کیس نصیحته سراً، ألا ترون ما یفعل بإخوانکم الذین عنده من أهل خربتا، یجری علیهم أعطیاتهم وأرزاقهم، ویؤمن

۱- مختصر تاریخ دمشق ۱۱۱: ۲۱.

ص: ۱۳۴

سربهم، ويحسن إلى كل راكب قدم عليه منكم، لايستنكرونه فى شىء. وهممت أن أكتب بذلك إلى شيعة من أهل العراق، فيسمع بذلك جواسيس على عندى وبالعراق.

وفى حديث هشام بن محمد عن أبى مخنف أنه لما آيس معاوية من قيس أن تابعه على أمره، شق ذلك، لما يعرف من حزمه وبأسه، أظهر للناس قبله، أنّ قيس بن سعد قد تابعكم، فادعوا الله له، وقرأ عليهم كتابه الذى لان له فيه وقاربه.

واختلق معاوية كتاباً من قيس بن سعد فقرأه على أهل الشام:

بسم الله الرحمن الرحيم: للأمير معاوية بن أبى سفيان من قيس بن سعد، سلام عليك، فإنى أحمد الله الذى لا إله إلّا هو، أما بعد، فإنى لما نظرت رأيت أنه لا يسعنى مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرماً براً تقياً، فنستغفر الله عزّوجلّ لذنوبنا، ونسأله العصمة لديننا، ألا وإننى قد ألقيت إليكم بالسلم، وإنى أجبتك إلى قتال قتلة عثمان، إمام الهدى المظلوم، فعول على فيما أحببت من الأموال والرجال أعجل عليك، والسلام. (۱) عزله

إذن، مواقف قيس من طائفة من الناس عثمانية الهوى فى قرية خربتا.

موقفه مع مسلمة بن مخلد الأنصارى ورسالته إليه.

رسالته الجوابية الأولى إلى معاوية.

والأهم هو غياب حكمة كل هذه الأمور حتى عند بعض أصحاب الإمام (ع)- على ذمة ما ورد- والتى لم تغير من موقف الإمام (ع) منه ولم يفقد ثقة الإمام به وهو القائل: «إنى والله لا أصدق بهذا على قيس».

ولكنها- ولا شك- تركت آثارها و خلقت جواً ملوثاً فى الساحة، وراح الناس ينشغلون بتأويلاتهم لما سمعوا بما شاع فى أهل الشام أنّ قيس بن سعد بايع معاوية، وسرحت العيون (جواسيس معاوية) إليهم بذلك، وراحت تضغط بقوة حين سرحت عيون على بن أبى طالب إليه بذلك، فلما أتاه ذلك أعظمه وأكبره وتعجب له ودعا بنيه ودعا عبد الله بن جعفر فأعلمهم ذلك فقال: ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر: يا أميرالمؤمنين دع ما يريبك إلى ما لايريبك، أعزل قيساً عن مصر.

قال لهم الإمام (ع): «إنى ما أصدق بهذا على قيس»، فقال عبد الله: أعزله، فوالله لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته.

وكان هدف قيس من عمله هذا كما جاء فى رسالته الجوابية لأميرالمؤمنين (ع) حين طلب منه أن يناجزهم، هو أن يتفرغ الإمام (ع) للعدو الأكبر، فيما لايرى هذا عبد الله بن جعفر وغيره، الذى راح يفسر مواقف قيس بالممالأة، وأنّ الحل هو قتالهم وقد عبر عن خوفه هذا حين قال للإمام (ع): يا أميرالمؤمنين! ما أخوفنى أن يكون هذا ممالأة لهم منه.

۱- أنظر تاريخ الطبرى ۳: حوادث سنة ۳۶.

ص: ۱۳۵

بل صار يدعو الإمام (ع) إلى عزله قائلًا: يا أميرالمؤمنين! أعزله، فوالله لئن كان هذا حقاً لا يعتزل لك إن عزلته.

وأظنّ عبد الله بن جعفر ومن قد يكون معه، قد اقتنع حين لم يتمرد قيس على إمامه، بل أطاع أميرالمؤمنين (ع)، فلبى أمره حين استبدله بمحمد بن أبى بكر وهو أخ لعبد الله بن جعفر من أمه أسماء بنت عميس التى كانت زوجة لجعفر بن أبى طالب وبعد استشهاده تزوجها أبو بكر، ثم الإمام على (ع)، وإن غضب قيس كما ورد، فلا أظن غضبه إلّا لمصلحة عليا أدركها ولم يدركها غيره حتى من بعض أصحاب الإمام (ع)، الذين خفيت عليهم حكمة ما قام به قيس، وقد تكون مكيدة معاوية قد انطلت عليهم وأقلقتهم، ووسائل إعلامه التى تهدف إلى ضعضعة وتمزيق الساحة قد تركت أثرها، فخشيت هذه الثلة المؤمنة، فبادرت إلى الإمام ليضع حلًا، ولعل أميرالمؤمنين (ع) رأى أنّ المصلحة تقتضى تبديله، لحسم الخلاف فى الساحة، ودفع القلق والاضطراب عنها، والتفرغ للاستعداد لمعركة صفين وهى قادمة لا محالة.

إذن لم ير معاوية وصاحبه عمرو بن العاص إلّا الكيد لقيس، فلعلهما ينجحا فى النيل منه و تشويه سمعته عند أصحاب الإمام وعند العامة من الناس والجند ..، إن لم تستطع زعزعت مكانته عند الإمام (ع)، الذى ازداد تمسكاً به فى مواطن أخرى.

وأما قيس فقد تلقاه وهو عائد إلى المدينة حسان بن ثابت وكان عثمانى الهوى فقال له: نزعك على بن أبى طالب، وقد قتلت عثمان فبقى عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر! فقال له قيس بن سعد: يا أعمى القلب والبصر، والله لولا أن ألقى بين رهطى ورهطك حرباً لضربت عنقك، أخرج عنى.

وقيس حتى فى هذا كان لا يريد اشغال الساحة بنزاعات جانبية تحول دون تحقيق النصر على معاوية، .. ولم يكن حسان وحيداً فى موقفه، بل هو يحكى تياراً يترقب أى خلل فى ساحة على (ع)، لا فقط ليشمت بل ليوسعه ويعمقه؛ وحتى لايترك مبرراً لأعلام معاوية أن يكيد ويملأ الساحة بأقوال وأباطيل مضللة راح يلقيها هنا وهناك؛ بادر قيس وهو يردف قوله ":والله إنّ هذا لقبيح، أن أفارق علياً وإن عزلنى، والله لألحقن به "بالقدوم على على (ع)، يصحبه سهل بن حنيف، فخبره قيس، فصدقه على .. وعرف أنّ قيس بن سعد كان يقاسى أموراً عظاماً من المكايدة ..، فأطاع على قيس بن سعد فى الأمر كله.

وفى رواية أنّ أم المؤمنين أم سلمة أرسلت إلى قيس تلومه وتقول: فارقت صاحبك، قال: أنا لم أفارقه طائعاً هو عزلنى، .. فكتبت إلى على تخبره بنصيحة قيس وأبيه فى القديم والحديث ... فكتب على إلى قيس يعزم عليه إلالحق به. فقال: والله ما أخرج إليه إلّا استحياء، وإنى لأعلم أنه مقتول؛ معه جند سوء لا نية لهم، فقدم على على، فأكرمه، وحباه؛ فأخبره قيس بخبره، وما كان يعمل بمصر، فعرف على أنّ قيساً كان يدارى أمراً عظيماً من المكيدة التى قصر عنها رأى غيره. وأطاع على قيساً فى الأمر كله، وجعله على شرطة الخميس الذين كانوا يبايعون على الموت .. وشهد هو وسهل بن حنيف معه صفين. (۱) إذن ما إن عزل عن ولاية مصر حتى التحق مع الإمام على (ع) فى معركة صفين، وقد أدرك معاوية الدور الجديد لقيس وبينه بوضوح، وهو يتغيظ على كل من مروان والأسود بن أبى البخترى، اللذين كما فى الخبر

۱- المصدر السابق؛ ومختصر تاريخ دمشق ۱۱۲: ۲۱.

ص: ۱۳۶

عن الزهری، أخافا قیس حین عودته إلی المدینهٔ من مصر بعد عزله منها حتی رکب راحلته، فظهر إلی علی، فقال لهما محملهما مسؤولیهٔ التحاق قیس بعلی (ع): أمددتما علیاً بقیس بن سعد ورأیه ومکانه، فوالله لو أنکما أمددتماه بمائهٔ ألف مقاتل ما کان ذلک بأغیظ لی من إخراجکما قیس بن سعد إلی علی. (۱) ففی أی موقع وضع فیه هذا الصحابی الجلیل، کان یشکل أهمیهٔ بالغهٔ، ویمثل طورهٔ کبیرهٔ راحت تؤرق معاویهٔ وتقلقه، سواء أکان والیاً علی مصر أم قائداً یحمل رایهٔ الأنصار فی معسکر علی (ع)، أو زعیماً لشرطهٔ الخمیس فی إدارهٔ الإمام (ع) ..

قال نصر بن مزاحم فی کتاب صفین: إنّ أمیرالمؤمنین (ع) لما عزم علی المسیر إلی صفین دعا من کان معه من المهاجرین والأنصار فاستشارهم فقام فیمن قام قیس بن سعد بن عبادهٔ، فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: یا أمیرالمؤمنین انکمش بنا إلی عدونا ولا تعرج، فوالله لجهادهم أحب إلی من جهاد الترک والروم، لادهانهم فی دین الله، واستذلالهم أولیاء الله من أصحاب محمد (ص) من المهاجرین والأنصار والتابعین بإحسان؛ إذا غضبوا علی رجل حبسوه أو ضربوه أو جرموه أو سیروه، وفیئنا لهم فی أنفسهم حلال ونحن لهم فیما یزعمون قطین، قال: یعنی رقیق.

فقال أشیاخ الأنصار منهم خزیمهٔ بن ثابت وأبو أیوب الأنصاری وغیرهما: لم تقدمت أشیاخ قومک وبدأتهم یا قیس بالکلام؟ فقال: أما أنی عارف بفضلکم معظم لشأنکم، ولکنی وجدت فی نفسی الضغن الذی جاش فی صدورکم حین ذکرت الأحزاب ... (۲) من کلماته وأشعاره، وأراجیزه وهو یقاتل:

اخترت شیئاً مما ذکرته بعض المصادر، فقد روی نصر بن مزاحم فی کتاب صفین أنّ معاویهٔ لما تعاظمت علیه الأمور یوم صفین، جمع خواص أصحابه فقال لهم: إنه قد غمنی رجال من أصحاب علی وعدّ فیهم قیس بن سعد فی الأنصار، فعبأ لکل رجل منهم رجلًا من أصحابه، فجعل من قریش بسر بن أرطأهٔ لقتال قیس بن سعد، فغدا بسر بن أرطأهٔ فی الیوم الثالث فی حماهٔ الخیل، فلقی قیس بن سعد فی کماهٔ الأنصار، فاشتدت الحرب بینهما، وبرز قیس کأنه فنیق مقرم، وهو یقول:

أنا ابن سعد زانه عباده والخزرجیون رجال ساده

لیس فراری فی الوغی بعاده إنّ الفرار لل-- فتی قلاده

یا رب أنت لقنی الشهاده والقتل خیر من عناق غاده

حتی متی تثنی لی الوساده

وطاعن خیل بسر، وبرز له بسر بعد ملی (أی بعد مضی ملی من النهار، أی ساعهٔ طویلهٔ) ویطعن بسر قیساً، فیضربه قیس بالسیف فرده علی عقبیه، ورجع القوم جمیعاً ولقیس الفضل.

وجمع قیس بن سعد بن عبادهٔ الأنصاری الأنصار، وقام فیهم خطیباً، فقال: إنّ معاویهٔ قد قال ما بلغکم، وأجاب عنکم صاحباکم، فلعمری لئن غظتم معاویهٔ الیوم، لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه فی

۱- تاریخ الطبری، أحداث سنهٔ ۳۶.

۲- کتاب وقعهٔ صفین: ۹۳.

ص: ۱۳۷

الإسلام فقد وترتموه فى الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذى أنتم عليه، فجدوا اليوم جداً تنسون به ما كان أمس، وجدوا غداً جداً تنسونه به ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرائيل، وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبى جهل والأحزاب، وأما التمر فإنا لم نغرسه، ولكن غلبنا عليه من غرسه، وأما الطفيشل فلو كان طعامنا لسمينا به كما سميت قريش السخينة. (۱) ثم قال قيس بن سعد فى ذلك:

يا ابن هند دع التوثب فى الحر ب إذا نحن فى البلاد نأينا

نحن من قد رأيت فادن إذا شئت بمن شئت فى العجاج إلينا

إن برزنا بالجمع نلقك فى الجمع و إن شئت محضةً أسرينا

فألقنا فى اللفيف نلقك فى الخز رج ندعو فى حربنا أبوينا

إن نشأ فارس له فارس منا و إن شئت باللفيف التقينا

أى هذين ما أردت فخذه ليس منا وليس منک الهوينا

ثم لا تنزع العجاجة حتى تتجلى حربنا لنا أو علينا

ليت ما تطلب الغداة أتانا أن-- عم الله بالشهادة عينا

إننا إننا الذين إذا الفتح شهدنا و خيبراً وحنينا

بعد بدر وتلک قاصمة الظهر و أحد و بالنضير ثنينا

يوم الأحزاب قد علم الناس شفينا من قبلكم واشتفينا

فلما بلغ شعره معاوية دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى فى شتم الأنصار؟

قال: أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمهم فذم أبدانهم ولا تذم أحسابهم. قال معاوية: إنّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كل يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنا حابس الفيل، فما الرأى؟ قال: الرأى التوكل والصبر، وأن تبعث إلى رجال من رؤساء الأنصار فتعاتبهم، فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار ... فمشوا إلى قيس، فقالوا: إنّ معاوية لايريد شتمنا، فكف عن شتمه؛ فقال: إنّ مثلى لايشتم، ولكن لا أكف عن حربه حتى ألقى الله.

وتحركت الخيل غدوة فظن قيس أنّ معاوية فيها، فحمل على رجل يشبهه فقنعه بالسيف فإذا غير معاوية، وحمل الثانية على آخر يشبهه فضربه، ثم انصرف وهو يقول:

۱- الطفيشل: بوزن سميدع، كما فى القاموس، ويقال له أيضاً "طفشيل، "ولفظه فارسى معرب، وهو بالفارسية "تفشله "أو "تفشيله" ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل، وفسر فى القاموس بأنه نوع من المرق، وجعله البغدادى فى كتاب الطبيخ ضرباً من التنوريات، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور، وفى منهاج الدكان ۲۲۰ ":طفشيل كل طعام يعمل من القطانى، أعنى الحبوب كالعدس والجلبان وما أشبه ذلک. "أنظر حواشى الحيوان ۲۴: ۳/ ۲۲۶: ۵، فهو مرق معروف، يعيب معاوية الأنصار بأنّ طعامهم التمر وهذا المرق. أما السخينة فهو طعام رقيق يتخذ من دقيق وسمن وقيل من دقيق وتمر، أغلظ من الحساء وأرق من العصيدة، وكانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها حتى سموا سخينة أو صار لقباً لها. أنظر كلًا من هامش الصفحة ۴۴۶ من كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ت ۲۱۲ وتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى ۱، قم- إيران، ۱۴۰۳ ه-. وأيضاً أعيان الشيعة الجزء ۲۷: ۴۳- ۳۲، رقم الترجمة ۹۵۰۰ قيس بن سعد بن عبادة الخزرجى الأنصارى. دار التعارف للمطبوعات، بيروت،

لبنان.

ص: ۱۳۸

قولوا لهذا الشاتمى معاويه إن كل ما أوعدت ريح هاويه

خوفتنا أكلب قوم عاويه إلى يا بن الخاطئين الماضيه

ترقل إرقال العجوز الجاريه فى أثر السارى ليالى الشاتيه

فقال معاويـهٔ: يا أهل الشام! إذا لقيتم هـذا الرجل فأخبروه بمساويه؛ وفى خبر فلما تحاجز الفريقان شـتمه معاويـهٔ شـتماً وشـتم الأنصار، فغضب النعمـان ومسـلمهٔ فأرضاهمـا بعـدما هما أن ينصـرفا إلى قومهما، ثم إنّ معاويـهٔ سأل النعمان أن يخرج إلى قيس، فيعاتبه ويسأله السلم، فخرج فقال له: يا قيس ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم فى خذل عثمان، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وحملتم خيولكم على أهـل الشام بصـفين، فلو كنتم إذ خـذلتم عثمان خـذلتم علياً، لكانت واحـدهٔ بواحـدهٔ، ولكنكم خـذلتم حقاً ونصـرتم باطلًا، ثم لم ترضوا حتى أوغلتم فى الحرب، ودعوتم إلى البراز، ثم لم ينزل بعلى أمر قطّ إلّا هونتم عليه المصـيبهٔ، ووعـدتموه بالظفر، وقـد أخـذت الحرب منا ومنكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله فى البقيهٔ.

فضـحك قيس ثم قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالهٔ أنه لاينصح أخاه من غش نفسه، وأنت والله الغاش الضال، أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخـذ منى واحـدهٔ، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخـذله من هو خير منك؛ وأما أصـحاب الجمـل، فقاتلنـاهم على النكث؛ وأمـا معاويـهٔ فوالله أن لو اجتمعت عليه العرب لقـاتلته الأنصار؛ وأما قولك إنا لسـنا كالناس، فنحن فى هـذه الحرب كمـا كنـا مع رسول الله (ص) نتقى السـيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يـا نعمـان! هـل ترى مع معاويـهٔ إلّـا طليقـاً أو أعرابياً أو يمانياً مسـتدرجاً بغرور؟ وانظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الـذين رضـى الله عنهم ورضوا عنه؟ ثم انظر هل ترى مع معاويـهٔ غيرك وغير صويحبك، ولسـتما والله ببـدريين ولا أحديين، ولا لكما سابقهٔ فى الإسلام، ولا آيهٔ فى القرآن، ولعمرى لئن شغبت علينا، فقد شغب علينا أبوك، وقال قيس فى ذلك:

و الراقصات بكل أشعث أغبر خوص العيون تحثها الركبان

ما ابن المخلد ناسياً أسيافنا فى من نحاربه ولا النعمان

تركا البيان وفى العيان كفايهٔ لو كان ينفع صاحبيه عيان

وطالما كان يردد وهو يخوض غمار معركهٔ صفين:

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل

حسبنا ربنا الذى فتح البصر هٔ بالأمس والحديث طويل

و علىٌّ إمامنا و إم-- ام لسوانا أتى به التنزيل

وقد نال تقدير الإمام على (ع) واحترامه وثناءه، يقول نصـر بن مزاحم: إنّ علياً دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً، وسوده على الأنصار. (۱) وهو كموقف رسول الله (ص) فى فتح مكهٔ حين أعطاه رايهٔ الأنصار كما ذكرنا.

۱- أنظر وقعهٔ صفين: ۴۵۰- ۴۵۳؛ والإمامهٔ والسياسهٔ لابن قتيبهٔ الدينورى ۱۳۰: ۱- ۱۳۱؛ و أعيان الشيعهٔ، ترجمته.

ص: ۱۳۹

مع الإمام الحسن (ع):

عرف قیس فی ولائه لعلی (ع) وأهل بیت النبوة (علیهم السلام)، وینضم فی هذا الولاء إلی الصحابة سلمان وأبی ذر والمقداد وعمار رضوان الله تعالی علیهم، وخیر دلیل مواقفه التی أشرنا إلیها مع علی (ع)، ومع الإمام الحسن (ع) وهو یعد لحرب معاویة وفی سلمه وصلحه، فقد ظل قیس بعد استشهاد الإمام علی (ع) علی ولائه لأهل بیت رسول الله (ص) ویری أنّ الإمام الحسن (ع) هو الوارث الشرعی للإمامة، لهذا بادر إلی مبایعته دون تردد أو تباطئ، واستمر واقفاً إلی جنبه مدافعاً غیر مبال بالأخطار، و کان تحت قیادته خمسة آلاف ممن حلقوا رؤوسهم حداداً علی استشهاد الإمام علی (ع)، واستعداداً للشهادة بین یدی الإمام الحسن (ع).

ولما خطب الحسن (ع) الناس، وحثهم علی الجهاد معه، فتثاقلوا قام قیس فی جماعة، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم، وکلموا الحسن (ع) بمثل کلام عدی بن حاتم الذی سبقهم فی حدیثه والقائل به: أنا ابن حاتم سبحان الله ما أقبح هذا المقام، ألا تجیبون إمامکم وابن نبیکم؟! أین خطباء مضر (المصر) الذین ألسنتهم کالمخاریق فی الدعة، فإذا جد الجد فرواغون کالثعالب، أما تخافون مقت الله؟ ... (۱) وقد شکر الإمام الحسن (ع) لقیس مواقفه الشجاعة، حین وقف قیس یؤنب الناس ویلومهم علی تخاذلهم، فقال له الإمام ولعدی بن حاتم الطائی ومعقل بن قیس الریاحی وزیاد بن صعصعة التیمی: صدقتم رحمکم الله، ما زلت أعرفکم بصدق النیة والوفاء والقبول والمودة الصحیحة، فجزاکم الله خیراً. (۲) وحین انسل عبید الله بن العباس لیلًا من معسکر الإمام الحسن (ع) إلی معسکر معاویة، وأصبحوا بغیر أمیر، صلی بهم قیس ثم خطبهم، فقال: أیها الناس لا یهولنکم ولا یعظمن علیکم ما صنع هذا الرجل الوله الورع (أی الجبان) إنّ هذا وأباه وأخاه (فإن هذا وأباه لم یأتیا قط، کما عن الکشی فی معجم رجال الحدیث ۱۲: (ع) ۴۸۵ عبید الله بن عباس) لم یأتوا بیوم خیراً قط، إنّ أباه عم رسول الله (ص) خرج یقاتله ببدر فأسره کعب بن عمرو الأنصاری، فأتی به رسول الله (ص) فأخذ فداه فقسمه بین المسلمین، وإنّ أخاه ولاه علی (ع) علی البصرة، فسرق مال الله ومال المسلمین، فاشتری به الجواری، وزعم أنّ ذلک له حلال، وأنّ هذا ولاه أیضاً علی الیمن فهرب من بسر بن أرطأة، وترک ولده حتی قتلوا، وصنع الآن هذا الذی صنع، فتنادی الناس ألحمد لله الذی أخرجه من بیننا، إمض بنا إلی عدونا، فنهض بهم وخرج إلیهم بسر بن أرطأة فی عشرین ألفاً، فصاحوا بهم هذا أمیرکم قد بایع، وهذا الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسکم؟ فقال لهم قیس: اختاروا إما القتال مع غیر إمام، أو تبایعون بیعة ضلال، فقالوا: بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتی ردوهم إلی مصافهم.

وکتب معاویة إلی قیس یدعوه ویمنیه، فکتب إلیه قیس: لا والله، لاتلقانی أبداً إلّا وبینی وبینک الرمح.

فکتب إلیه معاویة: أما بعد فإنما أنت یهودی ابن یهودی، تشقی نفسک وتقتلها فی ما لیس لک، فإن ظهر أحب الفریقین إلیک نبذک وعزلک، وإن ظهر أبغضهما إلیک نکل بک وقتلک، وقد کان أبوک أوتر غیر

۱- أنظر کلامه فی ترجمته من أعیان الشیعة، للسید محسن الأمین.

۲- المصدر السابق؛ وفی رحاب أئمة أهل البیت:، للسید محسن الأمین ۱۹: ۳- ۲۰.

ص: ۱۴۰

قوسه ورمى غير غرضه، فأكثر الحز وأخطأ المفصل، فخذله قومه وأدركه يومه، فمات بحوران طريداً غريباً، والسلام.

فكتب إليه قيس بن سعد- رحمه الله-: أما بعد، فأنما أنت وثن ابن وثن من هذه الأوثان، دخلت فى الإسلام كرهاً، وأقمت عليه فرقاً، وخرجت عنه طوعاً، ولم يجعل الله لك فيه نصيباً، لم تتقدم بإسلامك (أو لم يقدم إسلامك) ولم يحدث نفاقك، ولم تزل حرباً لله ورسوله، وحزباً من أحزاب المشركين، فأنت عدوّ الله ورسوله والمؤمنين من عباده؛ وذكرت أبى، ولعمرى ما أوتر إلّا قوسه، ولا رمى إلّا غرضه، فشغب عليه من لا تشق غباره، ولا تبلغ كعبه، وكان امرءاً مرغوباً عنه، مزهوداً فيه؛ وزعمت أنى يهودى ابن يهودى، ولقد علمت وعلم الناس أنى وأبى من أنصار الدين الذى خرجت منه، وأعداء الدين الذى دخلت فيه وصرت إليه، والسلام.

فلما قرأ معاوية كتابه غاظه وأراد إجابته، فقال له عمرو بن العاص: مهلًا إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس، فأمسك عنه؛ وانصرف قيس بمن معه إلى الكوفة. (۱) بيعته لمعاوية!

إضافةً لما سبق من القول فإنى لم أجد خبراً أو روايةً تثبت أنّ قيساً بايع معاوية رجاء رحمته أو خوفاً من عذابه، وبقى على عهده الذى قطعه على نفسه بقوله: «إنى حلفت أن لا ألقاه إلّا وبينى وبينه الرمح أو السيف» وفى رده على معاوية كما يحمله خبر آخر أنه لما قدم على معاوية ليبايعه كما بايع أصحابه، فقال معاوية: وأنت يا قيس تلجم على مع من ألجم؟! أما والله كنت أحب ألّا يأتى هذا اليوم إلّا وقد أصابك ظفر من أظفارى موجع! فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم فى هذا المقام، فأحييك بهذه التحية.

فقال له معاوية: ولِمَ؟ وهل أنت إلّا حبر من أحبار اليهود؟ فقال له قيس: وأنت يا معاوية كنت صنماً من أصنام الجاهلية، دخلت فى الإسلام كارهاً، وخرجت منه طائعاً.

فقال معاوية: أللهم غفراً، مد يدك. فقال قيس: إن شئت زدت وزدت. (۲) ولكنه بايع نزولًا عند رغبة الإمام الحسن (ع) واستجابةً له كما نراه فى الأخبار.

فى معجم رجال الحديث، قال الكشى: جبرائيل بن أحمد وأبو إسحاق حمدويه وإبراهيم ابنا نصير قالوا: حدثنا محمد بن عبد الحميد العطار الكوفى عن يونس بن يعقوب عن الفضل غلام محمد بن راشد، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) يقول: «إنّ معاوية كتب إلى الحسن بن على (ع) أن أقدم أنت والحسين بن على وأصحاب على، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، وقدموا الشام فأذن له معاوية وأعد لهم الخطباء، فقال: يا حسن قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال للحسين (ع): قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال: يا قيس قم فبايع فالتفت إلى الحسين (ع) ينظر ما يأمره فقال: يا قيس إنه إمامى يعنى الحسن (ع)».

۱- مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهانى: ۷۴.

۲- مختصر تاريخ دمشق ۱۰۳: ۲۱.

ص: ۱۴۱

حدثنی جعفر بن معروف قال: حدثنی محمد بن الحسین بن أبی الخطاب عن جعفر بن بشیر، عن ذریح، قال: سمعت أبا عبدالله (ع) یقول: دخل قیس بن سعد بن عبادهٔ الأنصاری صاحب شرطهٔ الخمیس علی معاویهٔ، فقال له معاویهٔ: بایع، فنظر قیس إلی الحسن (ع)، فقال: أبا محمد بایعت؟ فقال له معاویهٔ: أما تنتهی؟ أما والله إنی، فقال له قیس: ما شئت، أما والله لإن شئت لتناقض، فقام (فقال)، وکان مثل البعیر جسیماً، وکان خفیف اللحیهٔ، قال: فقام إلیه الحسن، فقال له: بایع یا قیس! فبایع. (۱) وفی روایهٔ ذکرها أبو الفرج الأصفهانی فی مقاتل الطالبیین أنه لما صالح الحسن (ع) معاویهٔ، اعتزل قیس بن سعد فی أربعهٔ آلاف وأبی أن یبایع.

وفی روایهٔ أخری لأبی الفرج أیضاً أنّ معاویهٔ أرسل إلی قیس یدعوه إلی البیعهٔ فأتی به، قال: وکان رجلًا طویلًا یرکب الفرس المسرف، ورجلاه تخطان فی الأرض، وما فی وجهه طاقهٔ شعر، وکان یسمی خصی الأنصار، فلما أرادوا أن یدخلوه إلیه قال: إنی قد حلفت أن لا ألقاه إلّا وبینی وبینه الرمح أو السیف، فأمر معاویهٔ برمح أو سیف فوضع بینه وبینه لیبر یمینه.

وفی روایهٔ لما صالح الحسن معاویهٔ، اعتزل بن سعد فی أربعهٔ آلاف وأبی أن یبایع، فلما بایع الحسن أدخل قیس بن سعد لیبایع؛ قال أبومخنف فی حدیثه: فأقبل علی الحسن (ع) فقال: أنا فی حل من بیعتک؟ قال: نعم. فألقی لقیس کرسی وجلس معاویهٔ علی سریره، فقال له معاویهٔ: أتبایع یا قیس؟ قال: نعم، فوضع یده علی فخذه ولم یمدها إلی معاویهٔ، فجثا معاویهٔ عن سریره وأکب علی قیس حتی مسح یده علی یده، فما رفع قیس إلیه یده. (۲) و فی روایهٔ سعید بن عبد الرحمن بن حسان، التی تضمنت حواراً دار بین معاویهٔ وقیس بن سعد بحضور رهط من الأنصار، رد قیس علی ما أثاره معاویهٔ .. ومن تلک الردود قوله: .. وأما استقامهٔ الأمر علیک فعلی کره منا، وأما فلنا حدک یوم صفین، فإنا کنا مع رجل نری طاعته لله طاعهٔ، .. (۳) وفی خبر أنه ما أن تم الصلح بین الإمام الحسن (ع)- بعد تخاذل جنده، وتآمربعضهم، وطعنه- ومعاویهٔ، حتی وقف قیس حین عاد إلی المدینهٔ المنورهٔ مخاطباً جنوده، الذین کان یری أنّ لهم فی ذمته حق الشوری فی الاختیار:

إن شئتم جالدت بکم حتی یموت الأعجل منا، وإن شئتم أخذت لکم أماناً.

واختار جنوده الأمان وقالوا: خذ لنا أماناً؛ فأخذ لهم الأمان من معاویهٔ. (۴) یذکرنی موقف قیس هذا بموقف أبیه سعد بن عبادهٔ الذی رفض بیعهٔ الخلیفهٔ الأول رغم ما تعرض له من ترغیب تارهًٔ، وتهدید أخری، حتی توفی؛ رائع جداً أن یقف الإنسان مدافعاً عن رأی یتبناه أو موقف اتخذه إذا کانا قائمین علی دلیل یقطع بصحته وأنه معذر له یوم القیامهٔ.

۱- معجم رجال الحدیث، للسید الخوئی ۱۵: رقم ۹۶۷۵ قیس بن سعد.

۲- مقاتل الطالبیین، لأبی الفرج الأصفهانی: ۷۹.

۳- مختصر تاریخ دمشق ۱۱۲: ۲۱- ۱۱۳.

۴- المصدر السابق، ترجمهٔ قیس بن سعد بن عبادهٔ.

ص: ۱۴۲

وفاته:

بعد جهاد طويل ومواقف رائعة مليئة بالحق والحكمة والوفاء مع رسول الله (ص) ومع الإمام على (ع) والإمام الحسن (ع)، توفى سنة ۶۰ وقيل: ۸۵ أو ۹۵ هجرية فى المدينة المنورة، وقيل فى تفليس؛ حشره الله تعالى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!

***

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبِیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخیص بحـار الأنوار، للعلاّمـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شـَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.